

رَفَع

عبد الرحمن العجوي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مَنْجِيهِ الْأَعْمَالِ النَّوِيَّةِ
فِي أَصُولِ الدِّينِ



د. منيرة بنت محمد وديعة محمد العزموني البزازاني

دار الكتب والوثائق
التشريع والتوزيع

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منهج الإمام النووي
في أصول الدين

دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

منهج الإمام النووي في أصول الدين/ منيرة حمود سعد البدراني

الرياض، ١٤٢٨هـ

٥٧٣ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٣-٢٠-٨١٩٠-٦٠٣-٩٧٨

١. النووي - يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ ٢. العقيدة الإسلامية - أ. العنوان

١٤٣٧/٨٨٧٨

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٨٨٧٨هـ

ردمك: ٣-٢٠-٨١٩٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

Dar KounouzEshbelia

For Publishing & Distribution

Kingdom of Saudi Arabia

P.O. Box 27261 Riyadh 11417

Tel.: +96611 4914776

+96611 4968994

Fax.: +966114453203



دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

ص. ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ ٩٦٦١١ +

٤٩٦٨٩٩٤ ٩٦٦١١ +

فكس: ٤٤٥٣٢٠٣ ٩٦٦١١ +

E-maileshbelia@hotmail.com

مَنْعُ الْإِفْطَارِ النَّوَوِيِّ فِي أَصُولِ الدِّينِ

د. منيرة بنت محمد وعبد محمد العمري البدراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد:

فإنه من المعلوم أنه لما اتسعت رقعة الإسلام، دخل كثير من الناس فيه أفواجا طائعين وكارهين، واندس فيهم من لم ينشرح صدره للإسلام من اليهود والمجوس والنصارى والوثنيين وغيرهم.

وقد كان لكثير منهم سلطان كبير مثل المجوس والرومان، فلما سلبهم المسلمون إياه، وكان عندهم من الكبر والاستعلاء ما يجعلهم يأنفون من كونهم تحت سلطان المسلمين.

لا سيما وقد كانوا يرون العرب من أحقر الأمم وأقلها شأنًا، كما أنهم قد يتسوا جميعا من قدرتهم على مجابهم الإسلام بالقوة وجها لوجه، فانصرف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

جهدهم وكيدهم إلى الدسائس والمؤامرات.

فوقعت فتن كثيرة، وتعددت الفرق، وتباينت النحل، فظهر القول بالقدر، وخرج الخوارج، ونجم التشيع والرفض، ثم ظهر القول بإنكار الصفات لله تعالى.

وصنف أهل البدع ما يؤيد مذاهبهم وبدعهم، كما صنف علماء أهل السنة مؤلفات في بيان الحق والرد على أهل الأهواء والبدع، كالإمام البخاري، وأحمد بن حنبل والدارمي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهم الله جميعا - .

وكان من الأئمة الأعلام المبرزين في القرن السابع الهجري الإمام محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي رحمته الله، والذي كان له أثر بالغ في إثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الفريدة، وعلمه الغزير، ولما كان رحمته الله مع ما أوتي من علم ودين وذكاء قد تأثر ببعض العلماء الذين نهجوا نهج الأشاعرة في العقيدة كابن فورك والقاضي عياض والمازري حتى تجلى ذلك في مؤلفاته - لا سيما شرحه لصحيح مسلم - لما كان الأمر كذلك رأيت أنه من المفيد لي أولا ثم لغيري من طلاب العلم دراسة منهج الإمام النووي في أصول الدين.

أسباب اختيار الموضوع:

١ / أن الإمام النووي من العلماء العاملين المخلصين - فيما نحسبهم - الذين كان لهم أثر في حياة المسلمين العلمية.

٢ / أهمية شرح الإمام النووي رحمته الله لصحيح مسلم وانتشاره في جميع أقطار الأرض أكثر من غيره من شروح صحيح مسلم، ووجود الكثير من الأخطاء العقدية فيه..

٣ / عدم وجود دراسة كافية لمنهج الإمام النووي في أصول الدين - غاية ما وقفت عليه - كتاب "الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات" لمشهور بن

حسن آل سلمان وهذا الكتاب خاص بمناقشة ما في شرح النووي لصحيح مسلم فحسب دون غيره من مؤلفات النووي.

كذلك ليس هو شاملاً لجميع أبواب العقيدة مما قوى عزمي على وضع خطة تشمل جميع أبواب العقيدة واستيعاب كلام النووي وأقواله في كل مؤلفاته التي استطعت الوقوف عليها... والله الموفق.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد وخمسة أبواب، وخاتمة، ثم الفهارس.

التمهيد: ويشتمل على ترجمة موجزة للإمام النووي وفيها:

١ / اسمه ومولده.

٢ / نشأته وطلبه للعلم.

٣ / شيوخه.

٤ / تلاميذه.

٥ / مصنفاته.

٦ / زهده وورعه.

٧ / وفاته وثناء العلماء عليه.

الباب الأول: منهج النووي في تلقي العقيدة، وفيه فصول:

الفصل الأول: حجية الخبر الواحد في مسائل الاعتقاد.

الفصل الثاني: موقفه من التأويل.

الفصل الثالث: موقفه من التفويض.

الفصل الرابع: موقف من الفرق.

الباب الثاني: منهج النووي في تقرير التوجيه، وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهجه في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهجه في تقرير الأسماء والصفات إجمالاً.

المبحث الثاني: منهجه في تقرير أسماء الله تفصيلا.

المبحث الثالث: منهجه في تقرير صفات الله تفصيلا، ويشتمل على:

أولا: الصفات الذاتية.

ثانيا: الصفات الفعلية.

ثالثا: الكلام.

رابعا: العلو.

خامسا: النزول.

سادسا: الرؤية.

الفصل الثاني: منهجه في بيان توحيد الألوهية وما يضاده، وفيه مبحثان

المبحث الأول: بيان توحيه الألوهية، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: منزلة هذا التوحيد من الدين.

الثاني: معنى لا إله إلا الله.

الثالث: أنواع العبادة.

المبحث الثاني: ما يضاد توحيد الألوهية، وفيه مطالب:

الأول: الشرك الأكبر.

الثاني: الشرك الأصغر.

الثالث: وسائل الشرك.

الباب الثالث: منهجه في سائر أصول الإيمان، وفيه فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: الإيمان بالرسول، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلائل النبوة.

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء.

المبحث الثالث: التفضيل بينهم.

الفصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر، وفيه مباحث:

الأول: الروح.

الثاني: أشراط الساعة.

الثالث: عذاب القبر ونعيمه.

الرابع: الشفاعة.

الخامس: الحوض.

السادس: الصراط.

السابع: الجنة والنار.

الفصل الرابع: في القدر، وفيه مباحث:

الأول: الإيمان بالقدر ومراتبه.

الثاني: الهدى والضلال.

الثالث: الأرزاق والآجال.

الرابع: الاحتجاج بالقدر وحكمه.

الخامس: التعليل في أفعال الله تعالى.

السادس: حكم أطفال المشركين.

الباب الرابع: في مسائل الإيمان، وفيه فصول:

الأول: مسمى الإيمان.

الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

الثالث: الاستثناء في الإيمان.

الرابع: العلاقة بين الإسلام والإيمان.

الخامس: الولاية وكرامات الأولياء.

السادس: الكبيرة وحكم مرتكبها.

السابع: التكفير.

الباب الخامس: منهجه في الصحابة والإمامة، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: الصحابة.

الثاني: الإمامة.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخاتمة: عرضت فيها ملخصا موجزا لأهم نتائج البحث.

المنهج الذي سرت عليه في البحث:

١/ بعد جمع مؤلفات الإمام النووي رحمته الله، حصرت مباحث العقيدة التي اشتملت عليها كتاب النووي، وذلك بعد قراءة جميع ما تيسر لي من كتبه ثم جمعت أقواله التي تتعلق بكل مباح على حدة في بطاقات وجعلت لها عنوانا يتناسب مع ما تدل عليه.

٢/ بدأت في كثير من المسائل بمقدمة عن المسألة ثم نقلت كلام النووي فإن كان مخالفا لمنهج أهل السنة جمعت ما يرد عليه من أقوال أهل العلم.

٣/ خرجت جميع الآيات الواردة في البحث.

٤/ بالنسبة لتخريج الأحاديث فقد خرجت جميع الأحاديث الواردة في البحث سواء كانت في صحيح مسلم أو ذكره النووي خلال شرحه، أو وردت في الرد على النووي رحمته الله مقدمة صحيح البخاري على مسلم ثم السنن الأربعة ثم المسند ثم غيرها إن وجد على قدر استطاعتي.

٥/ عرفت بالفرق والطوائف التي مورد ذكرها في الرسالة تعريفا موجزا.

٦/ ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ما عدا المشهورين، فإن لم أترجم لهم لعدم خفاء أحوالهم ككبار الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب السنة وغيرهم.

٧/ شرحت المفردات الغريبة التي وردت في الرسالة مستغنية في ذلك بكتب الغريب والمعاجم.

٨/ قمت بوضع فهرس علمية عامة للرسالة تعين على الرجوع إلى المراد

منها، وهي:

١/ فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب سور القرآن.

٢ / فهرس الأحاديث النبوية مرتبة حسب الحروف الهجائية.

٣ / فهرس الآثار مرتباً حسب الحروف الهجائية.

٤ / فهرس الأعلام المترجم لهم مرتباً حسب الحروف الهجائية.

٥ / فهرس المصادر والمراجع مرتباً حسب الحروف الهجائية.

٦ / فهرس الموضوعات.

أولاً، ثم من صحيح البخاري إن كان قد رواه، أي من أصل الصحيح، ثم أذكر موضعه من التلخيص.

وبعد: فإني أشكر الله سبحانه وتعالى المستحق للشكر الدائم والثناء المطلق فهو الذي بنعمته تتم الصالحات.

فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، على توفيقه وعونه وتيسيره، وأسأله سبحانه أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يرزقنا الإخلاص والسداد في القول والعمل، ثم أشكر من قرن الله سبحانه وتعالى حقهما بحقه؛ توقيراً لهما وتقديراً ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)، فلهما عليّ بعد الله الفضل الكبير، ولهما مني خالص الدعاء، وحسن الجزاء.

كما أشكر هذا الصرح الشامخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ ممثلة في إدارتها، وكلية أصول الدين؛ ممثلة في عمادتها، وقسم السنة وعلومها؛ على ما أتاحوه لي من فرصة مواصلة طلب العلم الشرعي.

وأخص بالشكر الجزيل الشيخ الجليل والأستاذ الفاضل النبيل فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن صالح المحمود، على موافقته أولاً على الإشراف على هذه الرسالة ثم بعد ذلك تسديده وتوجيهه وتقويمه فقد أفدت من معين علمه، فسدد الخلل ونبه لمواضع الزلل، ومحضني نصحه وإرشاده

دون كل أو ملل.

ومع هذا فقد رأيت منه كما رأى غيري كرم الخلق وجم الأدب ورحابة الصدر فجزه الله عني وعن غيري من طلاب العلم خير الجزاء.
كما أشكر زوجي الشيخ الدكتور خالد الرومي رحمته الله على تشجيعه ومتابعته للطباعة، وتوفيرها لكثير من المصادر التي أفدت منها في هذه الرسالة.

وختاماً: اشكر كل من أعانني بمشورة أو إعارة أو غيرها.

وبعد، فهذا جهد المقل، فإن كان صواباً فبفضل الله - جل وعلا - وإن كان فيه من زلل ونقص وخطأ فأسأل الله العفو والغفران، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا ووالدينا وإخواننا المسلمين الإيمان، ويعفو عما سلف منا وكان، ويمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح ويتقبله منا، ويختم بالصالحات أعمالنا، ويرفع درجاتنا في نات النعيم إن ربي قريب مجيب

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

ويشتمل على ترجمة موجزة للإمام النووي وفيها:

- ١ / اسمه ومولده.
- ٢ / نشأته وطلبه للعلم.
- ٣ / شيوخه.
- ٤ / تلاميذه.
- ٥ / مصنفاة.
- ٦ / زهده وورعه.
- ٧ / وفاته وثناء العلماء عليه.

ترجمة موجزة للإمام النووي (*) وفيها

١ / اسمه ومولده:

هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي نسبة إلى جده حزام المذكور، أبو زكريا النووي^(١)،
الدمشقي^(٢).

لقب بمحيي الدين، وكان يكره أن يلقب به تواضعا، وصح عنه أنه قال:
"لا أجعل في حل من لقبني محيي الدين"^(٣).

مولده: اتفق المؤرخون على أن مولده كان في شهر المحرم من عام واحد

(*) الإمام النووي رحمته الله من الشخصيات التي يزدان بها تاريخ المسلمين العلمي، لما منحه الله من علم جم، وخلق حسن، ودين متين، وزهد بحطام الدنيا، وبما ورث من مؤلفات قيمة لا تزال مرجعا للعلماء والباحثين وطلاب العلم.
ومن ثم فقد ترجم له تراجم ضافية، منها ما كتبه بعض تلاميذه مفردا في كتاب مستقل، ومنها ما كان ضمن كتب التراجم، ومنها ما جمعه بعض الباحثين المعاصرين... وقد يكون ذلك كابحا للقلم عن التصدي للترجمة له، إذ ما عسى أن أضيف في ترجمت من جديد!
وحيث لا مناص من ذلك فقد التزمت الاختصار والإيجاز الشديد مع الإحالة على بعض مصادر الترجمة ومنها: تحفة الطالبين لابن العطار، تحقيق: فؤاد عبدالمعتم، المنهل العذب الروي للسخاوي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، المنهاج السوي للسيوطي، ط/ في مقدمة كتاب النووي روضة الطالبين، الإمام النووي لعبدالغني الدقر، العبر في خير من غبر للذهبي، ٣٢٤/٢، البداية ٢٩٤/١٣، شذرات الذهب لابن العماد ٣٥٤/٥، طبقات الشافعية للسبكي، ٢٩٥/٨ تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٩٤/٢، هدية العارفين للبغدادي ٥٢٤/٦، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٠٢/١٣، الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه لأحمد بن عبدالعزيز الحداد ص ١٦ وما بعدها، وغيرها كثير.

(١) نسبة لنوى: قاعدة الجولان الآن من أرض حوران من أعماق دمشق، معجم البلدان ٣٥٣/٥،

وتحفة الطالبين ٢٢، والمنهل العذب الروي ٣٦.

(٢) تحفة الطالبين ١٢ - ٢٢، المنهل العذب الروي ٣٥ - ٣٦.

(٣) انظر: المنهل العذب للسخاوي ٣٦، الإمام النووي لعبدالغني الدقر ١٨ - ١٩.

وثلاثين وستمائة للهجرة (١).

ولما لم تسعفهم المراجع إلى تحديد اليوم الذي ولد فيه عدلوا إلى تقريبه، وذلك بتحديد أي عقود هذا الشهر كانت فيه ولادته؟ فقال تلميذه ابن العطار (٢)، والسخاوي (٣)، والسيوطي (٤): "إنها كانت في العشر الأوسط من هذا الشهر"، ورجحه السخاوي (٥).

وخالف في ذلك الإسنوي فقال: "إنه ولد في العشر الأول منه" (٦).

والراجع ما ذكره تلميذه ابن العطار، ورجحه السخاوي وغيره ممن ترجم له لأن اعتمادهم كان على ترجمة ابن العطار لتلميذ النووي، وقوله - بلا ريب - مقدم على غيره لأن مصدره فيها هو شيخه المترجم له.

٢ / نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الإمام النووي في كنف أبيه ورعايته، وكان أبوه في دنياه مستور الحال، فعاش النووي في ستروخير، وكان ﷺ منذ طفولته حريصاً على طلب العلم وقراءة القرآن.

فقد روى تلميذه ابن العطار عن الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي ﷺ (٧) أنه قال له: رأيت الشيخ محيي الدين، وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي، لإكراههم،

(١) المراجع السابقة في ترجمته.

(٢) تحفة الطالبين ٢٣.

(٣) المنهل العذب الروي ٣٦.

(٤) المنهاج السوي مع الروضة ٥٤/١.

(٥) المنهل ٣٦.

(٦) طبقات الشافعية للإسنوي ٢/٢٦٦.

(٧) هو: ياسين بن عبدالله بن يوسف المراكشي، المقرئ، الحجام الأسود، قال في الشذرات: كان صاحب كشف وحال، وكان النووي ﷺ يزوره ويتلمذ له، وتوفي في ربيع الأول ٦٨٧هـ، شذرات الذهب ٤٣/٥.

ويقرأ القرآن في هذه الحالة، فوقع في قلبه محبته.

وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن^(١).

قال الإمام رحمه الله: "فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي في سنة تسع وأربعين إلى دمشق فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي على الأرض، وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير"^(٢).

قال: وحفظت "التبئية"^(٣) في نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع العبادات من المذهب^(٤) في باقي السنة.

قال: وجعلت أشرح وأصحح على شيعي الإمام الزاهد العالم الورع ذي الفضائل والمعارف: أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي رحمه الله ولازمته.

قال: فأعجب بي لما رأى من اشتغالي وملازمتي وعدم اختلاطي بالناس وأحبني محبة شديدة، وجعلني أعيد الدرس لأكثر الجماعة^(٥).

قال: فلما كان سنة إحدى وخمسين حججت مع والدي، وكانت وقفة الجمعة، وكان رحيلنا من أول رجب.

قال: فأقمت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من شهر ونصف.

قال ابن العطار: قال لي والده رحمه الله: "لما توجهنا من (نوى) للرحيل أخذته

(١) انظر: تحفة الطالبين ٢٤، المنهل العذب ٣٦ - ٣٧، الإمام النووي للدقر ٢٠ - ٢١، المنهاج السوي مع الروضة ٥٤.

(٢) تحفة الطالبين ٢٥، المنهل العذب ٣٨ - ٣٩.

(٣) انظر: تحفة الطالبين ٢٤، المنهل العذب ٣٦ - ٣٧، الإمام النووي للدقر ٢٠ - ٢١، المنهاج السوي مع الروضة ٥٤.

(٤) انظر: تحفة الطالبين ٢٤، المنهل العذب ٣٦ - ٣٧، الإمام النووي للدقر ٢٠ - ٢١، المنهاج السوي مع الروضة ٥٤.

(٥) تحفة الطالبين ٢٥.

الحمى، فلم تفارقه إلى يوم عرفة، قال ولم يتأوه قط، فلما قضينا مناسكنا ووصلنا إلى (نوى) ونزل إلى دمشق صب الله عليه العلم صبا، ولم يزل يشتغل بالعلم ويقتفي آثار شيخه المذكور^(١)، في العبادة من الصلاة وصيام الدهر، والزهد والورع وعدم إضاعة شيء من أوقاته إلى أن توفى رحمته الله فلما توفى شيخه ازداد اشتغاله بالعمل والعمل^(٢).

وقال الإمام رحمته الله: كنت أقرأ كل يوم اثنتي عشر درسا على المشايخ شرحا وتصحيحا، درسين في (الوسيط)^(٣)، ودرسا في المذهب، ودرسا في (الجمع بين الصحيحين)^(٤)، أو درسا في صحيح مسلم، ودرسا في (اللمع) لابن جني في النحو، ودرسا في (إصلاح المنطق) لابن السكيت في اللغة، ودرسا في التصريف، ودرسا في أسماء الرجال، ودرسا في أصول الدين.

قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، وإيضاح عبارة وضبط لغة، وبارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعاني عليه.

قال: وخطر لي الاشتغال بعلم الطب فاشتريت كتاب (القانون) وعزمت على اشتغال فيه، فأظلم عليّ قلبي، وبقيت أياما لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرت في أمري، من أين دخل عليّ الداخل؟ فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب، فبعت في الحال الكتاب المذكور وأخرجت من بيتي كل ما يتعلق بعلم الطب، فاستتار قلبي ورجع إليّ حالي، وعدت على ما كنت عليه أولا^(٥).

(١) شيخه هو: أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد المغربي الشافعي.

(٢) تحفة الطالبين ٢٥ - ٢٦، وانظر: المنهل العذب ٤١، المنهاج السوري مع الروضة ٥٥/١.

(٣) الوسيط لأبي حامد الغزالي، ت ٥٠٥هـ.

(٤) الجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي: محمد بن فتوح بن عبد الله، محدث مؤرخ، كان ظاهري المذهب، ت ٤٨٨هـ، الإفصاح لابن هبيرة ٢٥/١.

(٥) انظر: تحفة الطالبين ٢٧ - ٢٨، المنهل العذب ٤١ - ٤٢، المنهاج السوري مع الروضة ٥٥/١.

٣ / شيوخه:

عاش الإمام النووي رحمه الله في القرن السابع الهجري وتلك حقبة حافلة بجملة من العلماء والشيوخ في سائر أنواع العلوم والمعارف، لا سيما علمي الحديث والفقه، لكن علم الحديث كان هو العلم السائد، فإننا إذا تصفحنا كتب التاريخ كالبداية^(١)، والتراجم كالشذرات^(٢)، لا نكاد نجد ترجمة رجل خالية عن الإشارة إلى مكانته الحديثية.

وهذا يدلنا على أن النووي رحمه الله قد أفاد من علماء عصره خير إفادة بحيث تخرج حافظاً، إماماً، مجتهداً، لغوياً متضلعا، زاهدا ورعا، اكتسب ذلك - بعد توفيق الله - من شيوخ وأعلام كبار محدثين وفقهاء ولغويين. وفيما يلي ذكر أسماء أبرز شيوخه - رحمهم الله تعالى - في الحديث والفقه والأصول واللغة، مرتبة على سني وفاتهم.

ولم يذكر فيما وقفت عليه من كتب التراجم للإمام النووي مشايخ في علم التوحيد والعقيدة مطلقا.

وسياتي تفصيل ذلك وبيانه في الباب الأول (منهجه في تلقي العقيدة) إن شاء الله تعالى.

١ - وإليك أشهر مشايخه في الحديث:

١ / الشيخ الإمام القاضي الخطيب عماد الدين عبدالكريم بن القاضي جمال الدين عبدالصمد بن محمد المعروف بابن الحرساني رحمه الله^(٣)، ت

(١) لابن كثير، انظر: الجزء الثالث عشر والرابع عشر.

(٢) لابن العماد، انظر: الجزء الخامس.

(٣) ممن عده من شيوخه السخاوي في المهمل ٥٢، والسيوطي في المنهاج مع الروضة ٥٧، وانظر

ترجمته في: العبر ٣/٣٠٥، شذرات الذهب ٥/٣٠٩، البداية ١٣/٢٤٣.

٦٢٢هـ.

٢ / ومنهم: شيخ الشيوخ شرف الدين عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الأنصاري الأوسي، الدمشقي الأصل^(١)، ت ٦٦٢هـ.

٣ / ومنهم: الحافظ الزين خالد بن يوسف بن سعد بن حسن بن مفرج أبو البقاء النابلسي ثم الدمشقي^(٢)، ت ٦٦٣هـ.

٤ / ومنهم: ابن البرهان العدل الصدر رضي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر بن فارس المضري الواسطي السفار التاجر المعروف بابن البرهان^(٣)، ت ٦٦٤هـ.

٥ / ومنهم: الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع ضياء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي^(٤)، ت ٦٦٨هـ.

٦ / ومنهم: زين الدين أبو العباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، مسند الشام وفقهها ومحدثها الحنبلي الناس^(٥)، ت

(١) عده في شيوخه السخاوي ٥٢، والسيوطي في المنهاج ٥٧، انظر: ترجمته في: الشذرات ٣٠٩/٥، النجوم الزاهرة ٢١٤/٧، ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٢.

(٢) عده في شيوخه السخاوي ٥٢، والسيوطي في المنهاج ٥٦، وله ترجمة في العبر ٣٠٨/٣، الشذرات ٣١٣/٥، ذيل مرآة الزمان ٣٢٦/٢.

(٣) روى عنه الإمام النووي صحيح مسلم وأثنى عليه ثناء حسنا، انظر: مقدم شرح مسلم ٦/١-٧، وأسند عنه في كتابه: الترخيص بالقيام) في موضعين: الموضع الأول ٣٥، وعده السخاوي من شيوخه في المنهل، وانظر: ترجمته في: الشذرات ٣١٥/٥، العبر ٣١٠/٣، ومقدمة شرح مسلم ٧/١.

(٤) ذكره النووي رحمته الله في كتابه طبقات الشافعية وأثنى عليه ثناء بالغا، طبقات الشافعية للنووي ٣١١/١، له ترجمة في: طبقات السبكي ١٢٢/٨، الشذرات ٣٢٦/٥.

(٥) عده في شيوخه السخاوي في المنهل ٥٢، وله ترجمة في: شذرات الذهب ٣٢٥/٥، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٧٨/٢، البداية ٢٧٢/١٣.

٦٦٨هـ.

٧ / ومنهم مسند الشام ابن أبي اليسر تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم ابن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التتوخي الكاتب المنشئ^(١)، ت ٦٧٢هـ.

٨ / ومنهم ابن الصيرفي المفتي المعمر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحراني الحنبلي المعروف بابن الحبيشي^(٢)، ت ٦٧٨هـ.

٩ / ومنهم: الشيخ الإمام شمي الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي^(٣)، ت ٦٨٢هـ.
٢ - أبرز شيوخه في الفقه^(٤):

١ / أول شيوخه في الفقه - كما قال رحمته الله - : الإمام المتفق على علمه وزهده وورعه، وكثرة عبادته، وعظم فضله، وتميزه في ذلك على أشكاله أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي، كمال الدين ثم المقدسي^(٥)، المقدسي^(٥)، ت ٦٥٠هـ.

قال السخاوي: كان معظم انتفاعه عليه^(٦).

٢ / ثم الإمام العارف الزاهد العابد الورع المتقن، مفتي دمشق في وقته: أبو

(١) عده في شيوخه السخاوي ٥٢، والسيوطي في المنهاج ٥٧، والذهبي في التذكرة ١٤٧١/٤، وله ترجمة في العبر ٣٢٥/٣، الشذرات ٣٣٨/٥، البداية ٢٨٢/١٣.

(٢) عده في شيوخه السخاوي ٥٣، وله ترجمة في العبر ٣٣٩/٣، والشذرات ٣٦٣/٥.

(٣) عده في شيوخه السخاوي ٥٢، والسيوطي في المنهاج ٥٧، له ترجمة في البداية ٣٠٢/١٣، العبر ٣٥٠/٣، الشذرات ٣٧٦/٥.

(٤) انظر في ذكر شيوخه في الفقه: تحفة الطالبين ٣٠ - ٣٥، المنهل العذب ٤٣ - ٤٤.

(٥) له ترجمة في: طبقات السبكي ١٢٦/٨، العبر ٣٦٥/٣، الشذرات ٢٤٩/٥.

(٦) المنهل ٤٤.

محمد عبدالرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسى القدسي ثم
الدمشقي^(١)، ت ٦٥٤هـ.

٢ / ثم الإمام العالم المجمع على إمامته وجلالته، وتقديمه في علم المذهب
على أهل عصره بهذه النواحي أبو الحسن سلار بن الحسن الإربلي ثم الحلبي
ثم الدمشقي^(٢)، ت ٦٧٠هـ.

٤ / ثم الإمام المتقن المفتي: أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربيعي
الأربلي^(٣)، ت ٦٧٥هـ.

أخذ الإمام النووي عنهم الفقه قراءة وتصحيحا وسماعا، وشرحا
وتعليقا^(٤).

٣ - ومن مشايخه في الأصول:

١ / القاضي أبو الفتح كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي^(٥)، ت
٦٧٢هـ.

٤ - ومن مشايخه في اللغة:

١ / أبو العباس جمال الدين أحمد بن سالم المصري النحوي نزيل
دمشق^(٦)، ت ٦٧٢هـ.

٢ / العلامة حجة العرب جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن

(١) له ترجمة في الشذرات ٢٦٥/٥.

(٢) انظر: الشذرات ٣٢١/٥، طبقات السبكي ١٤٩/٨، العبر ٣٢١/٣.

(٣) ذكرها لسبكي في طبقاته ٣٠٨/٨، الدارس في تاريخ المدارس ٢٠٨/١.

(٤) تحفة الطالبين ٣٠، المنهل ٤٤.

(٥) عده من شيوخه السخاوي ٥٠ - ٥١، وله ترجمة في: الشذرات ٣٣٧/٥، البداية ٢٨٢/١٣،

العبر ٣٢٥/٣.

(٦) عده من شيوخه السخاوي ٥٠، وله ترجمة في: الشذرات ٣٢٤/٥، ذيل مرآة الزمان ٣٤٩/٢.

مالك الطائي الجياني^(١)، ت ٦٧٢ هـ.

٤ / تلاميذه:

لما كان الإمام النووي رحمه الله لا يضيع وقتاً في ليل ولا في نهار بل لا يرى إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه يشتغل في تكرار أو مطالعة، محققاً في علمه وفنونه، مدققاً، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ عارفاً بأنواعه من صحيحه وسقيمه، وغريب ألفاظه وصحيح معانيه واستنباط فقهاء، حافظاً لمذهب الشافعي وقاعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين. واختلاف العلماء ووافقهم وإجماعهم، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، بعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للعبادة، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

ولما كان هذا منهجه الذي ارتضاه لنفسه أكثر من عشرين سنة، فلا غرابة أن يسمعه منه خلق كثير من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء، وأن يلازمه ويتخرج به كثير من طلاب العلم، أكتفي بذكر أبرزهم مرتبة أسماءهم على سني وفاتهم:

١ / علاء الدين بن العطار (٦٥٤-٧٢٤ هـ): هو الحافظ الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان أبو الحسن بن العطار الشافعي، اقتصر على الإمام النووي دون غيرها نحو ست سنوات، واشتغل عليه، وحفظ التنبية بين يديه حتى كان يقال له: مختصر النووي^(٣).

٢ / الحافظ المزي (٦٥٤-٧٤٢ هـ): هو الإمام الحافظ، محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي القضاعي ثم

(١) عدده من شيوخه السخاوي ٥٠، وله ترجمة في: طبقات السبكي ٦٧/٨، العبر ٣٢٦/٣، البداية ٢٨٣/١٣.

(٢) انظر: تحفة الطالبين ٤٢ - ٤٣.

(٣) يراجع في ترجمته: الشذرات ٦٣/٦، طبقات الشافعية ١٤٣/١٠، البداية ١٢١/١٤.

الكلبي الدمشقي الشافعي (١).

٣ / ابن النقيب (٦٦١-٧٤٥هـ): هو محمد بن أبي بكر بن إبراهيم،
القاضي شمس الدين بن النقيب الشافعي الدمشقي (٢).

٤ / خطيب داريا أبو الربيع الهاشمي (٦٤٢-٧٢٥هـ): هو القاضي سليمان
بن هلال بن شبل بن فلاح بن حصيب الجعفري الحوراني، الملقب بصدر
الدين، يكنى بأبي الربيع الهاشمي، وكان يذكر نسبه إلى جعفر الطيار (٣).
٥ / ابن أبي الدر (٦٤٥-٧٢٦هـ): هو سالم بن عبدالرحمن بن عبدالله
الشافعي أمين الدين بن أبي الدر (٤).

وقد ذكر البخاوي وغيره كثير من تلاميذه الذين اشتهروا بالعلم
والفضل ضربت عن ذكرهم صفحا خشية الإطالة (٥).
٥ / مصنفاته:

عاش الإمام النووي رحمه الله نحو من ست وأربعين سنة، وترك من المؤلفات
ما لو قسم على سني حياته لكان نصيب كل يوم كراستين أو أكثر (٦).
ولقد كتب الله سبحانه وتعالى لمؤلفاته القبول واثقة بين أهل العلم،
وحسب الباحث في مسألة ما، : فقهية أو حديثية أو لغوية أو غيرها حسبه أن
ينقل من كتاب من كتبه؛ ليكون كلامه عند الناس مقبولا وحجته قوية،

(١) يراجع في ترجمته: الشذرات ١٣٦/٦، البداية ٢٠٣/١٤، طبقات الشافعية لابن السبكي
٣٩٥/١٠، مقدمة تحفة الأشراف ٢٢/١.

(٢) يراجع في ترجمته: طبقات السبكي ٣٠٧/٩، ذيل العبر ١٣٦/٤-١٣٧.

(٣) عدده في تلاميذه البخاوي ١٠٠، وله ترجمة في: الشذرات ٦٧/٦، طبقات السبكي ١٠٦/١٠،
ذيل العبر ٧٤/٤.

(٤) عدده في تلاميذه البخاوي ١٠٠، وله ترجم في: طبقات السبكي ١٠٧/١٠، طبقات ابن قاضي
شبهة ٣٤١/٢.

(٥) انظر: المنهل ٩٨ - ١٠٨.

(٦) الإمام النووي للدقر ٧١.

وقوله مقنعا.

قال تلميذه ابن العطار مؤكداً ذلك: (... وانتفع الناس في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفه، وأكبوا على تحصيل تواليفه، حتى رأيت من كان يشنؤها في حياته - في حياة النووي - مجتهدا في تحصيلها والانتفاع بها بعد موته^(١)).

ومؤلفات النووي رحمه الله ثلاثة أقسام:

١ / قسم أنجزه وأتمه.

٢ / قسم أدركته الوفاة قبل أن يتمه.

٣ / قسم غسل أوراقه - أي محاسنها - وكانوا يغسلونها لأمر ما، ولا يتلفونها لحاجتهم إلى ورقها^(٢).

القسم الأول: ما أنجزه من مؤلفاته^(٣):

١ / الأذكار: أشار إليه في تهذيب الأسماء^(٤)، والمجموع^(٥)، وغيرهما.

٢ / الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام^(٦): أشار إليها في شرح

(١) انظر: تحفة الطالبين ٤٢، المنهل ٦٣.

(٢) الإمام النووي للدقر ٧٣، وانظر: تحفة الطالبين ٤٥ - ٤٦.

(٣) سردت أسماء المؤلفات في كل قسم مرتبة على الحروف الهجائية.

(٤) تهذيب الأسماء ١١/١ - ٤٣.

(٥) المجموع ١/٢٦٨. ويلاحظ أنه: إن كان النووي قد أشار إلى الكتاب في مؤلفات له فإني أشير

أشير إلى موضع ذكره له في تاب أو كتابين، وإن تكرر ذكره في مواضع متعددة فإني أكتفي بموضع أو موضعين فحسب لحصول الغرض، ولا أذكر من عزاه إليه ممن ترجم له رغبة في الإيجاز ويلاحظ أيضا أنني لا أسهب في ذكر المعلومات عن كل كتاب لسببين:

١ / أن الباحث أحمد الحداد قد خدمها وكفانا المؤونة في كتابه (الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه).

٢ / أن الكثير منها مطبوع ومتداول، وما لم يكن كذلك فإني أطيل بعض الشيء في المعلومات عنه.

(٦) كذا أسماء المؤلفات في شرحه لصحيح البخاري ١١٧

- صحيح مسلم^(١)، والمجموع^(٢)، وشرح صحيح البخاري^(٣).
- ٣ / الإرشاد: أشار إليه النووي في شرح صحيح مسلم^(٤)، ونسبه إليه أغلب من ترجم له.
- غير أنهم اختلفوا في اسمه الكامل، مع اتفاقهم على صدر التسمية وهو (الإرشاد).
- والذي اعتمده محقق الكتاب هو العنوان المكتوب على النسخة المكتوبة في زمن المؤلف، وهو: إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن الخلائق^(٥).
- ٤ / الإيضاح في المناسك: أشار إليه في المجموع^(٦).
- ٥ / بستان العارفين: عزاه إليه السخاوي^(٧) والسيوطي^(٨)، وحاجي خليفة^(٩)، وغيرهم.
- ٦ / تحرير التنبية: أشار إليه في المجموع^(١٠).
- ٧ / التبيان في آداب حملة القرآن: أشار إليه في المجموع^(١١)، وفي شرح صحيح مسلم^(١٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٧.

(٢) المجموع ١٥٠/٩.

(٣) شرح صحيح البخاري ١١٧.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٩/١.

(٥) ينظر: الإرشاد، تحقيق: عبد الباري فتح الله السلفي، ط/ مكتبة الإيمان.

(٦) المجموع ٢٨٥/٤.

(٧) المنهل ٦١.

(٨) المنهاج السوي ٦٨/١.

(٩) كشف الظنون ٢٤٤/١.

(١٠) المجموع ٣٤٥/٧.

(١١) المجموع ١٦٢/٢.

(١٢) شرح صحيح مسلم ٤٣/٨.

٨ / الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام: أشار إليه في المجموع (١)، وفي شرح صحيح مسلم (٢).

٩ / التقريب والتيسير في معرفة سنن البشير النذير: عزاه إليه ابن العطار (٣)، والسيوطي (٤)، وغيرهما.

١٠ / حزب أدعية وأذكار: ذكره السخاوي (٥)، ويعرف بحزب الإمام النووي وهو مشهور، ولم يدونه الإمام النووي على أنه مصنف من مصنفاته، وإنما روي عنه شفاهية، رواه عنه تلاميذه، ثم نقله تلاميذه بالرواية إلى غيرهم، يشتمل على أذكار مأثورة وغير مأثورة، جعله ليقرأ صباحاً ومساءً. شرحه العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الشرقي (٦)، ت ١١٧٥هـ.

وسياتي التعليق على هذا الكتاب وتقويمه في الباب الأول إن شاء الله تعالى (منهجه في تلقي العقيدة).

١١ / رسالة فيما يعتقد السلف في الحوف والأصوات: لم يعزها أحد ممن تجم له ولا وقفت على ذكر المؤلف لها في شيء من مصنفاته. وهي مخطوطة تقع في عشرين ورقة محفوظة في مكتبة جامع الملك سعود بالرياض منسوخة في القرن ١٢هـ.

وبعد قراءتها أكاد أجزم أنها من تأليف النووي رحمته الله للأسباب التالية:

١ / الأسلوب الذي كتبت به الرسالة هو أسلوب الإمام في سائر مؤلفاته

(١) المجموع ٦٣٦/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٥/٤.

(٣) تحفة الطالبين ٤٥.

(٤) المنهاج السوي ٦٨/١.

(٥) المنهل ٦١.

(٦) تحقيق: بسام الجابي، ط/ دار الإمام مسلم، بيروت.

التي قرأتها.

٢ / الكتاب مكون من قسمين: القسم الأول: نقل من كتاب الشيخ: فخر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان الشافعي الأرموي (غاية المرام في مسألة الكلام).. وسيأتي الكلام عنه في مبحث الكلام إن شاء الله تعالى. القسم الثاني: نقل من كتابه (التبيان).

٣ - نقله عن مشايخه في ثنايا الرسالة، والله أعلم:

١٢ / روضة الطالبين وعمدة المفتين في الفقه الشافعي: أشار إليه ﷺ في شرح صحيح مسلم^(١)، وتهذيب الأسماء واللغات^(٢).

١٣ / رياض الصالحين: في علم الحديث رواية: أشار إليه في شرح صحيح مسلم^(٣)، وفي المجموع^(٤).

١٤ / الفتاوى: عزاه إليه ابن العطار^(٥)، والسيوطي^(٦)، وغيرهما.

١٥ / منهاج الطالبين: في الفقه الشافعي عزاه إليه أغلب من ترجم له كابن العطاء^(٧) والسيوطي^(٨) وغيرهما.

١٦ / المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أشار إليه في تهذيب الأسماء^(٩) وفي شرح صحيح البخاري^(١٠) وغيرهما. هذه أهم وأشهر المؤلفات التي أكملها النووي.

(١) شرح صحيح مسلم ١/١٨٣.

(٢) تهذيب الأسماء ١/٣٨ - ٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٨/١٨٣.

(٤) المجموع ٣/١٧٩.

(٥) تحفة الطالبين ٤٦.

(٦) المنهاج السوي ٦٨.

(٧) تهذيب الأسماء واللغات ١/٩٧ - ٩٨.

(٨) شرح صحيح البخاري ١١٧ - ٢١٨.

(٩) طبقات الشافعية ٢/٢٠٠.

(١٠) المنهاج ١/٦٨.

القسم الثاني: ما لم يكمله النووي من تأليفه وهي كثيرة، أذكر أشهرها:

مرتبة على الحروف الهجائية

١ / الأصول والضوابط: عزاه إليه ابن قاضي شهبة^(١)، والسيوطي^(٢) وغيرهما.

٢ / التحقيق: في الفقه وصل فيه إلى باب: صلاة المسافر، عزاه إليه ابن العطار^(٣) والسيوطي^(٤) وغيرهما، يحقق الآن في دار البشائر الإسلامية.

٣ / التلخيص شرح صحيح البخاري: أشار إليه في تهذيب الأسماء^(٥)، وهو من أواخر مؤلفاته التي حالت دوت إتمامها منيته، شرح فيه باب الوحي وكتاب الإيمان.

٤ / تهذيب الأسماء واللغات: أشار إليه في شرح صحيح مسلم^(٦) والمجموع^(٧)، والكتاب مع نفعه لم يكتب لمؤلفه إتمامه بل المتداول منه هو جمعة منه مات ﷺ قبل إتمامه... أفاد ذلك ابن العطار^(٨) وغيره.

٥ / خلاصة الأحكام من مهمات السن وقواعد الإسلام: نسبه إليه السخاوي^(٩) والسيوطي^(١٠) وغيرهما.

(١) طبقات الشافعية ٢/٢٠٠.

(٢) المنهاج ١/٦٨.

(٣) تحفة الطالبين ٤٦.

(٤) المنهاج ١/٦٧.

(٥) تهذيب الأسماء ١/٧٥.

(٦) شرح صحيح مسلم ٥/١١٢.

(٧) المجموع ١/٤٢٣.

(٨) تحفة الطالبين ٤٦.

(٩) المنهل ٥٥.

(١٠) المنهاج ١/٦٧.

٦ / المجموع شرح المذهب: أشار إليه في كثير من مؤلفات كشرح صحيح مسلم^(١)، والترخيص بالقيام^(٢)، وغيرهما.

وصل فيه إلى باب الريا فكتب غائبه ولم يقدر إتمام ﷺ، قال السخاوي: لم يصنف في المذهب على مثل أسلوبه^(٣).

٧ / منتخب طبقات الشافعية: أشار إليه في تهذيب الأسماء واللغات^(٤)، والمجموع^(٥)، وغيرهما. طبع وطبعت تعليقات النووي عليه.

القسم الثالث: ما غسله من مؤلفته:

هذا عرض موجز لأهم مؤلفاته التي أكملها، أو بدأ بتأليفها، أو سار بتأليفه شوطا يذكر، ولم أذكر ما بدأ به في صفحات قليلة، على أنه ﷺ غسل كثيرا من مؤلفاته، ولم يبق إلا ما قيل فيه، أن هذا مما سارت به الركبان، مخافة عدم الإخلاص في التأليف^(٦).

يقول تلميذه ابن العطار: "ولقد أمرني ببيع كراريس ألف كراس بخطه، وأمرني بأن أقف على غسلها في الوراقا، وخوفني إن خالفت أمره في ذلك فما أمكنني إلا طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حسرات"^(٧).

٦ / زهده وورعه:

جمع الإمام النووي ﷺ بين العلم والتقوى حتى صار إماما من أئمة الهدى، ونجما ساطعا في تاريخ الإسلام.

(١) ١٧٩/٣.

(٢) ٧٣.

(٣) المنهل ٥٨.

(٤) ٦/١.

(٥) ٥٠٩/١.

(٦) الإمام النووي للدقر ١٠٢.

(٧) تحفة الطالبين ٤٦.

فقد قال الذهبي في العبر^(١): "وكان من تبجره في العلم، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك، بما قد سارت به الركبان رأسا عفي الزهد، وقدوة في الورع".

وهذه منة من الله سبحانه يختص بها من يشاء ممن تولاهم وجعل همه هما واحدا، ورغب في الله والدار الآخرة فجمع الله عليه أمره وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

ويعجب المرء إذا قرأ سيرة هذا الإمام العالم النحرير الورع الزاهد في زمن طغت فيه الماديات، وتشبث الناس بحطام الدنيا واغتروا بنفوسهم على ضعفها وهوانها!

ويتساءل: أمن الناس من يكون كذلك؟

ذكر المترجمون له قصصا تثير العجب، منها أنه عدل لتضييق عيشه في أكله ولباسه وجميع أحواله، فقال له عاذله: أخشى عليك مرضا يعطلك عن أشياء أفضل مما تقصده، قال: فقال لي: إن فلانا صام وعبد الله تعالى حتى اخضر عظمه، قال: فعرفت أنه ليس في غرض في المقام دارنا ولا الالتفات لما نحن فيه^(٢).

قال الإمام الذهبي في السير: "كان عديم الميرة والرفاهية والتنعم، مع التقوى والقناعة والورع والثخين، والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك رعونات النفس من ثياب حسنة، ومأكل طيب وتجمل في هيئة"^(٣).

وقال ابن العطار: "رأيت رجلا من أصحابه قشر خياره ليطعمه إياها فامتنع

(١) ٣١٢/٥.

(٢) المنهل للسخاوي ١٢١.

(٣) المصدر السابق ١٢١.

من أكلها وقال: أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم" (١).

وذكر السخاوي أنه ترك جميع ملاذ الدنيا من المأكول، إلا ما يأتيه به أبوه من كعك يابس، وتين حوراني، والملبس إلا الثياب الرثة المرقعة، ولم يدخل الحمام، وترك الفواكه جميعها (٢).

بل أعظم من هذا كله زهده في نفسه، فقد كانت نفسه أهون الأشياء عليه... لا سيما إذا كانت في ذات الله تعالى، أو في سبيل نفع المسلمين، فقد قال في رسالة وجهها لابن النجار: "وأنا بحمد الله تعالى ممن يود القتل في طاعة الله تعالى" (٣).

ولم تكن هذه المقالة دعوى منه ﷺ، لأنه يمضي في الحق ولو عرض نفسه للخطر لعدم مبالاته بالنفس والحياة.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره السخاوي في رسائله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: أنه قام على الظاهر في دار العدل في قضية الغوطة (٤)، لما أرادوا وضع الأملاك على بساتينها، فرد عليهم ذلك، فغضب عليه السلطان، وأراد البطش به ثم بعد ذلك أحبه وعظمه، حتى كان يقول: أنا أفزع منه (٥).

أما عن روعه فقد ذكر المترجمون له قصصا ومواقف تبعث على التقدير والإكبار... وحيث إنني قد التزمت الإيجاز فلن أذكر إلا طرفا منها مع الإحالة

(١) تحفة الطالبين ٤٤، المنهل ١٢٠.

(٢) المنهل ١٢٠.

(٣) المنهل ١٤٣.

(٤) الغوطة مجتمع النبات، وقيل: الوهدة في الأرض المطمئنة، والغوطة هي الكورة التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشرة ميلا يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، مياهها خارجة من تلك الجبال وتمد الغوطة في عدة أنهر فتسقي بساتينها وزروعها، ويثب باقياها في أجمة هناك وبحيرة، والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة، انظر: معجم البلدان ٤/٢٤٨.

(٥) المنهل ١٣١.

على مظانها ليستفيد منها من أراد ذلك:

قال السخاوي: "زلم يتزوج قط - فيما علمت لاشتغاله بالعلم والعمل، وكذا جزم بكونه لم يتزوج غير واحد، منهم قاضي صفد" (١).
وحكى الياضي أنه عوتب في عدم التزوج وقيل له: "هو سنة كبيرة ولم يبق عليك من السنة إلا هو، وكلك محاسن"، فقال: "أخاف أن آتي بسنة وأدخل في محرّمات كثيرة" (٢).

فقد ترك التزوج ﷺ مع علمه بسنيته، غير أنه خشي من نفسه التقصير: إما في الأمور الزوجية، أو في الواجبات الأخرى فيرتكب محظورا، وهو أشد الناس نفورا من ارتكابه، فرأى من الورع ترك التزوج فرارا من الوقوع في المحظور.

٧ / وفاته وثناء العلماء عليه:

بعد حياة أحيائها الإمام النووي بالعلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي رحمه الله رحمة واسعة ولم تتم له خمس عقود، وذلك في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة (٣)، وعمره آنذاك خمس وأربعون سنة وسبعة أشهر تقريبا، خرج من الدنيا ولم يتمتع فيها بشيء يذكر.

ولقد حظي الإمام النووي ﷺ بمنزلة رفيعة بين علماء عصره، وليس هذا بعجيب، فإن المرء إذا كان همه الآخرة، وحسن قصده، وخلصت نيته، وصلحت سريرته، تهافتت قلوب العباد على محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه.

(١) المنهل ١٢١.

(٢) مرآة الجنان ٤ /.

(٣) ينظر: الإرشاد، تحقيق: عبد الباري فتح الله السلفي، ط / مكتبة الإيمان.

وقد زخرت الكتب التي ترجمت للنووي ثناء العلماء عليه في عصره، وبعده إلى يومنا هذا، ولولا أنني التزمت الإيجاز لأسهبت فيها ولكن أذكر طرفاً منها تشبيهاً ببعض على الكل.

وصفه تلميذه ابن العطار بقوله: "شيخي وقدوتي، الإمام ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أوحد دهره، وفريد عصره، الصوام القوام، الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، صاحب الأخلاق المرضية، والمحاسن السنية، العالم الرياني، المتفق على علمه وإمامته وجلالته، وزهده وورعه وعبادته وصيانتته في أقواله وأفعاله، وحالته، له الكرامات الطافحة، والمكرمات الواضحة، المؤثر بنفسه وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق ولاية أمورهم بالنصح والدعاء في العالمين، وكان كثير التلاوة والذكر لله تعالى حشرنا الله تعالى في زمرة..."^(١).

وقال المحدث أبو العباس بن فرح^(٢): "كان الشيخ قد صارت إليه ثلاث مراتب، كل منها لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال:

المرتبة الأولى: العلم.

المرتبة الثانية: الزهد.

المرتبة الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

وقد أثنى عليه الحافظ الذهبي ثناءً بالغاً في كتابه (سير أعلام النبلاء) بقوله: "الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرياني،

(١) تحفة الطالبين ٢١.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد الإشبيلي الشافعي الحافظ الزاهد العالم شيخ المحدثين، ولد سنة ٦٢٤هـ، مات سنة ٦٩٩هـ، ينظر في ترجمته: الشذرات ٤٤٣/٥، العبر ٣٩٥/٣.

(٣) المنهل العذب ١١٢.

شيخ الإسلام، حسنة الأنام، محيي الدين، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقصى البلدان... إلى أن قال: لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في ذلك، مبتغيا وجه الله تعالى، مع التعبد، والصوم والتمجد، والذكر والأوراد، وحفظ الجوارح، وذم النفس، والصبر على العيش الخشن، ملازمة كلية لا مزيد عليها، وكان مع ملازمته التامة للعلم، ومواظبته لدقائق العمل وتركية النفس من شواب الهوى وسيء الأخلاق ومحققها من أغراضها، عارفا بالحديث، قائما على أكثر فنونه، عارفا برجاله، رأسا في نقل المذهب، متضلعا من علوم الإسلام^(١).

(١) تحفة الطالبين ٢١.

الباب الأول

منهج النووي في تلقي العقيدة

وفيه فصول:

الفصل الأول: حجية خبر الواحد في مسائل الاعتقاد

الفصل الثاني: موقفه من التأويل

الفصل الثالث: موقفه من التفويض

الفصل الرابع: موقفه من الفرق

الفصل الخامس: موقفه من التصوف

الفصل الأول

حجية الخبر الواحد في مسائل الاعتقاد

تمهيد:

خبر الواحد وحجيته في العقائد، وهل يفيد العلم القطعي أو الظن؟، من أهم المسائل التي بحثها أهل العلم لأنها متعلقة بأصل الشرع، والمصدر الثاني من مصادر التشريع ألا وهو السنة النبوية، التي من ردّها فقد عطل الشرع. وقد ثار حولها الجدل، وكثر فيها الخلاف، وتعددت فيها الأقوال عند الحديث والفقهاء والأصوليين والمتكلمين، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبهم من بحث هذه المسألة.

ولقد أشار النووي إلى ذلك حين قال: "وصنف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنفات مستكثرات مستقلات في خبر الواحد" (١).

وملخص الأقوال في هذه المسألة ثلاثة:

القول الأول: خبر الواحد يفيد العلم مطلقا.

القول الثاني: خير الواحد يفيد العلم إذا احتضت به القرائن.

القول الثالث: خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا لا بقريئة ولا بغير قريئة إنما يفيد الظن (٢).

القول الأول: وهو أن خبر الواحد يفيد العلم، وذلك مطرد في خبر كل

واحد حكاه الأمدي ونسبه إلى بعض أهل الظاهر، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه (٣)، وقال به بعض الحنابلة حكاه القاضي أبو يعلى عنهم (٤).

(١) شرح صحيح مسلم ٦٢/١.

(٢) انظر: ملخص الأقوال في منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١١٥/١، والإحكام للأمدي ٤٨/٢..

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للأمدي، تحقيق: سيد الجميلي ٤٨/٢.

(٤) قال القاضي في كتابه (المجرد في المذهب): "خبر الواحد يوجب العلم إذا صح سنده، ولم تختلف الرواية به، وتلقته الأمة بالقبول، وأصحابنا يطلقون القول فيه، وأنه يوجب العلم وإن لم تتلقه بالقبول والمذهب ما حكيت لا غير". المسودة ٢٤٧.

الجواب عن هذا القول:

أنه لم يقل أحد من العقلاء: إن مجرد خبر الواحد يفيد العلم ويجب تصديقه كما بين ذلك شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى. فقد حقق شيخ الإسلام في المراد بخبر الواحد الذي يفيد العلم فقال: "لا يقول عاقل من العقلاء: إن مجرد خبر الواحد أو خبر كل واحد يفيد العلم" (١).

وقال أيضا: "إن أحدا من العقلاء لم يقل: إن خبر كل واحد يفيد العلم وبحث كثير من الناس إنما هو رد هذا القول" (٢).

أما أهل الظاهر فقد صرح إمامهم ابن حزم بأن خبر العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به، موجب للعمل والعلم معا" (٣)، فيلاحظ في كلام ابن حزم تقييده ذلك برواية العدل عن مثله ولم يطلق.

وأما ما نسبته الأمدي إلى الإمام أحمد رحمهما الله من القول بأن خبر الواحد يفيد العلم مطلقا فقد أغضب ابن القيم رحمهما الله وأجاب عنه وهو يعرض لهذه المسألة بعد تفضيل واف بلغ الثمانين صفحة.

فقال ما نصه: "المقام التاسع والعاشر: وهو أن قولهم: خبر الواحد لا يفيد العلم، قضية كاذبة باتفاق العقلاء إذا أخذت كلية عامة، وقضية لا تفيد إن أخذت جزئية أو مهملة.

فإن عاقلا لا يقول: كل خبر واحد لا يفيد العلم حتى تتصيبوا للرد عليه كأنكم في شيء، وكأنكم قد كسرتم عدو الإسلام، فسودتم الأوراق بغير فائدة حتى كذب بعض الأصوليين كذبا صريحا لم يقله أحد قط فقال:

(١) شرح الأصفهانية ٩٢.

(٢) المسودة ٢٤٤.

(٣) الإحكام لابن حزم ١/١٢١.

مذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه أن خبر الواحد يفيد العلم من غير قرينة وهو مطرد عنده في خبر كل واحد.

فيالله العجب، كيف لا يستحي العاقل من المجاهرة بالكذب على أئمة الإسلام لكن عذر هذا وأمثاله أنهم يستجيزون نقل المذاهب عن الناس بلازم أقوالهم، ويجعلون لازم المذهب في ظنهم مذهبا^(١).

فالإمام أحمد رحمته الله كما جزم ابن القيم رحمته الله لم يقل بهذا القول كما ادعى الأمدى بل هو كذب عليه.

ثم إن كلامه في الجرح والتعديل، ورد أخبار الضعفاء معروف ومشهور وتزخر به الكتب المؤلفة في رجال الحديث.

فالذي يظهر - والله أعلم - أن هذا القول ليس مقصود أصحابه كل خبر واحد يفيد العلم بل خبر العدل عن مثله وإن لم يكن قد تلقته الأمة بالقبول. وهذا هو الفرق بين قولهم وقول الجمهور.

القول الثاني: أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن:

والقرينة قد تتعلق بالخبر وقد تتعلق بالمخبر، وقد تتعلق بهما معا، ويدخل في ذلك الخبر المستفيض الذي رواه في أصله واحد، ثم استفاض واشتهر والخبر المتلقى بالقبول عند الأمة، أو من علماء الشأن ومنه ما رواه الشيخان أو أحدهما، ومنه ما كان مسلسلا بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر^(٢).

فهذا الخبر ونحوه يفيد العلم عند جمهور المحدثين والأصوليين وأكثر المتكلمين وعامة السلف وفقهاء الأمة^(٣).

(١) مختصر الصواعق ٥٠٩/٢ - ٥١٠.

(٢) انظر: التدريب ١٠٦/١، المسودة ٤٢٠.

(٣) انظر: فتح المغيث ٥١/١، ورفع الملام ٤٦.

وسياتي ذكر الأدلة على صحة هذا المذهب وكلام الأئمة في ذلك إن شاء الله تعالى.

القول الثالث: إن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقاً سواء اقتربت به قرينة أم لا: وهو مذهب بعض المتكلمين والأصوليين، كالجويني^(١) والغزالي^(٢) والبغدادي^(٣) والباقلاني^(٤) والرازي^(٥).

هذا ملخص سريع للأقوال في ما يفيد خبر الواحد وسياتي ذكر الأدلة على صحة القول الثاني وشبه أهل القول الثالث والرد عليهم إن شاء الله تعالى بعد ذكر رأي الإمام النووي فيه ومناقشته.

مذاهب العلماء في الاحتجاج بأحاديث الأحاد:

المذهب الأول: مذهب الذين لا يحتجون بالأحاديث الأحاد مطلقاً: وهؤلاء لا يحتجون بأحاديث الأحاد لا في العقائد ولا في الأحكام، وحجتهم أن هذه الأحاديث لا تفيد إلا الظن، وما كان كذلك فقد نهينا عن اتباعه وذم متبعيه: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٦).

وهؤلاء يرون أنه لا يحتج إلا بما يفيد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٧).

المذهب الثاني: مذهب الذين لا يحتجون بالأحاد في العقائد: وهؤلاء يرون

(١) البرهان في أصول الفقه ٥٩٩/١، الشامل في أصول الدين ٥٥٧.

(٢) المستصفى ١٤٥/١.

(٣) الفرق بين الفرق ٣٢٥، أصول الدين للبغدادي ١٢.

(٤) التمهيد ٤٤١.

(٥) أساس التقديس في علم الكلام ١٢٣ - ١٢٥.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

أن أحاديث الآحاد تفيد الظن أيضاً ولا تفيد العلم إلا أنه يجب الاحتجاج بها في الأحكام، أما العقائد فإنها قطعية فلا يجوز أن يحتج عليها إلا بقطعي.

وحجة هؤلاء هي نفس حجة أصحاب المذهب الأول، فهم يحتجون على أن الآحاد لا تفيد العلم بالآيات الناهية عن اتباع الظن.

وهؤلاء تناقضوا لأن هذه النصوص التي احتجوا بها تنهى عن اتباع الظن في العقائد والأحكام.

والقائلون بهذا القول جماعة قليلة من متأخري أهل الحديث ومن الأصوليين وقال به علماء الكلام قديما، وكثر القول به في عصرنا، ولم يقل بهذا القول على إطلاقه أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا من التابعين رحمهم الله، ولا من الأئمة المرضيين أمثال مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق وداود الظاهري والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

المذهب الثالث: مذهب الذين يقولون تفيد الظن لا العلم، ومع ذلك فإنه يحتج بها في العقائد، فالخلاف بين هؤلاء والذين يقولون تفيد العلم خلاف نظري ليس له أثر في الواقع.

والنووي رحمته الله من هذا الفريق كما سيأتي في عرض مذهبه وأقواله إن شاء الله تعالى.

المذهب الرابع: مذهب الذين يقولون تفيد العلم، ويحتج بها في أحوال:

الحالة الأولى: إذا كانت في الصحيحين أو في أحدهما:

وهو قول جمهور العلماء منهم ابن الصلاح وابن كثير وابن حجر وابن تيمية رحمهم الله.

الحالة الثانية: أن تتلقاه الأمة بالقبول^(١).

(١) أصل الاعتقاد، أ.د. عمر الأشقر ص ٣٥ - ٤٠ باختصار.

قال شارح الطحاوية: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»^(١).

الحالة الثالثة: المشهور:

فهو يفيد اليقيني عند كثير من العلماء كابن حجر وابن تيمية لأن ورود الحديث من أكثر من طريق مع اتفاق اللفظ قرينة واضحة على صحة نسبه إلى الرسول ﷺ.

الحالة الرابعة: المسلسل بالحفاظ الأئمة:

فما يرويه مالك عن نافع عن ابن عمر وأمثال ذلك من الأسانيد توجب العلم اليقيني إذا كان رواتها جميعاً من أمثال هؤلاء.

المذهب الخامس: الذين يحتجون بها مطلقاً لإفادتها العلم: ومن هؤلاء داود الظاهري وابن حزم، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد.

واختاره من المتأخرين العلامة صديق حسن خان^(٢)، قال رحمه الله: "والضرب الآخر من السنة خبر الآحاد، ورواية الثقات الأثبات بالسند المتصل والصحيح والحسن.

فهذا يوجب العمل عند جماعة من علماء الأمة وسلفها الذين هم القدوة في الدين والحجة الأسوة في الشرع المبين.

ومنهم من قال يوجب العلم والعمل جميعاً وهو الحق وعليه درج سلف هذه الأمة وأئمتها، لأن المتواترات - على حساب اصطلاح القوم - قليل جداً وغالب السنة الشريفة آحاد والعمل بها واجب حتم^(٣).

(١) شرح العقيدة الطحاوية، عبدالرحمن بن ناصر البراك ٥٠١/٢.

(٢) أصل الاعتقاد، ٤٣.

(٣) الدين الخالص ٢٨٤/٣.

موقف الإمام النووي من أخبار الآحاد وهل تفيد العلم؟

قال رحمه الله في كتابه (التقريب) في معرض كلامه عن الحديث الذي اتفق عليه البخاري ومسلم أو رواه أحدهما: "... وذكر الشيخ تقي الدين أن ما رواه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته، والعلم القطعي حاصل فيه، وخالفه المحققون والأكثرين فقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر"^(١).

أما في شرحه لصحيح مسلم فقد كان أكثر تفصيلاً وإنكاراً على ابن الصلاح في اعتقاده إفادة أخبار الصحيحين العلم وإن كانت أخبار آحاد كالمتواتر فنجده يقول بعدما ذكر كلام الشيخ المتقدم: "... وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرين فإنهم قالوا: أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة، إنما تفيد الظن فإنها آحاد، والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، وهذا متفق عليه؛ فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدُها ولا تفيد إلا الظن، فكذا الصحيحان إنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحاً لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً، وما كان في غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي ﷺ"^(٢).

وفي أول شرحه لصحيح مسلم وقول مسلم: "فيقال لمخترع هذا القول الذي وصفنا مقالته أو للذاب عنه: قد أعطيت في جملة قولك أن خبر الواحد الثقة

(١) التقريب والتيسير للنووي ٢٤، وهو مختصر لكتاب الإرشاد المختصر من كتاب ابن الصلاح (علوماً لحديث) المتقدم.

(٢) مقدمة شرح صحيح مسلم ٢٠/١، وانظر: شرح صحيح البخاري ٧.

عن الواحد الثقة حجة يلزم به العمل"^(١).

قال رحمته الله: "هذا الذي قال مسلم رحمته الله تنبيه على القاعدة العظيمة التي ينبني عليها معظم أحكام الشرع وهو وجوب العمل بخبر الواحد فينبغي الاهتمام بها والاعتناء بتحقيقها.

وقد أطنب العلماء - رحمهم الله - في الاحتجاج لها وإيضاحها، وأفردها جماعة من السلف بالتصنيف واعتنى بها أئمة المحدثين وأصول الفقه، وأول من بلغنا تصنيفه فيها الإمام الشافعي رحمته الله وقد تقرر أدلتها النقلية والعقلية في كتب أصول الفقه.

ونذكر هنا طرفاً في بيان خبر الواحد والمذاهب فيه مختصراً:

قال العلماء: الخبر ضربان: متواتر وآحاد، فالمتواتر ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب عن مثلهم ويستوي طرفاه والوسط، ويخبرون عن حسي لا مضمون ويحصل العلم بقولهم، ثم المختار الذي عليه المحققون والأكثر أن ذلك لا يضبط بعدد مخصوص ولا يشترط في المخبرين الإسلام ولا العدالة وفيه مذاهب أخرى ضعيفة وتفرعات معروفة مستقصاة في كتب الأصول، وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر واختلف في حكمه، فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل، وذهبت للقدرية

(١) صحيح مسلم مع الشرح ١٣٠/١، قال النووي هذا القول في معرض كلامه عن صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن وأن القائل إن كل إسناد لحديث فيه عن فلان وإن كانا في عصر واحد ويجوز أنه قد سمعه الراوي ممن روى عنه لكن لا يعلم له سماع منه ولم يثبت لهما لقباً قط لا تقوم الحجة بكل خبر جاء هذا المجي.

والرافضة وبعض أهل الظاهر إلى أنه لا يجب العمل به ثم منهم من يقول: منع من العمل به دليل العقل، ومنهم من يقول: منع دليل الشرع.

وذهبت طائفة إلى أنه يجب العمل به من جهة دليل العقل، وقال الجبائي^(١) من المعتزلة: لا يجب العمل إلا بما رواه اثنان عن اثنين، وقال غيره: لا يجب العمل إلا بما رواه أربعة عن أربعة.

وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنه يوجب العلم، وقال بعضهم يوجب العلم الظاهر دون الباطن.

وذهب بعض المحدثين إلى أن الأحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الأحاد...، وهذه الأقاويل كلها سوى قول الجمهور باطلة، وإبطال من قال: لا حجة فيه ظاهر فلم تزل كتب النبي ﷺ وآحاد رسله يعمل بها ويلزمهم النبي ﷺ العمل بذلك، واستمر على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم، ولم تزل الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد إذا أخبرهم بسنة وقضائهم به ورجوعهم إليه في القضاء والفتيا ونقضهم به ما حكموا به على خلافه وطلبهم خبر الواحد عند عدم الحجة ممن هو عنده واحتجاجهم بذلك على من خالفهم وانقياد المخالف لذلك وهذا كله معروف لاشك في شيء منه والعقل لا يحيل العمل بخبر الواحد، وقد جاء الشرع بوجوب العمل به فودب المصير إليه.

وأما من قال: يوجب العلم فهو مكابر للحس، وظيف يحصل العلم

(١) الجبائي شيخ المعتزلة أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري، أخذ عن أبي يعقوب الشحام، وعاش ثمانيا وستين سنة، ثم مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاث مائة، أخذ عنه فن الكلام أبو الحسن الأشعري ثم خلفه نابذه وتسني، انظر ترجمته في: السير ١٤/١٨٣، الذرات ٢/٢٤١.

واحتمال الغلط والوهم والكذب وغير ذلك متطرق إليه... والله أعلم^(١).
فالنووي رحمته الله يجزم فيما تقدم بأن خبر الواحد لا يفيد العلم/، حتى لو
كان في الصحيحين.

قال رحمته الله: "... فإن قيل: هذا نسخ للمقطوع به بخبر الواحد وذلك ممتنع
عند أهل الأصول فالجواب أنه احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم وخرج
عن كونه خبر واحد مجرداً"^(٢).

أما في شرحه للحديث نفسه في صحيح البخاري فقد بين القرائن
والمقدمات التي احتفت بالخبر فأفاد العلم.

فقال: "...وقد استدل به جماعة على قبول خبر الواحد، ولا يسلم لهم
الاستدلال به لأن هذا الواحد احتفت قرائن بخبره فأفاد العلم لأن القوم كانوا
متوقعين تحويل القبلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بقربهم، وغير ذلك من القرائن"^(٣).
هذا تحرير للخلاف في مسألة خبر الواحد وأقوال العلماء، وبيان موقف
الإمام النووي منه ومذهبه فيه.

والآن نناقش المسألة ورأي النووي فيها مع بيان الراجح:
المناقشة وتتضمن، ما يأتي:

١ - شرح كلام ابن الصلاح.

٢ - تحرير مذهب النووي في خبر الآحاد، وفيه:

أ/ هل يفيد العلم أو الظن.

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٠/١ - ١٣٢.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق

٢٣٢/١٣، عن ابن عمر، ومسلم كتاب الإيمان، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة

١٠/٥، عن البراء، والنسائي كتاب القبلة، باب استقبال القبلة ٦٠/٢ عن البراء، وأحمد

١١٦/٢ عن ابن عمر.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩/٥.

ب/ عن تلقى هذا المذهب؟

ج/ احتجاجه به في العقيدة.

٣ - التحقيق في نسبة النووي رحمته الله القول بإفادة خبر الأحاد المتلقى بالقبول الظن إلى الأكثرين والمحققين.

٤ - الأدلة على صحة وترجيح القول بإفادة خبر الواحد العلم إذا احتفت به القرائن.

١ - شرح كلام ابن الصلاح:

قال رحمته الله في مقدمته (١) في معرض كلامه عن صحيح البخاري ومسلم ما نصه: «... وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن، وإنما تلقتة الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن، والظن قد يخطئ، وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ.

والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ، ولهذا كان الإجماع المبتنى على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها وأكثر إجماعات العلماء كذلك، وهذه نكته نفيسة نافعة ومن فوائدها القول بأن ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول» (٢).

فمعنى كلامه هذا أن ما اتفق عليه الشيخان أو انفرد به أحدهما يفيد العلم اليقيني، لتلقي الأمة لهما بالقبول، أما أخبار الأحاد في غير الصحيحين فلا تفيد العلم، وإن احتفت بها القرائن (٣).

(١) مقدمة ابن الصلاح، تقي الدين بن الصلاح، ص ١٤.

(٢) مقدمة ابن الصلاح، تقي الدين بن الصلاح، ص ١٤.

(٣) هذا الذي أفهمه من كلام ابن الصلاح، وانظر: أصل الاعتقاد، أ.د. عمر الأشقر ص ٢٨، الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه ٤٤١ - ٤٤٦.

وأشار إلى ذلك النووي رحمه الله في مقدمة شرحه لصحيح مسلم فقال: «... وذهب بعض المحدثين إلى أن الأحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الأحاد وقد قدمنا هذا القول وإبطاله في الفصول...»^(١).

٢ - تحرير مذهب النووي في خبر الأحاد، وفيه:

أ/ هل يفيد العلم أو الظن؟

كلام النووي المتقدم في تعقبه كلام ابن الصلاح لا سيما في شرحه لصحيح مسلم يعطي تصورا كافيا لمذهبه فهو يصرح بأن خبر الواحد وإن كان في الصحيحين، وإن تلقته الأمة بالقبول، وأجمعت عليه؛ لا يفيد العلم، إنما يفيد الظن وتلقي الأمة بالقبول إنما أفاد وجوب العمل بما فيهما، كأخبار الأحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ولا تفيد إلا الظن.

وقد وافق النووي وخال ابن الصلاح العز بن عبد السلام^(٢).

أما العلماء الذين جاؤوا بعد النووي كالحافظ ابن كثير^(٣) وسراج الدين البلقيني^(٤) وابن حجر^(٥) فقد خالفوا النووي ووافقوا ابن الصلاح.

ب/ عن تلقى هذا المذهب؟

لم تسعف كتب التراجم بذكر مشايخ للإمام النووي في العقيدة، والناظر في مؤلفاته يلحظ كثرة نقله عن الأصوليين والمتكلمين الأشاعرة مثل القاضي أبي بكر الباقلاني، والغزالي، والجويني، وغيرهم، وهؤلاء يقولون: إن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣١/١ - ١٣٢.

(٢) انظر: التقييد والإيضاح للعراقي ٢٨، والنكت ٣٧١/١.

(٣) انظر: الباعث الحثيث ٣٥.

(٤) انظر: محاسن الاصطلاح ١٠١.

(٥) انظر: النكت على ابن الصلاح ٣٧١/١.

ومن المفيد في ذلك: ما ذكر السخاوي من أن النووي قرأ على القاضي أبي الفتح عمر بن بندار بن عمر التفليس الشافعي (المنتخب) للرازي، وقطعة من (المستصفي) للغزالي، وقرأ أكثر (مختصر ابن الحاجب) على العزبأبي المفاخر محمد بن عبدالقادر بن الصائغ^(١).

وقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة - كما سيأتي إن شاء الله - وذكر كلام ابن الصلاح والاعتراض عليه... وبعد كلام طويل في هذه المسألة والإجابة عن اعتراض النووي وغيره على ابن الصلاح قال: "...وعذرهم^(٢) أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى السيف الأمدي، وإلى ابن الخطيب فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي والجويني والباقلاني..."^(٣).

ج/ احتجاجه به في العقيدة:

إن المتأمل لشرح النووي لصحاحي البخاري ومسلم يجزم أنه رحمته الله وإن كان يقول بإفادة خبر الواحد الظن إلا أنه يحتج به في العقائد، ويوجب عقد القلب عليه، مذهبه في ذلك مذهب ابن عبدالبر^(٤) رحمته الله القول بإفادة خبر الواحد الظن مع إثبات العقائد به، ذلك لأن ابن عبدالبر والنووي رحمهما الله من أهل الأثر المعظمين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالخلاف بينهما وبين الجمهور القائلين بإفادة خبر الواحد العلم خلاف نظري ليس له أثر في الواقع.

ولم أقف فيما قرأت من مؤلفات النووي رحمته الله على أنه يرد عقيدة لأن الخبر آحاد.

(١) المنهل العذب ٥٠ - ٥١.

(٢) النووي وابن عبدالسلام، انظر: التدريب ١٠٥/١.

(٣) نقله عنه ابن القيم في مختصر الصواعق ٤٦٤/٢ - ٤٦٥.

(٤) فقد قال عن حديث الآحاد: "إنه يوجب العمل دون العلم"، قم قال: "وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعا وحكما ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة والجماعة، التمهيد لابن عبدالبر ٨/١، وانظر: جامع بيان العلم وفضله ٩٦/٢، وانظر: المسودة ٢٤٤ - ٢٤٥.

وعندما تتبع شرحه للأحاديث المشتملة على العقائد في صحيح مسلم نجده يثبت ما دلت عليه، وذلك كأحاديث زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم مرتكب الكبيرة والشفاعة لأهل الكبائر، وأشراط الساعة، ومشاهد القيامة، وعذاب القبر وفتنته، ومعجزات الرسول ﷺ وبدء الخلق والملائكة وخلق الجنة والنار والحوض والميزان والصراط وفضائل الصحابة وغيرها. وإذا نفى بعض الصفات فليس لكون أخبارها آحادا بل يؤولها على مذهب الأشعرية لشبهة التشبيه أو حلول الحوادث أو غير ذلك، كما سيأتي إن شاء الله.

ولا بد من ذكر بعض الأمثلة الدالة على إثباته للعقائد ولو كان الخبر آحادا، فمن ذلك مثلا:

قوله رحمته في حديث ضمام بن ثعلبة^(١) وقد تضمن عقائد: "وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد"^(٢).

قوله في باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: في شرح حديث معاذ المشتمل على الدعوة إلى التوحيد^(٣): "وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: وقل رب زدني علما، ١/١٤٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام ١/١٦٩، والنسائي، كتاب الصيام، باب وجوب الصيام ٣/١٢١، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها ١/٤٤٩، كلهم عن أنس، وأحمد ٤/١١٢، عن عمرو بن عبسة.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١٧١.

(٣) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب الزكاة، باب وجوب لزكاة ٣/٢٦١، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/١٩٨، والترمذي، كتاب الزكاة، باب في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة ٢/٦٩، والنسائي، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٥/٢، وابن ماجه، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة ١/٥٦٨، كلهم عن ابن عباس.

ووجوب العمل به" (١).

وقوله في شرح حديث: أمرت أن أقاتل الناس (٢) ... "وفيه الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ" (٣).
وفي شرح حديث عبد الله بن مسعود: ((إن الله جميل يحب الجمال)) (٤)
قال: "واعلم أن هذا الاسم ورد في الحديث الصحيح، ولكنه من أخبار الآحاد وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنی، وفي إسناده مقال، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى..." (٥).

فهو يختار إطلاق هذا الاسم على الله لوروده في النص الصحيح وإن كان من أخبار الآحاد.

٣ - التحقيق في نسبة النووي ﷺ القول بإفادة خبر الآحاد المتلقى بالقبول الظن إلى الأكثرين والمحققين:

تقدم في تعقب الإمام النووي ابن الصلام نسبة النووي القول بإفادة خبر الآحاد المتلقى بالقبول الظن إلى الأكثرين في قوله: "وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرين..." إلخ كلامه.
وهذا خطأ ظاهر نبه إليه شيخ الإسلام في كلام نقله عنه تلميذه ابن القيم في الصواعق المرسله.

قال ﷺ بعدما قسم الأخبار إلى متواتر وآحاد: "... وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ولكن تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له... فهذا يفيد العلم اليقيني عند

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١٩٧.

(٢) سيأتي تخريجه، انظر ص .

(٣) المرجع السابق ١/٢١٢.

(٤) سيأتي تخريجه، انظر: ص ١١٨.

(٥) المرجع السابق ٢/٩٠.

جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين... إلا أن قال: وإنما نازع في ذلك طائفة كابن الباقلاني ومن تبعه مثل أبي المعالي والغزالي وابن عقيل.

وقد ذكر أبو عمرو بن الصلاح القول الأول وصححه واختاره، ولكن لم يعلم كثرة القائلين به ليتقوى به، وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة، وظن من اعترض عليه من المشايخ (١) الذين لهم علم ودين، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو وانفرد به عن الجمهور.

وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب، وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى السيف الأمدي وإلى ابن الخطيب، فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي والجويني والباقلاني... ثم قال: وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو (٢).

وقال: "وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالإسفرائيني وابن فورك" (٣).

٤ - الأدلة على صحة وترجيح القول بإفادة خبر الواحد العلم إذا احتفت

به القرائن:

كفى ابن القيم رحمته الله من جاء بعده مؤونة جمع الأدلة على أن أحاديث الأحاد تفيد اليقين، وذكر أكثر من عشرين دليلاً، فمن جملة ما ذكر من الأدلة:

١ / أن المسلمين لما أخبرهم الواحد وهم بقباء أن القبلة قد حولت إلى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الحجة التي كانوا عليها واستداروا إلى القبلة ولم

(١) يقصد النووي وابن عبد السلام.

(٢) مختصر الصواعق ٢/٤٦٤ - ٤٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/٤٠ - ٤١، وانظر: كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن

المحمود ٢/٧٤١ - ٧٤٤.

ينكر عليهم رسول الله ﷺ.

٢ / أن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١)، وهذا

يدل على الجزم بقبول خبر الواحد أنه لا يحتاج إلا للتثبت ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم، ومما يدل عليه أيضا أن السلف الصالح لم يزلوا يقولون: قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة.

٣ / قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٢)، أي لا تتبعه ولا تعمل به،

ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقضون أخبار الأحاد ويعملون بها ويشبتون لله تعالى بها الصفات، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلاهم قد قفوا ما ليس لهم به علم.

٤ / قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٣)،

والطائفة تقع على الواحد فما فوقه فأخبر أن الطائفة تنذر قوهم إذا رجعوا إليهم والإنذار الإعلام بما يفيد العلم (٤).

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٤) مختصر الصواعق ٢/٤٧٧ - ٤٧٩ باختصار، أصل الاعتقاد ٤٧ - ٤٩ باختصار.

الفصل الثاني

موقفه من التأويل

والمراد بالتأويل هنا التأويل في نصوص الصفات وهو أهم وأخطر المسائل والأبواب التي جهد أهل الكلام في تأويل نصوصها وصرفها عن ظاهرها وحقيقتها لمخالفتها عقيدتهم.

وتبرز أهمية وخطورة هذا الباب في أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات.

ولقد خاض أهل الكلام في هذا الباب بعلم أو بغير علم، وصاحب ذلك هوى وشبهات وشهوات، وقلة تحقيق في ذلك، فلبسوا الحق بالباطل وزينوا ذلك لغيرهم وما ذاك إلا لتعلقهم بالشبه والضلالات العقلية وعدم اقتصارهم على النصوص الشرعية^(١).

والإمام النووي رحمته الله على مذهب الأشعرية في تأويل كثير من الصفات، ولأهمية هذا الموضوع وقبل عرض أقوال النووي رحمته الله ومناقشتها لا بد من عرض ما يلي:

١ / معنى التأويل في اللغة.

٢ / معنى التأويل في الاصطلاح عند السلف وعند المتأخرين، ثم ذكر النووي من التأويل وإبطال مذهب المؤولة والأدلة على ذلك.

١ - معنى التأويل في اللغة:

وردت لفظة التأويل التي مادتها (آل) في معاجم اللغة تحمل هي واشتقاقها معنيين^(٢).

(١) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة "عرضاً ونقداً"، د. سليمان الغصن ٥٢٩/٢ باختصار.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٧/١٥، اللسان ٣٢/١١.

الأولى: المرجع والمصير والعاقبة:

قال الأزهري^(١): "وأما التأويل فقليل: من أول يؤوب تأويلا وثلاثية آل يؤول: أي رجع وعاد"^(٢).

قال: طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربيع: أي رجع^(٣).

وقال ابن فارس^(٤): "ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول

إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^(٥).

يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم^(٦).

المعنى الثاني: التفسير والبيان:

قال في اللسان: أول الكلام تأويلا، وتأوله: دبره وقدره وفسره^(٧).

وقال الطبري: "وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع

والمصير"^(٨).

٢ - معنى التأويل في الاصطلاح:

أولا: التأويل عند السلف: التأويل عند السلف يطابق معناه اللغوي المتقدم،

فيأتي بمعنى العاقبة وهو الغالب في استعمال القرآن، ويأتي بمعنى التفسير

(١) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور كان رأسا في اللغة والفقاه ثقة دينا ثبتا، ت سنة

٣٧٠هـ، انظر: السير ٣١٥/١٦ - ٣١٧، الشذرات ٧٢/٣، ٧٣.

(٢) تهذيب اللغة ٤٥٨٧٣/١٥.

(٣) المصدر السابق ٤٣٨/١٥، اللسان ٣٢/١١.

(٤) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المالكي اللغوي المحدث العلامة

كان رأسا في الأدب بصيرا بفقاه مالك مناظرا متكلم على طريقة أهل الحق، له مصنفات

كثيرة ت سنة ٣٩٥هـ، انظر: السير ١٠٣/١٧ - ١٠٦، وفيات الأعيان ١٠٠/١، ١٠١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة ١٦٢/١.

(٧) اللسان ٣٣/١١.

(٨) جامع البيان في تفسير القرآن ١٢٣/٣.

وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم المتقدمين^(١).

المعنى الأول: العاقبة وهو غالباً استعمال القرآن الكريم، فالكلام

قسمان:

خبر وإنشاء، والإنشاء: أمر ونهي وإباحة، وتأويل الخبر هو وقوع نفس المخبر به، فتأويل ما أخبر به عن أسمائه وصفاته هو نفس ما عليه الأسماء والصفات من الحقائق والكيفيات، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

وتأويل ما أخبر الله به عما في الجنة من المآكل والمشرب والملابس والمناكح هو حقيقة ما عليه هذه الأشياء يوم القيامة.

وكذلك تأويل الرؤيا التي في النوم: هو وقوعها في الخارج كما قال

يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدِّجَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٢).

وتأويل الأمر هو إتيان المأمور، وكذا النهي اجتناب المنهي عنه^(٣).

ومن الأمثلة لهذا المعنى:

١ / قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤)، على القول بالوقف في لفظ

الجلالة، فالتأويل بمعنى العاقبة هكذا فسره ابن فارس فقال: "أي لا يعلم

الآجال والمدد إلا الله - جل ثناؤه - لأن القوم^(٥) قالوا في مدة الملة ما قالوه

فأعلموا أن مآل الأمر وعقابه لا يعلمه إلا الله، واشتقاق الكلمة من المآل وهو

(١) انظر: درء التعارض ١/١٤، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

لعثمان بن علي حسن ٥٣٦/٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان بن علي ٥٣٧/٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٥) الظاهر أنهم أهل التجيم والكهانة.

العاقبة والمصير" (١).

وقال ابن جرير في تفسير الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمه وما هو كائن إلا الله دون من سواه من البشر الذي أملوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة" (٢).

٢ / قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣)، فسرّه مجاهد بالثواب والجزاء، وفسره السدي وغيره بالعاقبة والمآل (٤).

المعنى الثاني: من معاني التأويل عن السلف: التفسير: والمقصود تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافق، وهذا التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم (٥).

ومن الأمثلة لهذا المعنى:

١ / قوله تعالى: ﴿بَنِيَّ نَبَاتٍ وَأَوِيلِهِ﴾ (٦)، أي بتفسيره (٧).

٢ / دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه

(١) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ٣١٤، ٣١٥، تحقيق: السيد أحمد صقر.

(٢) جامع البيان ١٢٢/٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤٩١/١.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٥/٥، أضواء البيان ٣٢٩/١.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٠٠٠.

التأويل)) (١).

فالتأويل هنا التفسير يوضحه قول ابن عباس: (أنا ممن يعلم تأويله) (٢).
هذا هو معنى التأويل، عند السلف بمعنى العاقبة والمصير وهو الغالب على استعمال القرآن الكريم.

وبمعنى التفسير وهو اصطلاح السلف وهو الذي يذكره المفسرون كالطبري ويعنون به تفسير الآيات.

ثانياً: التأويل عند المتأخرين:

لقد ظهر مصطلح التأويل عند المتأخرين من الأصوليين والمتكلمين والفلاسفة ونحوهم بمعنى يختلف عن معناه عند السلف، بل ويختلف عن معناه في اللغة العربية (٣).

وقد تعددت التعريفات للتعبير عن معنى التأويل بمصطلح المتأخرين أشهرها تعريفه بأنه "صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح لدليل يقترب به" (٤).
وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية فالتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد (٥).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٧/٤، ط/ دار المعارف، وصحح إسناده أحمد شاکر، ورواه ابن حبان في صحيحه ٥٣١/١٥ رقم ٧٠٥٥، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث فوضعت لرسول الله ﷺ طهوراً فقال: ((من وضع هذا؟ قالت ميمونة: عبد الله فقال ﷺ: الله فقهه في الدين وعلمه التأويل))، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) تفسير الطبري "جامع البيان" ١٢٢/٣.

(٣) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٤٩٧/١.

(٤) انظر: التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٥٥/٣، مجموع الفتاوى ٢٨٨/١٣، درء التعارض ٢٣٥/٥، ٣٨٢، شرح العقيدة الطحاوية ٢١٥، ط/ المكتب الإسلامي.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢١٥ ط/ المكتب الإسلامي.

ولعل أدق التعاريف تعريف الأمدى لأنه عرّف التأويل من حيث هو دون نظر إلى فاسده من صحيحه فقال^(١): "أما التأويل - من حيث هو تأويل - مع قطع النظر عن الصحة والبطلان - هو: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له"^(٢).

فهذا التعريف من أشمل التعاريف وأدقها في التعبير عن التأويل في مصطلح المتأخرين، ولم يكن معروفاً عن السلف ولا يعرف في لغة العرب.
موقف النووي من التأويل:

سيكون بيان موقف النووي رحمته الله من التأويل وغيره من المسائل من خلال استعراض أقوالها المنشورة في مؤلفاته بعد عرض مذهب أهل السنة ومذهب المتأخرين لنتصور إلى أي الفريقين يميل... وأيهما يوافق، وذلك بسرد أقواله ثم بيان ما فيها، فما وافق فيه مذهب أهل السنة يقال: أصاب وما أخطأ فيه يقال: أخطأ.. والعدل أقرب للتقوى.

قال رحمته الله: "اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بتأويل

أم لا؟

قيل: تتأول على ما يليق بها، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين، وقال آخرون: لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها ويوكل علمهما إلى الله تعالى، ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى، وانتفاء صفات الحادث عنه..."^(٣)، إلخ كلامه، وسيأتي بتمامه في فصل التفويض إن شاء الله تعالى.

وقال في شرحه لصحيح مسلم عن أحاديث الصفات: "منهم من قال: نؤمن بها ولا نتكلم في تأويله ولا نعرف مهناه، لكن نعتقد أن ظاهرها غير مراد

(١) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٤٩٨/١.

(٢) الإحكام للأمدى ٥٩/٣.

(٣) المجموع ٢٥/١.

وأن لها معنى يليق بالله تعالى وهذا مذهب جماهير السلف وطوائف المتكلمين.
والثاني: أنها تقول على ما يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين... (١).

وقال في موضع آخر بعد ما حكى مذهب المفوضة: "والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، ذا رياض في العلم" (٢).

وقال عن حديث الصورة (٣): "فهو من أحاديث الصفات، وقد سبق في كتاب الإيمان بيان حكمها واضحا ومبسوطا وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم.

والثاني: أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء" (٤).

أقول: لعل مما سبق يتبين أن النووي رحمته الله يرجح:

١ / جواز التفويض للصفات وينسبه إلى مذهب السلف، وسيأتي بيان ذلك ومناقشته في مبحث التفويض.

٢ / جواز التأويل على منهاج المتكلمين في باب الصفات، وهذا هو الذي رجحه عمليا في كتبه - كما سيأتي تفصيله - ولما كان الكلام هنا عن التأويل فإنني سأورد المناقشة لمذهبه هذا ولغيره من المتكلمين.

(١) شرح صحيح مسلم ٢١١/١٢، ٢١٢.

(٢) المصدر السابق ١٩/٣.

(٣) حديث الصورة المقصود به حديث خلق آدم على صورة الرحمن، وسيأتي تخريجه والكلام عنه في الباب الثاني إن شاء الله.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٦/١٦، وانظر ١٩/٣.

فأقول وبالله التوفيق: إبطال مذهب المؤولة والأدلة على ذلك:

١/ إن السلف الذي أثبتوا صفات الله جميعها يقولون بكل قوة: إن الذي اثبتناه من الصفات هو من عند الله، بينما لا يستطيع الذين أولوا الصفات أو بعضها أن يقولوا إن الذي فعلوه هو من عند الله تعالى، أو أن صيغة التأويل الجديدة هي من عند الله تعالى (١).

ولا يملك أحدهم أن يدعي أن ما أول عليه النصوص من المعاني ولا يجزم أنه من عند الله بل كما قال عنهم شيخ الإسلام: "... أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ" (٢)، وقد صرح بذلك أئمتهم (٣).

٢/ إن كان الحق ما يقوله هؤلاء المؤولة النافون لمعاني النصوص الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها؛ دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة أن يتكلموا دائماً بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء فروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها (٤)!!

٣ - القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف بين أمرين

كليهما باطل:

الأول: أن الصحابة والسلف لم يفهموا الحق في ذلك، وأن ظواهر هذه

(١) انظر: علاقة التفويض والإثبات بصفات رب العالمين، رضا بن نعيان معطي ٥ - ٦.

(٢) درء التعارض ١٢/١..

(٣) انظر: قانون التأويل للغزالي ٢٢ - ٢٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/٥ - ١٦.

النصوص باطل، ومن المعلوم ضرورة أن الله تعالى رضي عن الصحابة، وذلك لموافقتهم مراد الله تعالى قولاً وعملاً واعتقاداً.

الثاني: أنهم علموا الحق وفهموه، لكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين وهذا لا يليق بمقام الصحابة وما علم عنهم من العدالة وحب الحق والحث عليه والدعوة إلى الله وبذل النفس والنفيس في سبيل ذلك^(١).

٤ / أن المتأولين لم يستفيدوا بتأويلهم إلا تعطيل حقائق النصوص والتلاعب بها وانتهاك حرمتها وأنهم لم يتخلصوا مما ظنوه محذورا بل هو لازم لهم فيما فروا إليه كلزومه فيما فروا منه، بل قد يقعون فيما هو أعظم محذورا كحال الذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء فرارا من التحيز والحصص، ثم قالوا هو في كل مكان بذاته، فنزهوه عن استوائه على عرشه ومباينته لخلقه، وجعلوه في أجواف البيوت والآبار، والأواني والأمكنة التي يرغب عن ذكرها، والمقصود أن المتأول يفر من أمر فيقع في نظيره أو ما هو أشد منه^(٢).

٥ / المتأولة يقولون: الظاهر المتبادر من نصوص الصفات: التشبيه والتجسيم والحق الذي لا مزية فيه أنا لمتبادر من كل وصف صبت في الكتاب والسنة، والسابق إلى فهم المؤمنين منه هو التنزيه التام عن مشابهة الحوادث، فمجرد إضافة الصفة إليه تعالى يقطعها عن مشابهة صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو مباينة الخالق للمخلوق، في ذاته وصفاته؟ لا والله لا ينكر هذا إلا مكابر تنجس قلبه وفكره بقدر التشبيه أولا، ثم لجأ إلى ما توهمه تنزيها، وهو في الحقيقة

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ١٣٠.

(٢) الصواعق المرسله ١/٢٣٤، ٢٣٥.

تعطيل (١).

هذه ردود مجملة ومختصرة ليس المقصود منها الاستقصاء إنما الاكتفاء بما يتبين معه الحق.

الفصل الثالث

موقفه من التفويض

١ - معنى التفويض في اللغة:

قال ابن فارس: الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على الآخر ورده عليه.

ومن ذلك فوض إليه أمره: إذا رده، قال الله تعالى في قصة من قال: ﴿وَأُفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ (١).

ومن ذلك قولهم: باتوا فوضى، أي مختلطين ومعناه أن كلا فوض أمره إلى الآخر (٢).

وقال الأزهري: تقول: فوضت الأمر إليه: أي جعلته إليه.

قال الله عز وجل: ﴿وَأُفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي أتكل عليه (٣).

إذن معنى التفويض لغة الاتكال والاعتماد ورد المرء الأمر إلى غيره.

٢ - حقيقة مذهب أهل التفويض:

أهل التفويض طائفة من المتأخرين، تعارض عندهم المعقول والمنقول فأعرضوا عنهما جميعاً، واعتقدوا أن نصوص الصفات وغيرها من نصوص العقائد متشابهة، لا يعلم معناها المراد منها إلا الله سبحانه وتعالى، وجعلوا الوقف في الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (٤).

(١) سورة غافر، الآية: ٤٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٤٦٠.

(٣) تهذيب اللغة ١٢/٧٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ثم هم طائفتان من حيث إثبات ظواهر النصوص ونفيها:

الطائفة الأولى: تقول: إن لهذه النصوص معاني تخالف مدلولها المفهوم منها، وأن ذلك المعنى المراد بها لا يعلمه إلا الله، لا جبريل ولا محمد ﷺ ولا غيره من الأنبياء ولا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، كما لا يعلمون وقت الساعة.

الطائفة الثانية: تقول: تجري على ظاهرها وتحمل عليه، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها وقال - مع هذا - إنها تحمل على ظاهرها^(١).

وهم أيضاً طائفتان من حيث علم الرسول ﷺ بمعاني النصوص وعدمه: الأولى: تقول: إن الرسول ﷺ كان يعلم معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة، لكن لم يبين للن مراد بها ولا أوضحه إيضاحاً يقطع به النزاع. الثانية: - وهم أكابرهم - قالوا: إن معاني هذه النصوص المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وعلى قولهم: يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة ولا السابقون الأولون^(٢).

وعند الطائفتين أن هذه النصوص إنما أنزلت لظهور كمال العبودية، والانقياد لأوامر الله وتحصيل الثواب بتلاوتها وقراءتها من غير فقه ولا فهم^(٣).

٣ - موقف النووي من التفويض:

قال رحمته الله: "اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا؟".

(١) انظر: در التعارض ١٤/١ - ١٦، ومجموع الفتاوى ٦٦/٣ - ٦٧، ٣٤/٥، ٦٧/٤، شرح العقيدة

الطحاوية ٥٢٧ - ٥٢٨، ط/ المكتب الإسلامي، أساس التقديس ١٢٣.

(٢) انظر: درء التعارض ٢٠٤/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٤٤٢/١٦، أساس التقديس ١٢٩.

قيل: تتأول على ما يليق بها، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين.
وقال آخرون: لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها ويوكل علمها إلى
الله تعالى، ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى، وانتفاء صفات الحادث عنه.
فيقال مثلاً: نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى، ولا نعلم حقيقة معنى
ذلك والمراد به، مع أننا نعتقد أننا لله تعالى: "ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن
الحلول وسمات الحدوث، وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم، وهم أسلم إذ لا
يطالب الإنسان بالخوض في ذلك" (١).

وقال: "اعلم أنه لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين
أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل
يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى
وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن
التجسم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو
مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.
والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها
على حسب مواقعها..." (٢).

وفي شرحه لحديث الصورة قال: هو من أحاديث الصفات، وقد سبق في
كتاب الإيمان بيان حكمها واضحاً ومبسوطاً وأن منا لعلماء من يمسك عن
تأويلها ويقول: نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا
مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم.

والثاني: أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى..." (٣).

(١) المجموع ٢٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٩/٣.

(٣) المصدر السابق ١٦/١٦٦.

٤ - حجج أهل التفويض:

لهم في مذهبهم هذا حج أهمها:

١/ ما أثر عن كثير من السلف أنهم قالوا في الصفات: أمروها كما جاءت قالوا: وهذا يدل على أن مذهبهم فيها الإيمان والتسليم وإمرارها كما جاءت وعدم الخوض في تأويلها، والوقوف عن تفسيرها.

٢/ قول الإمام مالك وغيره: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة^(١).

قالوا: إن معنى قوله: "غير مجهول" أي إنه وارد في القرآن ونفيه للكيف وإيجاب الإيمان به دليل على أنهم يسلمون ورود نصوص الصفات ويفوضون معانيها إلى الله تعالى.

٣/ احتجوا بالوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢)، قالوا: هذا دليل على التفويض.

٥ - مناقشة القائلين به:

١/ قول السلف في الصفات: "أمروها كما جاءت" معناه عندهم: الإيمان بها وإثباتها، والصحيح المشهور عنهم أنهم أثبتوا اللفظ ومعناه، وأمسكوا عن التمثيل والتكليف، وإنما قالوا هذه العبارة ونحوها في معرض الرد على المعطلة والمشبهة، مبالغة في الرد عليهم جميعا وتحقيقا للإثبات^(٣).

(١) روى هذا القول عن مالك الدارمي في الرد على الجهمية ٥٥، ٥٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥١٥، ٥١٦، من طريقين واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨ رقم ٦٦٤، وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٢٨ - ١٥١، وقد جوّد ابن حجر أحد إسنادي البيهقي، انظر: الفتح ١٣/٤٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) انظر: علاقة الإثبات والتفويض ٦٩ - ٧٠.

قال شيخ الإسلام ردا على هذه الحجة: "قولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروها لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول"^(١).

وقال في موضع آخر: "فقولهم ﷺ: أمروها كما جاءت رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف رد المثلة"^(٢).

٢ / أما قول الإمام مالك في الاستواء فهو موافق لمذهب السلف، وحجة على أهل التفويض.

قال شيخ الإسلام: "فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب موافق لقول الباقيين، أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه - على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم.

وأیضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عنا للفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأیضا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلى أن يقول: بلا كيف، فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول: بلا

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٥ - ٤٢.

(٢) المصدر السابق ٣٩/٥.

كيف ، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف" (١).

٣/ أما احتجاجهم بالوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، فمعناه أن آيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله تعالى - كما تقدم - وهذا الزعم قدح في القرآن والأنبياء ، فإن كان الله أنزل القرآن ، وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس ، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين ، وأن يبين للناس ما نزل إليهم ، وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرب عن صفاته ، أو عن كونه خالقا لكل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، أو عنه كونه أمر ونهي ، ووعد وتوعد ، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه ، فلا يعقل ولا يتدبر ، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ، ولا بلغ البلاغ المبين ، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي ، وليس في النصوص ما يناقض ذلك ، لأن تلك النصوص مشككة متشابهة لا يعلم أحد معناها ، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به (٢).

وأیضا: الخطاب الذي أريد به هداينا والبيان لنا ، وإخراجنا من الظلمات إلى النور ، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بين فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق ، ولا أوضحه مع أمره

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٥.

(٢) درء التعارض ٢٠٤/١ - ٢٠٥.

لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد عليه لم يبين الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه.

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد^(١).

٤ / من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكتاب أن يكون هداية للخلق ثم يبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، فإن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُفُّصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٢) (٣).

٥ / من المعلوم أنه ﷺ كان يحضر مجلسه الشريف العالم والجاهل، والذكر والبليد، والأعرابي الجافي، ولم ينقل عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان مما يظهر من كلامه في صفته لربه، من الفوقية واليدين ونحو ذلك، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها^(٤).

٦ / يلزم من مذهب التفويض لوازم باطلة منها:

أ - أن الصحابة والسلف لم يفهموا هذه النصوص، بل هم جاهلون في أعظم مسائل الدين، ومنهم من ألزم نفسه تجهيل الرسول ﷺ وجبريل الذي نزل بالوحي^(٥).

(١) درء التعارض ٢٠٢/١.

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) انظر: القواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٤، ٢٥.

(٤) أقاويل الثقات، مرعي الكرمي ٨٥.

(٥) درء التعارض ١٥/١، ١٦.

ب - أن يكون عمدة الدين وزبدة الرسالة المحمدية، والتي بها حياة النفوس والقلوب لا يعلمه أحد من البشر لا الصحابة ولا الرسول ولا جبريل فيظل مجهولا حتى يرث الله الأرض ومن عليها^(١).

٧ / التفويض الذي زعمه هؤلاء يؤدي إلى أن لا نفهم كتاب الله ولا نفرق بين آية وآية، وإنما نتلوه كالأعاجم الذين لا يعرفون العربية مطلقا وهذا مآله إلى الضلال والإلحاد^(٢).

وبعد هذه المناقشة لحجج أهل التفويض يتبين أن مذهب السلف ليس نفيًا لحقيقة الصفة، بل معانيها عندهم معلومة، وهم إنما ينفون علم كيفية الصفة لا حقيقتها ومعناها، وادعاء أنهم يقولون بالتفويض ادعاء باطل وزعم كاذب.

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٤٥٦/٢.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ١١٨٤/٣.

الفصل الرابع

موقفه من الفرق

إن للإمام النووي رحمته الله جهودا كبيرة في خدمة الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنا هنا أبين موقفه من أهل البدع وبعض الفرق التي خالفت السنة وجماعة المسلمين كالشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم، وعرض موقف الإمام النووي رحمته الله من الفرق يتضمن الآتي:

أولا: موقفه من أهل الأهواء والبدع إجمالا.

ثانيا: موقف من أهل الأهواء والبدع تفصيلا وفيه:

١ / موقفه من الشيعة والرافضة.

٢ / موقفه من الخوارج.

٣ / موقفه من المعتزلة.

٤ / موقفه من الكرامية.

أولا: موقفه من أهل الأهواء والبدع إجمالا، وفيه ثلاثة مسائل:

الأولى: قبول رواية المبتدع.

الثانية: هجران أهل البدع ومنابذي السنة.

الثالثة: غيبة المبتدع.

المسألة الأولى: قبول رواية المبتدع: يعد كلام الإمام النووي رحمته الله في هذه

المسألة أصلا وعمدة عند أهل العلم، وقد فصل فيها في شرحه لصحيح مسلم،

وأوجز القول في كتابه التقريب.

ففي شرحه حكى الأقوال في قبول رواية المبتدع، وقول الشافعي خاصة

وخلاف أصحابه، ثم اختار أنها تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل

إذا كان داعية.

فقال رحمته الله: "قال العلماء من المحدثين والفقهاء، وأصحاب الأصول: المبتدع

الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق.

وأما الذي لا يكفر بها فاختلّفوا في روايته: فمنهم من ردها مطلقاً لفسقه، ولا ينفعه التأويل.

ومنهم من قبلها مطلقاً إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرته مذهباً أو لأهل مذهب سواه كان داعية إلى بدعته أو غير داعية، وهذا محكي عن إمامنا الشافعي رحمته الله لقوله: أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية^(١)، من الراضة لكونهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم.

ومنهم من قال: تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل إذا كان داعية، وهذا مذهب كثيرين أو الأكثر من العلماء، وهو الأعدل الصحيح.

وقال بعض أصحاب الشافعي رحمته الله اختلف أصحاب الشافعي في غير الداعية، واتفقوا على عدم قبول الداعية.

وقال أبو حاتم بن حبان^(٢): لا يجوز الاحتجاج بالداعية عند أئمتنا قاطبة، لا خلاف بينهم في ذلك.

وأما المذهب الأول^(٣) فضعيف جداً ففي الصحيحين وغيرهما من كتب أئمة الحديث والاحتجاج بكثيرين من المبتدعة غير الدعاة^(٤)، ولم يزل السلف

(١) هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، قال هو وفرقته بإلحاح جعفر بن محمد وأعلنوا بذلك في أيامه، وأحرموا بالحج من الكوفة نهاراً وخرجوا منها يلبون رافعي أصواتهم بالتلبية يقولون: لبيك جعفر بن محمد فلما رفع ذلك إليه قتلهم وأبادهم، وقال بعضهم بإلحاح أبي الخطاب هذا الذي نسبوا إليه، قتله عيسى بن موسى والي الكوفة من قبل العباسيين سن ١٤٣هـ، انظر: البرهان للسكسكي ٦٩، المقالات ١٠.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين وتوفي بسجستان بمدينة بست في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مائة، السير ٩٢/١٦، الشذرات ١٦/٢.

(٣) المقصود به قوله: "فمنهم من ردها مطلقاً لفسقه ولا ينفعه التأويل".

(٤) انظر: هدي الساري ٤٥٩.

والخلف على قبول الرواية منهم، والاحتجاج بها، وإسماعهم من غير إنكار منهم، والله أعلم^(١).

فخلاصة مذهب النووي رحمته الله في قبول رواية المبتدع أنها لا تقبل إذا كانت بدعته مكفرة، أما إذا لم يتكن مكفرة فيرى أنها تقبل من غير الدعاة إلى البدعة وضعف القول برد روايتهم مطلقا كما تقدم من كلامه. وهذا الذي رجحه رحمته الله هو ما استقر عليه المحدثون من السلف والخلف، وأئمة الإسلام كالبخاري وغيره، فإنه رحمته الله روى عن بعض الخوارج لكونهم لا يستحلون الكذب.

المسألة الثانية: هجران أهل البدع ومنابذي السنة:

من أصل منهج علماء أهل السنة هجر أهل البدع وهجر من يجالسهم أو يؤاكلهم أو يشاربهم والحث على هجرهم.

ولهم في ذلك أقوال مأثورة في كتب أهل السنة، منها ما ذكره أبو القاسم اللالكائي، وابن بطة رحمهما الله تعالى وغيرهما من أهل السنة.

أذكر منها على سبيل المثال لا الحضر بعض النصوص:

قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضاللتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون^(٢).

وقول الحسن ومحمد بن سيرين: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم ٦٠/١، وانظر: التقريب مع التدريب ٢٧٥/١ - ٢٧٦..

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، تحقيق: رضا بن نعيان معطي ٤٣٥/٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٤/١، رقم ٢٤٤، والأجري في الشريعة ٦١، وعبدالله بن أحمد في السنة ١٣٧/١، والدارمي ٩٠/١، رقم ٣٩٧.

(٣) الإبانة ٤٤٤/٢ رقم ٣٩٥، سنن الدارمي ٩١/١، رقم ٤٠٧.

وعن معمر قال: كان ابن طاووس جالسا فجاء رجل من المعتزلة قال: فجعل يتكلم قال: فادخل ابن طاووس إصبعه في أذنيه، قال: وقال لابنه أي بني: ادخل إصبعيك في أذنيك وأشد ولا تسمع من كلامه شيئا. قال معمر: يعني أن القلب ضعيف^(١).

وقال ابن المبارك: يكون مجلسك مع المساكين وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة^(٢).

وروى الدارمي وغيره عن ابن سيرين أنه دخل عليه رجلان من أصحاب الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن، قال فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر ما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى، قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي^(٣).

وعلى هذا المنهاج سار الإمام النووي رحمته الله فنجده يشير إلى هجرانهم ونبذ ما هو من شعارهم، من ذلك قوله في شرحه لحديث الصلاة على من أتي بصدفته^(٤): قال جماعة من العلماء يجوز ذلك بلا كراهة لهذا الحديث.

قال أصحابنا: لا يصلى على غير الأنبياء إلا تبعا لأن الصلاة في لسان

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٣٤/١ - ١٣٥، رقم ٢٤٨، الإبانة ٤٤٦/١ رقم ٤٠٠.

(٢) الإبانة ٤٦٣/٢ رقم ٤٥٢، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٧/١ رقم ٢٦٠.

(٣) سنن الدارمي ٩١/١، رقم ٤٠٣، الإبانة ٤٥٥/٢، رقم ٤٤٦، شرح أصول اعتقاد أهل

السنة ١٣٣/١ رقم ٢٤٢، الشريعة للأجري ٦٢، السنة لعبدالله بن أحمد ١٣٨/١، البدع

والنهي عنها لابن وضاح ٥٣.

(٤) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: "لقد

رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" ٤٤٨/٧، عن عبدالله بن أبي أوفى كان

النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: "اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدفته فقال اللهم صل على

آل أبي أوفى"، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتي بصدفته ١٨٤/٧ عن

عبدالله بن أبي أوفى بمثله، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب دعاء المصدق لأهل الصدقة

١٠٦/٢، عن ابن أبي أوفى بلفظه، وابن ماجه، كتاب الزكاة، باب ما يقال عن إخراج

الزكاة ٥٧٢/١، عن ابن أبي أوفى بمثله، وأحمد ٣٥٣/٤ بنحوه.

السلف مخصوصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، كما أن قولنا: عز وجل مخصوص بالله سبحانه وتعالى... واختلف أصحابنا في النهي عن ذلك هل هو نهى تنزيه أم مرح أو مجرد أدب على ثلاثة أوجه: الأصح الأشهر أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار لأهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم^(١).

وقال في شرحه لحديث كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك^(٢): وفي هذا هجر أهل البدع والمعاصي.

وقال: فيه أنه لا يسلم على المبتدعة ونحوهم.

وقال: فيه استحباب هجران أهل البدع والمعاصي^(٣).

قال رحمته الله في شرحه لحديث النهي عن الخذف^(٤) وهجران عبدالله بن مفضل لقريبه لما حذف فنهاه وقال: إن رسول الله نهى عن الخذف فعاد، فقال: ((أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم تتخذف لا أكلمك أبدا)).

قال: "فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم وأنه يجوز هجرانه دائما والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائما وهذا الحديث

(١) شرح صحيح مسلم ٩٢/١٧ - ٩٣ - ١٠٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٨٧/١٧ - ٩٨، عن كعب بن مالك، والبخاري، كتاب التفسير، باب: "وعلى الثلاثة الذي خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم" الآية ٣٤٢/٨، عن كعب بن مالك نحوه مختصرا، والنسائي، كتاب المساجد، باب الرخصة في الجلوس فيه والخروج منه بع صلاة ٥٣/٢ - ٥٤، عن كعب بن مالك نحوه مختصرا أيضا، رواه أحمد ٤٥٦/٣ - ٤٥٩، نحوه عن كعب رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩٢/١٧ - ٩٣ - ١٠٠.

(٤) الخذف هو: رمي حصاة أو نواة تؤخذ بين السبابتين فيرمي بها، اللسان ٦١/٩، والحديث رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف ١٠٥/١٣، عن عبدالله بن مفضل، وأحمد ٥٧/٥.

مما يؤيده مع نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره^(١).

وفي شرحه لحديث الجليس الصالح والجلس السوء^(٢) قال: فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع، والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يفتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة^(٣).

وفي كتاب الأذكار: باب من يسلم عليه ومن لا يسلم عليه، ومن يرد عليه ومن لا يرد عليه، قال: أما المبتدع ومن اقتترف ذنبا عظيما ولم يتب منه، فينبغي أن لا يسلم عليهم، ولا يرد عليهم السلام، كذا قاله البخاري وغيره من العلماء^(٤).

وعقد بابا في: التبريء من أهل البدع والمعاصي ذكر تحته قول ابن عمر في نفاة القدر: ((إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني))^(٥).

المسألة الثانية: غيبة المبتدع وذكره بشر:

يرى النووي رحمته الله جواز سب المنافقين والكفار وذكرهم بالسوء حتى لو كانوا أمواتا، كذلك المجاهر بالفسق من المسلمين والمعلن للبدعة للتحذير من طريقته، أما لغير حاجة فلا يجوز، فقال رحمته الله: "النهي عن سب الأموات

(١) شرح صحيح مسلم ١٠٦/١٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ١٧٨/١٦، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما مثل الجليس الصالح والجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك أما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة))، ورواه البخاري كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك ٣٢٣/٤، عن أبي موسى بنحوه، وأبو داود كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٢٥٩/٤، عن أنس بنحوه، وأحمد ٤/٤٠٤ - ٤٠٥، عن أنس بنحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٨/١٦.

(٤) الأذكار ٢٧٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، انظر: الصحيح مع شرح مسلم ١٥٦/١ وسيأتي تخريجه.

هو في غير المنافق وسائر الكفار وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بشر التحذير من طريقتهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم^(١).

وقال في كتاب الأذكار باب النهي عن سب الأموات^(٢): "موات المسلمين المعلنين بفسق أو بدعة أو نحوهما، فيجوز ذكرهم بذلك إذا كان فيه مصلحة، لحاجة إليه للتحذير من حالهم، والتنفير من قبول ما قالوه، والاقتداء بهم فيما فعلوه، وإن لم تكن حاجة لم يجر، وعلى هذا التفصيل تنزل هذه النصوص، وقد أجمع العلماء على جرح المجروح من الرواة".

وقال في باب ما يقال في حال غسل الميت وتكفينه: "لو كان الميت مبتدعا مظهرا للبدعة، ورأى الغاسل منه ما يكره، فالذي يقتضيه القياس أن يتحدث به في الناس ليكون ذلك زجرا للناس عن البدعة"^(٣).

وأما حكمه على أهل البدع والأهواء وهل يكفرون أو لا فسيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى في فصل التكفير.

ثانيا: موقفه من أهل الأهواء والبدع تفصيلا وفيه:

١ / موقفه من الشيعة والرافضة:

تعريف الشيعة: الشيعة في اللغة: هم الأنصار والأتباع.

قال الجوهرى^(٤): شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، يقال: شايعه كما يقال

والاه.

وتشيع الرجل: أي: ادعى دعوى الشيعة.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٠/٧.

(٢) الأذكار ١٧٨.

(٣) الأذكار ١٦٦.

(٤) الصحاح ١٢٤٠/٣.

وقال في اللسان^(١): الشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع.

والشيع: الفرق، والشيعة: أتباع الرجل وأنصاره.

وقال الأزهري^(٢): الشيعة: أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجماعة: شيع وأشياع. وأضاف أنه بمعنى الظهر والتفرق.

أما في الاصطلاح: فالشيعة لفظ عام يدخل فيه من شايع علياً في موقفه عن خالفه وكان معه، وإن لم يقل بيدعهم ثم تحول إلى مصطلح يشمل كل من ابتدع في مسائل الإمامة ونحوها كالرافضة ولعل من أجمع التعاريف وأكثرها شمولاً لعقائد الشيعة تعريف الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال: شيعة هم: الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته: نصاً ووصية؛ إما جلياً وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم؛ بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين؛ لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

وقالوا: يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري: قولاً، وفعلاً، وعقداً؛ إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك^(٣).

(١) اللسان ١٨٨/٨.

(٢) تهذيب اللغة ٦٠/٣ - ٦١.

(٣) الملل والنحل ١٤٦/١ - ١٤٧.

ومن هذا التعريف يتبين أن جميع فرق الشيعة ما عدا بعض الزيدية يجمعهم القول بوجوب اعتقاد الإمامة، والعصمة، والتقية^(١).

تعريف الرافضة:

في اللغة: من الرفض وهو ترك الشيء، والرفض الشيء المتفرد^(٢).
والروافض: قوم من الشيعة، سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي.
قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: أبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال: كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما، فرفضوه عنه فسموا رافضة^(٣).
في الاصطلاح: الرافضة هم الإمامية، الاثني عشرية، إمامية: لأنهم قالوا بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، ووجوب النص الجلي، والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي واثنى عشرية: لأنهم يقولون بأن الأئمة بعد الرسول ﷺ اثنا عشر إمام هم: علي والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، والمهدي المنتظر^(٤).

ويسمون أيضا بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس كما يقولون وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص^(٥).

أما تسميتهم بالرافضة فقد قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: "الصحيح أنهم سموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما

(١) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ١/١٢٥.

(٢) اللسان ٧/١٥٦، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٤٢٢ - ٤٢٣.

(٣) اللسان ٧/١٥٦ - ١٥٧.

(٤) مسألة التقريب ١/١٧١.

(٥) المصدر السابق ١/١٧٢.

خرج بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك" (١).

ويمكن تبين موقف الإمام النووي من الشيعة والرافضة من خلال مناقشته لبعض المسائل المتعلقة بهم: حيث إنه رحمته الله لم يتكلم عنهم بشكل مفصل أو في كتاب مفرد، ومن استقراء كتبه يمكن أن نعرض للمسائل التالية التي عرض لها في موقفه منهم:

١ / سبب تسمية الرافضة.

٢ / مسألة الرجعة.

٣ / مسألة، ميراث النبي صلى الله عليه وسلم.

٤ / رواياتهم عن علي رضي الله عنه.

٥ / الاعتداد بهم في الإجماع.

٦ / مسألة غسل الرجلين، والمسح على الخفين.

١ / سبب تسمية الرافضة:

قال رحمته الله: "سموا رافضة من الرفض وهو الترك".

قال الأصمعي وغيره: سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي فتركوه (٢).

فما اختاره رحمته الله في سبب تسميتهم بالرافضة هو الصحيح.

٢ / مسألة الرجعة:

بفتح الراء هي رجوع الأموات قبل البعث والنشور عند ظهور القائم الشيعي المعلوم المزعوم من أئمتهم وأتباعهم لينتقم لهم من أعدائهم وعقيدة الرجعة من أصول المذهب الشيعي، يكاد يكون من المجمع عليهم عندهم لا خلاف بينهم في ذلك.

وهي من الأفكار اليهودية المدسوسة بين المسلمين، والتي تولي كبر إثمتها

(١) منهاج السنة ٣/٤٧١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/١٠٣.

ابن اليهودية البار بها عبدالله بن سبأ^(١).

وقد قسم الأشعري الغلاة من الشيعة إلى خمس عشرة فرقة فذكر منها:
الرابعة عشر: السبئية: أصحاب عبدالله بن سبأ يزعمون أن علياً لم يمت
وأنة يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملاً الأرض عدلاً كما ملأت جوراً.
والسبئية يقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا^(٢).

وقد تحدث محمد أمين عن غلاة الشيعة الذين ألها علياً، وأن أول من دعا
إلى تأليه علي بن عبدالله بن سبأ وأن من أشهر تعاليمه: الرجعة.
قال: أما الرجعة فقد بدأ بأن محمداً يرجع، وكان مما قاله: "العجب ممن
يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمداً يرجع"، ثم نراه تحول ولا ندري
لأي سبب إلى القول بأن علياً يرجع.

وقال: وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعندهم أن النبي
(إلياس) صعد إلى السماء، وسيعود فيعيد الدين والقانون ووجدت الفكر في
النصرانية في عصورها الأولى، وتطورت هذه الفكرة عند الشيعة إلى العقيدة
باختفاء الأئمة، وأن الإمام المختفي سيعود فيملاً الأرض عدلاً، ومنها نبعت
فكرة المهدي المنتظر^(٣).

ففكرة الرجعة بدأت عند عبدالله بن سبأ وجعلها رجعة للنبي ﷺ، ثم
تطورت إلى فكرة الرجعة عند الإمامية، والتي تقوم لأنه لا تقوم السعة حتى
يرجع أهل البيت وأعداءهم فيقتص لهؤلاء ثم يموتون جميعاً، ويرى الحافظ ابن

(١) بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير ١٤٣، وانظر: عبدالله بن سبأ وأثره في إحداه
الفتنة في صدر الإسلام ٢٠٨، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، د.

أحمد جلي ٢٠٧.

(٢) المقالات ١٥.

(٣) فجر الإسلام ٢٦٩ - ٢٧٠.

حجر أنا لإيمان بالرجعة هو نهاية الغلو في الرفض.

قال: "التشيع محبة على وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيوعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو"^(١).

ونرى الإمام النووي رحمته الله يبطل هذه الخرافة عند الشيعة، في شرحه لمقمة صحيح مسلم، وقول جرير: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة، قال: "ومعنى إيمانه بالرجعة هو ما تقوله الرافضة وتعتقده بزعمها الباطل أن عليا كرم الله وجهه في السحاب فلا نخرج يعني مع من يخرج من ولده حتى ينادى من السماء أن اخرجوا معه وهذا نوع من أباطيلهم وعظيم من جهالاتهم اللائقة بأذهانهم السخيفة وعقولهم الواهية"^(٢).

وهذه إشارة من النووي رحمته الله إلى بعض ما يعتقده الرافضة في الرجعة وإلا فمقاتلهم فيها هو ما سبقت الإشارة إليه، والإمام النووي لا يناقش المسألة من جميع جوانبها وإنما يشير إليها إشارة.

٣/ مسألة ميراث النبي صلى الله عليه وسلم:

حديث ميراث النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب وهو حديث طويل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا نورث ما تركناه صدقة))^(٣).

(١) هدي الساري ٤٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠١/١.

(٣) رواه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس ١٩٧/٦، عن عمر ومسلم، كتاب الجهاد والسي، باب حكم الفيء، صحيح مسلم مع شرح النووي ٧١/١٢ - ٧٦، وأبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال ١٢٩/٣، والترمذي كتاب السير، باب ما جاء في تركه صلى الله عليه وسلم ٨٢/٢، والنسائي كتاب قسم الفيء والترمذي ١٣٥/٧، وأحمد ٥/١ كلهم عن عمر بن الخطاب.

وظاهر الحديث يدل على ما عليه جمهور الصحابة ومنهم أبو بكر وغيرهم من أن النبي ﷺ لا يورث وكل ما تركه فهو صدقة خلافا للرافضة الذين زعموا أنه ﷺ يورث إلا ما تركه صدقة فإنه لا يورث، هدفهم من ذلك تخطئة أبي بكر ﷺ وتصويب فعل فاطمة حيث إنها طلبت ميراثها من أبيها ﷺ فاحتج أبو بكر ﷺ بالحديث: ((لا نورث ما تركنا صدقة))، قال الرافضة الحديث: ((لا يورث ما تركناه صدقة)).

قال الحافظ: في هذه القصة رد على من قرأ قوله: لا يورث بالتحتانية أوله و"صدقة" بالنصب على الحال، وهي دعوى من بعض الرافضة فادعى أن الصواب في قراءة هذا الحديث هكذا.

والذي توارد عليه أهل الحديث في القديم والحديث "لا نورث" بالنون و"صدقة" بالرفع، وأن الكلام جملتان.

و"ما تركنا" في موضع الرفع بالابتداء و"صدقة" خبره، ويؤيده وروده في بعض طرق الصحيح "ما تركنا فهو صدقة".

وقد احتج بعض المحدثين على بعض الإمامية بأن أبا بكر احتج بهذا الكلام على فاطمة ﷺ فيما التمتت منه من الذي خلفه رسول الله ﷺ من الأراضى، وهما من أفصح الفصحاء، وأعلمهم بمدلولات الألفاظ ولو كان الأمر كما يقرؤه الرافضي لم يكن فيما احتج به أبو بكر حجة، ولا كان جوابه مطابقا لسؤالها، وهذا واضح لم أنصف^(١).

ولقد كان للقاضي عياض^(١)، والقرطبي^(٢) في شرحهما لهذا الحديث ردود قوية حيث لم يكتفوا بالإشارة إلى هذه القضية كالنووي، بل فصلوا فيها.

قال القاضي: لا نورث ما تركنا صدقة حديث مجمع على صحته وقبوله من أهل السنة، وأن الكلام جملتان، وما تركنا: في موضع رفع بالابتداء. وصدقة: مرفوعة بخبره، خلافا للإمامية في تأويل الحديث وتحريفه عن موضعه، وقولهم: إنما هو يورث بالياء وصدقة بالفتح أي ما تركنا صدقة فلا يورث، وما في موضعا لمفعول و"صدقة": منصوب على الحال والتفسير.

فهذا تدافع من قائله ومخالفة لما فهم من أهل اللسان، وما حمله عليه أئمة الصحابة من رواة هذا الحديث، وما وقع في سائر الروايات والألفاظ الأخرى من قوله: لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

ثم حكى قول بعضهم: إنما نفي وراثته ما تركوه صدقة، وأما ما ترك على غير الصدقة فلا تمنع وراثته.

ثم أجاب عنه: بأن فاطمة رضي الله عنها من أفصح العرب وأعلمهم بالفرق بين

(١) هو: الإمام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، سارت بتصانيفه الركبان واستمد اسمه في الآفاق له مؤلفات عديدة منها الإكمال في شرح صحيح مسلم ومشارك الأنوار والشفاء وغيرها، توفي رحمته الله سنة أربع وأربعين وخمسمائة، انظر: ترجمته في السير ٢٠/٢١٢، تهذيب الأسماء واللغات ٤٣/٢، الشذرات ٤/١٢٨، ١٣٩.

(٢) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي ثم المصري المالكي أبو العباس كان من أبرز تلاميذه أبو عبدالله القرطبي المفسر، خلف رحمته الله علما نافعا يتمثل في مؤلفات أودع فيها ما من الله عليه به من علم منها المفهم، شرح تلخيص كتاب مسلم والتلخيص له، والإعلام بما في دين النصارى من الساد والأوهام، توفي في الإسكندرية سن ٦٥٦هـ، انظر: ترجمته في السير ٢٣/٣٢٣، الشذرات ٣/٢٧٣، معجم المؤلفين لعمر كحالة ٢٧/٢.

اللفظين، وقد طلبت ميراثها من النبي ﷺ من أبي بكر ﷺ فجاوبها أبو بكر بهذا اللفظ بما فهمت منه أنه لا شيء لها، وكذلك علي وسائر الصحابة ﷺ ولم يعترض أحد منهم بهذا الاعتراض، وكذلك أبو بكر المحتج به ولا خلاف أنهم أفصح الفصحاء العالمين بذلك.

ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع لما أورده أبو بكر ﷺ ولا تعلق به ولا سلمه له الآخر. وأيضاً فإن الرفع هو المروي ومدعي النصب مبطل^(١). وقال القرطبي: "صدقة" مرفوع على أنه خبر المبتدأ الذي هو المبتدأ هو "ما تركنا".

والكلام جملتان: الأولى: فعلية، والثانية: اسمية، ولا خلاف بين المحدثين في هذا.

وقد صحّفه بعض الشيعة، فقال: ((لا يورث - بالياء - ما تركنا صدقة) - بالنصب -، وجعل الكلام جملة واحدة، على أن يجعل ((ما)) مفعولاً لما لم يسم فاعله. و((صدقة)) ينصب على الحال. ويكون معنى الكلام: إن ما يتركه صدقة لا يورث، وإنما فعلوا هذا، واقتحموا هذا المحرم، لما يلزمهم على رواية الجمهور من إفساد قولهم، ومذهبهم، أنهم يقولون: إن النبي ﷺ: يورث كما يورث غيره متمسكين بعموم آية الموارث، معرضين عمّا كان معلوماً عند الصحابة من الحديث الذي يدل على خصوصية النبي ﷺ: بأنه لا يورث"^(٢).

وهذا هو الذي قرره النووي رحمته الله حيث قال في شرح هذا الحديث: "هو برفع صدقة وما بمعنى الذي أي الذي تركناه فهو صدقة وقد ذكر مسلم بعد حديث يحيى بن يحيى عن مالك من حديث عائشة رفعت لا نورث ما تركناه

(١) إكمال المعلم، لوحة ٧٥ أ.

(٢) المفهم ١٧/٢، ب.

فهو صدقة وإنما نبهت على هذا لأن بعض جهلة الشيعة يصحفه" (١).

فكلام النووي هذا هو ما قرره أهل السنة وتقدم عن القاضي والقرطبي في شرحهما لهذا الحديث. فالنبي ﷺ لا يروث وما تركه بعد موته فهو صدقة وإن رغمت أنوف الشيعة.

٤ / رواياتهم عن علي ﷺ :

من أصول التشريع عند الرافضة مخالفة أهل السنن، ومخالفة ما روي عنهم وعن أعيانهم، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ.

وبهذا يظهر أنهم لا يؤمنون بالأصل الثاني من أصول الشريعة الإسلامية وهو السنة، ولا يغتربأنهم يدعون ذلك، فدعواهم في هذا لا تختلف عن دعواهم في الإيمان بالقرآن.

ولا يخفى على من يقرأ في كتب الرافضة أنهم يختلقون روايات لتأييد ما هم عليه من الباطل والغلو من هذه الروايات المختلفة في كتبهم ما ذكره الطبرسي أن علياً قال: إن العلم الذي هبط به آدم من الجنة وما فضلت بن النبيون في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم؟

قال سليم بن قيس سأل رجل علي بن أبي طالب فقال: أخبرني بأفضل

منقبة لك قال: ما أنزل الله في كتاب، قال: وما أنزل الله فيك قال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ (٢)، أنا الشاهد من رسول الله ﷺ وقوله:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ

الْكِتَابِ﴾ (٣)، إياي عني بمن عنده علم الكتاب، فلم يدع شيئاً أنزله الله

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/٧٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

فيه إلا ذكر...

قال: قلت فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله ﷺ فقال: نصبه إياي يوم غدِير خم، فقال لي بالولاية بأمر الله عز وجل...، وسافرت مع رسول الله ﷺ ليس له خادم غيري، وكان لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول الله ﷺ ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثيا لحاف غيره، فإذا قام إلى صلاة الليل يخط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا... (١).

ويتبين موقف النووي في هذه المسألة من خلال كلامه في شرح لقول أبي إسحاق في صحيح مسلم: " لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي ﷺ قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله، أي علم أفسدوا".

قال: فأشار إلى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم علي ﷺ وحديثه، وتقولوه من الأباطيل، وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المقتولة والمختلفة وغلطوه بالحق فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلفوه (٢).

وهذا الذي قاله النووي ﷺ صحيح يشهد له الرواية التي تقدمت عن

الطبرسي.

٥ / الاعتداد بهم في الإجماع:

مما هو متقرر عند علماء أهل السنة أن الشيعة لا يعتد بهم في الإجماع وأيما مسألة فرعية خالفوا فيها يحكى فيها الإجماع - حين يجمع عليها أهل السنة - ، ولا عبرة بخلافهم.

(١) الاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ١٥٩/١، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ الثانية

١٤١٠هـ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨٣/١.

قال الإمام النووي في شرحه لحديث الجليس الصالح والجلس السوء^(١):
فيه طهارة المسك واستحبابه وجواز بيعه وقد أجمع العلماء على جميع هذا ولم
يخالف فيه من يعتد به ونقل عن الشيعة نجاسته والشيعة لا يعتد بهم في
الإجماع ومن الدلائل على طهارته الإجماع وهذا الحديث^(٢).

وفي شرحه لباب الوضوء، قال في غسل اليدين: تقديم اليمنى سنة
بالإجماع وليس بواجب الإجماع.

قال ابن المنذر: أجمعوا على أنه لا إعادة على من يبدأ بيساره وكذا نقل
الإجماع فيه آخرون.

وحكى أصحابنا عن الشيعة أن تقديم اليمنى واجب لكن الشيعة لا يعتد
بهم في الإجماع^(٣).

وفي كلامه عن مسح الأذنين قال: حكى القاضي أبو الطيب وغيره عن
الشيعة أنهم قالوا: لا يستحب مسح الأذنين لأنه لا ذكر لهما في القرآن،
ولكن الشيعة لا يعتد بهم في الإجماع. وإن تبرعنا بالرد عليهم فدليلة الأحاديث
الصحيحة...^(٤).

٦/ مسألة غسل الرجلين، والمسح على الخفين:

إن من أشهر المسائل الفقهية التي خالف فيها الشيعة أهل السنة، مسألة
غسل الرجلين في الوضوء، والمسح على الخفين حضرا وسفرا، حتى صار أهل
السنة يذكرون هذه المسألة في كتب العقائد، وهي مسألة فرعية محلها
كتب الفروع، من ذلك قول الإمام الطحاوي في عقيدته: "ونرى المسح على

(١) تقدم تخريجه ص

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٨/١٦.

(٣) المجموع ١/٣٨٢.

(٤) المجموع ١/٤١٦.

الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر^(١).

والإمام النووي تعرض لهذه المسألة في كتابيه (المجموع وشرح صحيح مسلم) ورد على الشيعة بما لم يبق لهم حجة، وأنا - بعون الله - أنقل من كلامه ما يبين المسألة، ويجليها، محاولة ترتيبها بما يبين موقفه رحمته.
ففي كتاب المجموع^(٢) قال: أجمع المسلمون على وجوب غسل الرجلين، ولم يخالف في ذلك من يعتد به...

وقال الشيعة: الواجب مسحهما، واحتج القائلون بالمسح بقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بُرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(٣)، بالجر على إحدى القراءتين في السبع، فعضف المسوح على المسوح، وهل الأعضاء أربعة قسمين مفسولين ثم ممسوحين.

وعن ابن عباس: إنما هما غسلتان ومسحتان^(٤).

وعنه: أمر الله بالمسح ويأبى الناس إلا الغسل.

وعن رفاة في حديث المسيء صلاته قال له النبي ﷺ: ((إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى فيغسل وجهه ويديه ويمسح رأسه ورجليه))^(٥).

وعن علي رضي الله عنه أنه توضأ فأخذ حفنة من ماء فرس على رجله اليمنى وفيها نعله ثم فتلها بها ثم صنع باليسرى كذلك^(٦) ولأنه عضو يسقط في التيمم

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها ٥٥١/٢.

(٢) المجموع ٤١٧/١ - ٤٢١ باختصار، وأشار في شرحه لصحيح مسلم: إلى ذلك ١٠٧/٣ - ١٢٩ - ١٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) رواه الطبراني في تفسير الآية المائدة ٥٨/١٠، تحقيق: شاکر.

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في الوضوء على ما أمر الله تعالى ١٥٦/١.

(٦) لم أقف عليه.

فكان فرضه المسح كالرأس.

واحتج أصحابنا بالأحاديث الصحيحة المستفيضة في صفة وضوءه ﷺ أنه غسل رجليه.

قال: وأما الجواب عن احتجاجهم بقوله تعالى: "وأرجلكم" فقد قرأت بالنصب والجر فالنصب صريح في الغسل، ويكون معطوفه على الوجه واليدين، وأما الجر فأجاب أصحابنا وغيرهم عنه بأجوبة: أشهرها أن الجر على مجاورة الرؤوس مع أن الأرجل منصوبة، وهذا مشهور في لغة العرب ومنه في القرآن ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾^(١)، فجر أليما على جوار يوم وهو منصوب صفة لعذاب.

الجواب الثاني: أن قراءتي الجر والنص يتعادلان والسنة بينت ورجحت الغسل فتعين.

الثالث: ذكره جماعات من أصحابنا أن الجر محمول على مسح الخف والنصب على الغسل إذا لم يكن خف.

الرابع: أنه لو ثبت أن المراد بالآية المسح لحمل المسح على الغسل جمعا بين الأدلة والقراءتين لأن المسح يطلق على الغسل كذا نقله جماعات من أئمة اللغة. أما قول ابن عباس فجوابه من وجهين أحسنهما أنه ليس بصحيح ولا معروف عنه، وإن كان قد رواه ابن جرير بإسناده في كتابه (اختلاف العلماء)^(٢) إلا أن إسناده ضعيف، بل الصحيح الثابت عنه أنه كان يقرأ "وأرجلكم" بالنصب، ويقول: عطف على المغسول، هكذا رواه عنه الأئمة الحفاظ الأعلام.

(١) سورة هود، الآية: ٢٦.

(٢) المطبوع من كتاب ابن جرير يبدأ بكتاب المدبر ليس فيه كتاب الوضوء، وقد رواه في تفسيره لسورة المائدة آية ٦، انظر: تفسير الطبري ٥٨/١، تحقيق: شاكر.

وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه توضأ فغسل رجليه وقال:
هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

وأما حديث رفاة فهو على لفظة الآية فيقال فيه ما قيل في الآية.
وأما حديث علي فجوابه من أوجه: أحسنها أنه ضعيف ضعفه البخاري
وغيره من الحفاظ فلا يحتج به لو لم يخالفه غيره، فكيف وهو مخالف للسنن
المتظاهرة والدلائل ظاهرة.

الثاني: لو ثبت لكان الغسل مقوماً عليه لأنه ثابت عن رسول الله ﷺ.
الثالث: جواب البيهقي والأصحاب أنه محمول على أنه غسل الرجلين في
النعلين، فقد ثبت عن علي من أوجه كثيرة غسل الرجلين، فوجب حمل
الرواية المحتملة على الروايات الصحيحة الصريحة.

المسح على الخفين:

خالف الشيعة النصوص الصحيحة الصريحة الدالة على مشروعية المسح
على الخفين في الحضر والسفر، كما خالفوا إجماع أهل العلم على ذلك،
فقالوا: لا يجوز المسح لا حضراً ولا سفراً، ولقد بين الإمام النووي هذه المسألة
فقال في كتابه المجموع^(١): مذهبنا ومذهب العلماء كافة، وإز المسح على
الخفين في الحضر والسفر.

وقال الشيعة والخوارج لا يجوز، ثم قال: وقد نقل ابن المنذر في كتاب
الإجماع إجماع العلماء على جواز المسح على الخف، ويدل عليه الأحاديث
الصحيحة المستفيضة في حديث مسح النبي ﷺ في الحضر والسفر، وأمره
بذلك، وترخيصه فيه واتفاق الصحابة فمن بعدهم عليه. ثم ذكر الأدلة عليه.

وفي شرحه لصحيح مسلم^(١) قال: جمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها حتى يجوز للمرأة الملازمة بيبتها والزمن الذي لا يمشى وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم^(٢).

٢ / موقفه من الخوارج:

الخوارج: كلمة الخوارج أطلقت على أولئك الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين إذا اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره^(٣).

وهذا الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء الخوارج قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة^(٤) كما ظهر أفراد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثلون هذه الظاهرة، واعتبروا من ثم سلفاً للخوارج والمتأخرين.

والخروج تيار عام يشير إلى كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين أو كان بعدهم على التابعين أو على الأئمة الشرعيين في كل زمان^(٥).

(١) حديث المسح على الخفين رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين عن عماد قال: ((بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل: تفعل هذا؟ فقال: نعم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضأ ومسح على خفيه)) ١٦٤/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٤/٣.

(٣) دراسة عن الفرق (الخوارج والشيعة)، د. أحمد جلي ٥١، بتصرف يسير، وانظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، للسكسي ١٧.

(٤) منها ما رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم عن علي، برقم ٦٩٣٠، عن علي وبرقم ٦٩٣١ عن أبي سعيد الخدري، وبرقم ٦٩٣٢، عن ابن عمر ٢٨٢/١٢، وما رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط واحتمال من سأل بجفاء لجهله وبيان الخوارج وأحكامهم ١٥٩/٧ - ٢٧٥.

(٥) المصدر السابق ٥١ بتصرف واختصار، وانظر: الملل والنحل ١١٤/١.

والأحاديث الواردة فيهم تشير إلى أوصافهم وذمهم والأمر بقتالهم كما سيأتي إن شاء الله.

أما موقف الإمام النووي منهم فيتبين من خلال مناقشة المساء الآتية:

١/ سبب تسميتهم:

قال ﷺ: الخوارج سموا حرورية لأنهم نزلوا حروراء وتعاهدوا عندها على قتال أهل العدل وحروراء بفتح الحاء وبالمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة وسموا خوارج لخروجهم على الجماعة وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة وقيل: لقوله ﷺ يخرج من ضئى هذا (١).

ومعلوم أن أشهر أسمائهم هو الخوارج والحرورية، وإن كانت لهم أسماء أخرى لما تفرقوا كالشراة والأزارقة والعجاردة والنجدات والإباضية.

٣/ قتال الخوارج وتكفيرهم:

في شرحه لحديث جابر بن عبد الله: ((أتى رجل رسول الله ﷺ بالحمرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون كما يمرق السهم من الرمية)) (٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٤/٧.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع منها، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦١٧/٦ - ٦١٨، عن أبي سعيد الخدري، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم الصحيح مع شرح مسلم ١٥٩/٧، وابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج ٦١/١، عن عبد الله بن مسعود وبنحوه، ورواه الإمام أحمد ٥٦/٣، عن أبي سعيد نحوه.

نقل قول الخطابي: في هذه الأحاديث دليل لمن يكفر الخوارج. قال القاضي عياض رحمته الله قال المازري: "اختلف العلماء في تكفير الخوارج قال وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالا من سائر المسائل ولقد رأيت أبا المعالي^(١) وقد رغب إليه الفقيه عبد الحق رحمهما الله تعالى في الكلام عليها فهرب له من ذلك واعتذر بأن الغلط فيها يصعب موقعه لان إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم منها عظيم في الدين وقد اضطرب فيها قول القاضي أبي بكر الباقلاني^(٢) وناهيك به في علم الأصول وأشار بن الباقلاني إلى أنها من المعوصات لأن القوم لم يصرحوا بالكفر وإنما قالوا أقوالا لا تؤدي إليه".

وأنا أكشف لك نكته الخلاف وسبب الإشكال وذلك أن المعتزلي مثلا يقول إن الله تعالى عالم ولكن لا علم له.

فهل نقول: أن المعتزلي اذا نفى العلم نفى أن يكون الله تعالى عالما وذلك كفر بالإجماع ولا ينفعه اعترافه بأنه عالم مع نفيه أصل العلم. أو نقول: قد اعترف بأن الله تعالى عالم وإنكاره العلم لا يكفره وان كان يؤدي إلى أنه

(١) أبو المعالي هو: عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، صاحب التصانيف ولد سنة تسع عشرة وأربع مائة تفقه على والده، وتوفي أبوه ولأبي المعالي عشرون سنة فدرس مكانه، قال الذهبي: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لا متنا ولا إسنادا، وكان يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، السير ١٨/٤٦٨، الشذرات ٣/٢٥٨، تبين كذب المفترى ٢٧٨.

(٢) هو: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي بن الباقلاني صاحب التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه، قال الذهبي: كان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، ويد يخالفه في مضايق فإنه من نظرائه، مات في سنة ثلاث وأربعمائة، السير ١٧/١٩٠، تبين كذب المفترى ٢١٧ - ٢٢٦، الشذرات ٣/١٦٨.

ليس بعالم فهذا موضع الإشكال هذا كلام المازري. ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون وكذلك القدرية وجماهير المعتزلة وسائل أهل الأهواء.

قال الشافعي رحمته الله: "أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية" (١)، وهم طائفة من الرافضة يشهدون لموافقهم في المذهب بمجرد قولهم فرد شهادتهم لهذا لا لبدعتهم" (١).

وقال في موضع آخر: الصحيح عدم تكفيرهم (٢).

وفي شرحه لحديث أبي سعيد: ((سيماهم التحالق هم شر الخلق أو من شر الخلق)) (٣).

قال في هذا اللفظ دلالة لمن قال بتكفيرهم، وتأوله الجمهور: أي شر المسلمين (٤).

وفي شرحه للحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: ((بعث علي عليه السلام وهو باليمن بذهبه في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الغزاري،

(١) تقدم التعريف بهم ص ٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٠/٧، وانظر: كلام المازري في المعلم ٢٤/٢، ٢٥.

(٣) المصدر السابق ١٦٥/٧.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف ومن يخاف على إيمان ١٦٧/١، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرق من الناس سيماهم التحالق قال: هم شر الخلق أو من شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق، قال: فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مثلا أو قال قولا الرجل يرمي الرمية أو الفرض فينظر في النصل فلا يرى بصيرة والنظر في النطى فلا يرى بصيره وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة، وأبو داود كتاب السنة، باب في قتال الخوارج ٢٤٣/٤، عن أنس نحوه وابن ماجه في المقدمة، باب في ذكر الخوارج ٦٢/١، عن أنس نحو مختصرا، والتحالق معناه حلق الرؤوس..

(٤) المصدر السابق ١٦٧/٧.

وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أخذ بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان.

قال: فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا.

فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم، فجاء رجل كثر اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، نأتى الجبين مخلوق الرأس فقال: اتق الله يا محمد، قال فقال رسول الله ﷺ: فمن يطع الله إن عصيته أيا مني على أهل الأرض ولا تأمنوني.

قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله: يرون أنه خالد بن الوليد.

فقال رسول الله ﷺ: إن من ضئى هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) (١).

قال: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" أي: قتلا عاما مستأصلا، وفيه الحث على قتالهم وفضيلة علي ﷺ في قتالهم (٢).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة)) (٣).

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ٦٧/٨، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه ١٦١/٧ - ١٦٢، وأبو داود، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج ٢٤٣/٤، والنساء، كتاب تحريم الدم، باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ١١٨/٧ - ١١٩، ورواه أحمد ٧٣/٣ كلهم عن أبي سعيد نحو رواية مسلم.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٢/٧.

(٣) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج ١٦٩/٧، قال علي: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلإن آخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال: هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبلغاة، وهو إجماع العلماء.
قال القاضي رحمته الله: «أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبلغى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة، وشقوا العصا وجب قتالهم بعد إنذارهم، والاعتذار إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ لُحْيَانَ الَّذِي تَبَغَّى حَتَّى تَقَى إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١).

لكن لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع منهزمهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا تباع أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة، وينتصبوا للحرب لا يقاتلون بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم، وهذا كله ما لم يكفروا ببدعتهم. فإن كانت بدعة مما يكفرون به جرت عليهم أحكام المرتدين. وأما البلغاة الذين لا يكفرون فيرثون ويورثون، ودمهم في حال القتال هدر، وكذا أموالهم التي تتلف في القتال. والأصح لهم أنهم لا يضمنون أيضاً على أهل العدل في حال القتال من نفس ومال، وما أتلّفوه في غير حال القتال من نفس ومال ضمنوه. ولا يحل الانتقاع بشيء من دوابهم وسلاحهم في حال الحرب عندنا وعند الجمهور» (٢).

((سيخرج آخر الزمان قوماً أهدأنا الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة)) ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج ٢٤٤/٤ عن علي نحوه، ورواه لترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء في صفة المراقبة ٣٢٦/٣ عن عبد الله بن مسعود بنحوه دون الجزء الأخير، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب من شهر سيفه ووضع في الناس ١١٩/٧ عن علي نحوه، وابن ماجه في المقدمة، باب في ذكر الخوارج ٥٩/١، عن ابن مسعود، وأحمد ٤٠٤/١، ٣٦/٥، عن عبد الله بن مسعود.

(١) المرجع السابق ١٢١/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/٧ - ١٧٠.

٣ - أخذهم بالقرآن:

اقتصر الخوارج على الأخذ بالقرآن دون السنة ومن أمثلة ذلك خلاف الخوارج في جلد الزاني المحصن لأنهم لم يجدوه في القرآن.

قال النووي رحمته الله: «أجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب، ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة، كالنظام^(١)، وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم»^(٢).

وفي شرحه لقول عمر رضي الله عنه: (فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله...)^(٣).

قال: «هذا الذي خشيه قد وقع من الخوارج ومن وافقهم كما سبق بيانه»^(٤).

هنا يتفق الخوارج مع المعتزلة في عدم الأخذ بالسنة، وسيأتي الكلام عن المعتزلة.

(١) النظام: شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبيعي البصري المتكلم، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل وهو شيخ الجاحظ، ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة، له تصانيف جملة منها: كتاب الطفرة، وكتاب الجواهر والأعراض وكتاب حركات أهل الجنة وكتاب الوعيد وكتاب النبوة، مات في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين، السير ٥٤١/١، الملل والنحل، الشهرستاني ٥٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٨٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الحدود، باب: حد الزنا ١١/١٩١، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البنية أو كان الحبل أو الاعتراف)، ورواه ابن ماجه، كتاب: الحدود، باب: الرجم ٢/٨٥٤، والإمام أحمد ١/٤٠، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنه نحوه.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٩١.

٤ - خلافهم في المسح على الخفين:

الخوارج كالشيعة في اعتقادهم عدم جواز المسح على الخفين لا في الحضور ولا في السفر.

ولقد تعرض الإمام النووي رحمته الله لهذه المسألة وخلاف الخوارج فيها. فقال: «مذهبنا ومذهب العلماء كافة جواز المسح على الخفين في الحضر والسفر وقالت الشيعة والخوارج لا يجوز...»^(١).

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة ضمن المسائل التي ناقشها الإمام والتي تبين موقفه من الشيعة.

٣ - موقفه من المعتزلة:

أصل الاعتزال: التنحي، واعتزل الشيء وتعزله تنحى عنه، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم^(٢).

أما في الاصطلاح: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب وأصل بن عطاء الغزال^(٣)، الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري^(٤)^(١).

(١) المجموع شرح المذهب، النووي ٤٧٦/١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٤٤٠/١١.

(٣) وأصل بن عطاء البليغ الأزهري أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري الغزال ولد سنة ثمانين بالمدينة وكان يثبغ بالراء غيناً ولاقتداره على اللغة وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظه فيها راء، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر فانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا حلقة الحسن البصري فسموا المعتزلة قيل، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، السير ٤٦٤/٥، الفرق بين الفرق، الإسفراييني ص ٢٠ - ٢١، الملل والنحل، الشهرستاني ٥٠/١، الشذوات ١٨٢/١.

(٤) الحسن البصري هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، مولى بن ثابت كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة،

وتجمعهم الأصول الخمسة المعروفة وهي: التوحيد، والعدل، وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويتبين موقف النووي رحمه الله من المعتزلة من خلال ما يأتي:

١ - ذم مذهب الاعتزال:

روى مسلم في مقدمة صحيحه عن معاذ بن معاذ قال: قلت لعوف بن أبي جميلة إن عمرو بن عبيد حدثنا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا))^(٢)، قال: كذب والله عمرو، ولكنه أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث^(٣).

قال رحمه الله: «وقوله أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث: معناه كذب بهذه الرواية ليعضد بها مذهبه الباطل الرديء وهو الاعتزال، فإنهم يزعموا أن ارتكاب المعاصي يخرج صاحبه من الإيمان ويخلده في النار ولا يسمونه كافراً بل فاسقاً مخلداً في النار.

أما قول عوف: (كذب والله عمرو) مع أن الحديث صحيح لكونه نسبه

كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، رأى عثمان وطلحة والكبار، وروى عن عمران بن حصين والمغيرة وغيرهما وروى عن خلق من التابعين، وعنه حميد الطويل وثابت البناني وغيرهما. قال محمد بن سعد: كان الحسن رحمه الله جامعاً عالماً رفيعاً فقيها ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً وما أرسله فليس بحجة، وقال يونس بن عبيد: أما أنا فإني لم أر أحداً أقرب قولاً من فعل من الحسن مات رحمه الله في رجب سنة عشر ومائة، السير ٥٦٣/٤، الشذرات ١٣٦/١.

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد المعثق ١٣ - ١٤، التعريفات، الجرجاني ٢٨٢.

(٢) قوله ﷺ: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: (من حمل علينا السلام فليس منا) عن ابن عمر ٢٣/١٣، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: كفر من استحل قتال المسلم عن أبي هريرة ١٠٨/٢، والترمذي، كتاب: الحدود، باب: ما جاء فيمن شهر السلاح ١٠/٣، عن أبي موسى.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٩/١.

إلى الحسن، وكان عوف من كبار أصحاب الحسن والعارفين بأحاديثه، فقال: كذب في نسبته إلى الحسن فلم يرد الحسن هذا أو لم يسمعه هذا من الحسن»^(١).

٢ - تكفيرهم:

نقل كلام المازري رحمته الله: «... المعتزلي مثلاً يقول: إن الله تعالى عالم ولكن لا علم له، وحي ولا حياة له يوقع الالتباس في تكفيره لأننا علمنا من دين الأمة ضرورة أن من قال إن الله تعالى ليس بحي ولا عالم كان كافراً، وقامت لحجة على استحالة كون العالم لا علم له.

فهل نقول: إن المعتزلي إذا نفى العلم نفى أن يكون الله تعالى عالماً وذلك كفر بالإجماع، ولا ينفعه اعترافه بأنه عالم مع نفيه أصل العلم. أو نقول: قد اعترف بأن الله تعالى عالم وإنكاره العلم لا يكفره، وإن كان يؤدي إلى أنه ليس بعالم فهذا موضوع الإشكال.

بعد ذلك قال: ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون وكذلك القدرية وجماهير المعتزلة وسائر أهل الأهواء»^(٢).

٣ - وجوب إنجاز الوعد بالشرع لا بالعقل:

هذه المسألة حول التحسين والتقبيح العقلي والثواب والعقاب على ذلك وحول وجوب فعل الأصلح.

وهي مسألة خاض فيها المعتزلة، لكن كلام النووي رحمته الله هنا في بيانه لمذهب أهل السنة غير مسلم في الجملة فإنه يمثل مذهب الأشاعرة.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١٠٩.

(٢) المرجع السابق ٧/١٦٠.

قال ﷺ في شرحه لقوله ﷺ: ((لن ينجي أحدا منكم عمله)) (١).

اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم، ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع.

ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل.

ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه.

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلاح ويمنعون خلاف هذا، في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنايذة لنصوص الشرع.

وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته (٢).

(١) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ١٥٩/١٧، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لن ينجي أحدا منكم عمله، قال رجل: ولا إياك يا رسول الله، قال: ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سدوا)) وله روايات كثيرة في الباب نفسه ١٥٩/١٧ - ١٦١، ورواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ٢٩٤/١١، عن أبي هريرة نحوه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل ١٤٠٥/١، والإمام أحمد ٢٣٥/٢ - ٢٥٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٩/١٧ - ١٦٠، وانظر: المصدر السابق ٦/٧، ففيه إشارة إلى ما تقدم.

٤ / مسألة غسل الرجلين في الوضوء:

تقدم خلاف الشيعة في هذه المسألة وأنهم لا يعتقدون وجوب غسل الرجلين بل تمسحان مسحاً بالماء.

أما المعتزلة فإن منهم من يرى التخيير بين المسح والغسل، حكى ذلك النووي رحمته الله، فقال: «وقال محمد بن جرير^(١) والجبائي^(٢) رأس المعتزلة يتخير بين المسح والغسل»^(٣).

وكلام الطبري رحمته الله حول هذه المسألة في تفسيره لآية المائدة وقول الله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

فذكر الخلاف في قراءة الآية تُقرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب أو الجر.

وبناء عليه هل الفرض غسل الرجلين في الوضوء أو مسحهما؟

فذكر بأسانيده أقوال من قال: عني الله بقوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

الغسل وأقوال من قال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ في الآية تقرأ بالكسر ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ والمراد أن الله تعالى أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها وجعلوا (الأرجل) عطفاً على (الرأس) فخفضوها.

ثم قال: والصواب من القول عندنا في ذلك، أن الله - عز ذكره - أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في

(١) هو: محمد بن جرير المجتهد العلم الإمام فإنه من أئمة أهل السنة وإليك ترجمة موجزة له: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد أبو جعفر الطبري، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إمام في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك، توفي سنة عشر وثلاث مائة ببغداد، انظر: السير ٢٦٧/١٤، الشذرات ٢٦٠/٢.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢٩/٣.

التيتم. وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ، كان مستحقاً اسم "ماسحٍ غاسلٍ"، لأن "غسلهما" إمرار الماء عليهما أو إصابتها بالماء. و"مسحهما"، إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما. فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو "غاسل ماسح" إلى أن قال: .. فإذا كان "المسح" المعنيان اللذان وصفنا: من عموم الرجلين بالماء، وخصوص بعضهما به، وكان صحيحاً بالأدلة الدالة التي سنذكرها بعد، أن مراد الله من مسحهما العموم، وكان لعمومهما بذلك معنى "الغسل" و"المسح"، فبين صواب قراءة القراءتين جميعاً، أعني النصب في "الأرجل" والخفض. لأن في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما، وفي إمرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحهما. فوجه صواب قراءة من قرأ ذلك نصبا لما في ذلك من معنى عمومها بإمرار الماء عليهما. ووجه صواب قراءة من قرأه خفضاً، لما في ذلك من إمرار اليد عليهما، أو ما قام مقام اليد، مسحاً بهما.

غير أن ذلك وإن كان كذلك، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً، فأعجب القراءتين إليّ أن أقرأها، قراءة من قرأ ذلك خفضاً، لما وصفت من جمع "المسح" المعنيين اللذين وصفت، ولأنه بعد قوله: "وامسحوا برءوسكم" فالعطف به على "الرؤوس" مع قرابه منه، أولى من العطف به على "الأيدي"، وقد حيل بينه وبينها بقوله: "وامسحوا برءوسكم" (١).

فكلام ابن جرير المتقدم خلاصته أنه يرجح قراءة الجر، ويكون المراد مسح لعموم القدم حتى الكعبين بالماء مع إمرار اليد عليها بالدلك وهذا هو الغسل، إذا ابن جرير رحمته الله لا يخالف أهل السنة في هذه المسألة وليس مذهبه موافقاً للشيعة ومن وافقهم فإنهم يكتفون بمجرد مسح أعلى القدم دون إسباغ للماء يشمل جميع القدم، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الطبري ٦١/١٠ - ٦٤، تحقيق: أحمد شاكر.

٤ / موقفه من الكرامية:

فرقة الكرامية: أصحاب محمد بن كرام السجستاني، كان عامياً لا يقرأ ولا يكتب بل كان يملي ذلك على أصحابه افتراءً من بنات فكره، وهم يكتبون عنه ما يسمعون منه، كان يتعبد ويظهر الزهد، والتكشف والتقليل من الدنيا^(١).

قال عنه الذهبي: ساقط الحديث على بدعته، أكثر من أحم الجويباري ومحمد بن تميم السعدي وكانا كذابين، قال ابن حبان: خذل حتى التقط من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أوهأها^(٢) يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً^(٣).

والكرامية ممن يمل غلى التشبيه، وقد نقل أرباب المقالات أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حدود ونهاية من تحته، وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه بأنه جوهر، وذكر أن الله تعالى مماس لعرشه وأن العرش مكان له^(٤).

وكلام النووي رحمته الله عنهم جاء في مسألة الكذب على رسول الله ﷺ حيث قال: في باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ: لافرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواظب وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع خلافاً للكرامية الطائفة المبتدعة

(١) البرهان للسبكي ٣٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٢١/٤، السير ٥٢٣/١١.

(٣) المقالات ١٤١.

(٤) الفرق بين الفرق ٢١٦.

في زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب وتابعهم على هذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون أنفسهم إلى الزهد أو ينسبهم جهلة مثلهم وشبهة زعمهم الباطل انه جاء في رواية من كذب على متعمدا ليضل به فليتبوا مقعده من النار وزعم بعضهم أن هذا كذب له عليه الصلاة والسلام لا كذب عليه وهذا الذي انتحلوه وفعلوه واستدلوا به غاية الجهالة ونهاية الغفلة وأدل الدلائل على بعدهم من معرفة شيء من قواعد الشرع وقد جمعوا فيه جملا من الأغاليط اللائقة بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة الفاسدة فخالفوا قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) (١) وخالفوا صريح هذه الأحاديث المتواترة والاحاديث الصريحة المشهورة في إعظام شهادة الزور وخالفوا إجماع أهل الحل والعقد وغير ذلك من الدلائل القطعية في تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحى واذا نظر في قولهم وجد كذبا على الله تعالى قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) (٢) ومن أعجب الأشياء قولهم هذا كذب له وهذا جهل منهم بلسان العرب وخطاب الشرع فان كل ذلك عندهم كذب عليه.

وأما الحديث الذي تعلقوا به فأجاب العلماء عنه بأجوبة أحسنها وأخصرها أن قوله ﴿ليضل الناس﴾ زيادة باطلة اتفق الحفاظ على إبطالها وأنها لا تعرف صحيحة بحال.

الثاني: جواب أبي جعفر الطحاوي أنها لو صحت لكانت للتأكيد كقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ (٣).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣ - ٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤٤.

الثالث: أن اللام في ليضل ليست لام التعليل بل هي لام الصيرورة والعاقبة معناه أن عاقبة كذبه ومصيره إلى الإضلال به كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (١) ونظائره في القرآن وكلام العرب أكثر من أن يحصر وعلى هذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالا وعلى الجملة مذهبهم أرك من أن يعتنى بإيراده وأبعد من أن يهتم بإبعاده وأفسد من أن يحتاج إلى إفساده (٢).

(١) سورة القصص، الآية: ٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٠/١ - ٧١.

الفصل الخامس

موقفه من التصوف والتصوفية

الصوفية في اللغة والاصطلاح:

أولاً: في اللغة:

قال الجوهري: صاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف: أي عدل عنه ومنه قولهم: صاف عني شر فلان وأصاف الله عنه شره (١).

ثانياً: في الاصطلاح:

أقدم الأقوال (٢) وأصحها في سبب التسمية بالصوفية ذلك القول الذي يرى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم "الصوفية" أنهم منسوبون إلى الصوف. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله قال بعدما ذكر الأقوال وفندها: «وقيل: - وهو المعروف - أنه نسبة إلى لبس الصوف» (٣).

نشأة الصوفية:

على ضوء حقائق التأريخ وسيرة الصدر الأول، بالإضافة إلى سلوك وحياء علماء السلف رضي الله عنهم فضلاً عن عهد النبي صلى الله عليه وسلم وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة

(١) الصحاح للجوهري ٤/١٣٨٨، اللسان ٩/١٩٩، وانظر: كتاب الصوفية معتقداً ومسلكاً لصابر طعيمة ١٩.

(٢) ذكر شيخ الإسلام رحمته الله بعض الأوقال في سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم:

١ - قيل إن نسبة إلى أهل الصفة.

٢ - قيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله.

٣ - وقيل: الصفة من خلق الله.

٤ - وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طائحة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النسائك، وهذه الأقوال كلها غلط كما بين ذلك ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى ٦/١١.

(٣) المصدر السابق ٦/١١.

لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا معيناً متميزاً تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم.

فصدر صدر الإسلام لم يكن في حاجة إلى أن تنشأ فيه هذه الظاهرة بمعتقداتها وبدعها.

وكان أفضل وأكرم اسم يحبون أن يعرفوا به هو أنهم أصحاب رسول الله ﷺ أنهم مسلمون، وحتى الجيل الثاني الذي شهد أصحاب رسول الله ﷺ كان الشرف الذي يحرصون على أن يحملوه والسمة التي يحبون أن يعرفوا بها هو أنهم ممن صحب أصحاب رسول الله ﷺ.

إذا القرن الأول كله لم يشهد أسماء وألقاباً للدلالة على سلوم البعض من هذا القبيل ولم يذع اسم (المتصوفة) ويشتهر على الألسنة ويتداول كمنهج في التبتل أو الانقطاع أو العبادة يخالف ما عليه جمهور الأمة قبل المائتين من الهجرة وإطلاق (الصوفي والمتصوف) بعد انقضاء مائتي عام من الهجرة كان مرادفاً للزاهد والعابد والفقير.

ولم يكن الفقر والزهد ولبس الصوف يتجاوز نطاق هذه الدلالات إلى ما استحدث بعد ذلك في سلوك المتصوفة وبدعهم.

وبعد القرن الثاني خرجت من البصرة في العراق مجموعات طورت من سلوكها وأدخلت بعض المظاهر والطقوس على ما اعتبره زهداً وعبادة حتى افترق الناس في أمر هؤلاء الذين زادوا في مظاهر عباداتهم، وغلوا في نهجهم وأحوالهم، واتخذوا لذلك حلقات وأماكن وخلوات خاصة بهم يجتمعون فيها مع من يريدون ويصطفون بطريقة ونهم لم يعرف عن أصحاب رسول الله حين كانوا يقومون بأمر ربهم وكان اختلاف الناس في أمر هؤلاء بانقسامهم فيهم إلى فريقين:

فقوم يذمونهم وينتقدون شأنهم، وقوم يبجلونهم ويحترمون أمرهم، وصاروا يسمون أنفسهم أرباب الحقائق، وأهلاً لباطن، وسموا من عاداهم أهل

الظاهر، ومن هنا أحدث المتصوفة الفجوة الجوهرية التي بينهم وبين جمهور أمة الإسلام ممثلاً في منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة^(١).

والإمام النووي رحمته الله نحسبه من العلماء الربانيين العاملين، كان كثير التعبد والذكر، مات ولم يتزوج وعمره رحمته الله ست وأربعين سنة ومع ذلك فإن الإمام رحمته الله مع جلالة قدره وإمامته وعلمه وتقواه كان متأثراً ببعض الشيء بالصوفية، فمن خلال استقراء مؤلفاته لاحظت أنه يثني على بعض الصوفية وينقل عنهم.

وكان من ضمن شيوخه: ياسين المقرئ الحجام الذي قال عنه السخاوي: كان صاحب كشف وكرامات^(٢).

كذلك هو يستخدم بعض عباراتهم (كالأبدال، ومكاشفات الحقائق، وخواص الأولياء).

والكلام عن موقف النووي رحمته الله من التصوف والصوفية سيكون من خلال مناقشة النقاط الآتية:

١ / الشاء على بعضهم والنقل عنهم والترحم عليهم.

٢ / استخدام عباراتهم.

٣ / الرد عليهم.

١ / الشاء على بعضهم والنقل عنهم والترحم عليهم:

من ذلك قوله: وممن ختم أربعا في الليل وأربعا في النهار السيد الجليل ابن

الكاتب الصوفي^(٣) رحمته الله^(٤).

(١) الصوفية معتقداً ومسلماً ٢٥ - ٣١ بتصرف واختصار

(٢) المنهل العذب الروي ٣٧.

(٣) ابن الكاتب الصوفي لم أقف له على ترجمة

(٤) الأذكار ١١١.

وقال عن المحاسبي^(١) : لأنه كان يحاسب نفسه وهو ممن جمع له علم الظاهر والباطن^(٢).

ونجده يثني على أبي سليمان الداراني^(٣) في كتابه بستان العارفين فيقول: «وكان أبو سليمان من كبار العارفين وأصحاب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والحكم المتظاهرة واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية... وهو أحد متأخري بلادنا دمشق وما حولها رضي الله تعالى عنه»^(٤). وينقل عن الغزالي^(٥) في الإحياء ويترحم عليه^(٦).

(١) الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي أبو عبد الله صوفي متكلم، فقيه، محدث، ولد بالبصرة، وحدث عن يزيد بن هارون وطبقته، روى عنه ابن مسروق والجنيد وغيرهما له كتب كثيرة في الزهد والرد على المعتزلة والرافضة تكلم في مسألة اللفظ ومسألة الإيمان، قيل: هجرة الإمام أحمد، توفى ببغداد سنة ٢٤٣هـ، من مؤلفاته الرعاية في الأخلاق والزهد، والتفكير والاعتبار، السير ١٧١/٨، معجم المؤلفين ١٧٤/٣، صفة الصوفية ٣٦٧/٢.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ١٦٢.

(٣) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي أبو سليمان الداراني، وداريا قرية من قرى دمشق، توفى سنة خمس ومائتين وقال أبو عبد الرحمن السلمى سنة خمس عشرة ومائتين والأول أصح، طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٨٦، صفة الصوفية لابن الجوزي ٢٢٣/٤، طبقات الصوفية للسلمى ٧٥.

(٤) بستان العارفين ٤٣.

(٥) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (ظين الدين) أبو حامد صوفي متكلم فقيه أصول أخذ عن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور ولازمه درس بنظامية بغداد ثم أقبل على العبادة والسياحة ثم عاد إلى وطنه وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ولزم الانقطاع توفى سنة ٥٠٥هـ من مؤلفاته: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الفقه الشافعي، المستصفي في أصول الفقه، السير ٧٥/١٢، معجم المؤلفين ٢٦٦/١١.

(٦) التبيان ٤٩، والأذكار ٣٥٣.

وكذلك ينقل عن القشيري والدقاق (١)(٢).

٢ / استخدام عباراتهم:

الصوفية فرقة لها عبارات خاصة، هي من جملة البدع التي اخترعوها وخالفوا فيها أهل السنة والجماعة، من هذه العبارات والكلمات الأبدال، ومكاشفات الحقائق، طريق العارفين، وخواص الأولياء وغيرها من العبارات، وقد تأثر النووي رحمته الله بهذه العبارات واستخدمها في مؤلفاته.

منها قوله عن حماد بن سلمة (٣) رحمته الله روينا عن السيد الجليل حماد ابن سلمة رحمته الله، وكان يعد من الأبدال (٤).

(١) عبدالكريم بن هوزان بن عبدالملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشير الشافعي أبو القاسم، صوفي، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، متكلم، أديب، ناثر، ناظم، توفي بنيسابور سنة ٤٦٥ هـ، من تصانيفه: الرسالة القشيرية في التصوف، التيسير في التفسير، السير ١١/١٩٨، معجم المؤلفين ٦/٦.

(٢) الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري الشافعي (أبو علي) صوفي، فقيه أصولي، أخذ مذهب الشافعي عن القفال والحصري وغيرهما، توفي سنة ٤٠٥ هـ من آثاره كتاب الضحايا، الشذرات ٣/٨١٨٠، معجم المؤلفين ٣/٢٦١.

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم، ويقال: مولى قريش روى عن ثابت البناني وقتادة وغيرهما وعنه الثوري وشعبة وغيرهما، قال ابن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا لم يكن من أقرانه بالبصرة مثله في الفضل والدين والنسك والعلم والكتب والجمع والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع، مات سنة ١٦٧ هـ، التهذيب ١١/٢، السير ٧/٤٤٤.

(٤) بستان العارفين ٤٢. الإبدال من بدع الصوفية: قال عنهم شيخ الإسلام: "الذين تكلموا باسم البديل فسروه بمعان: منها أنهم أبدال الأنبياء، ومنها أنهم كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات وذكرهم إحسان إلهي في مراتب الصوفية كما يزعم الصوفية أنهم من سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البديل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام، ثم ذكر أن البدلاء سبعة حافظين للأقاليم السبعة، وكل منهم قطب للإقليم الخاص به، الفتاوى ١١/٤٤١ - ٤٤٢، التصوف منشأ ومصادره، إحسان إلهي ٢٣١ - ٢٣٢.

ومنها قوله في شرح قوله ﷺ: ((الصلاة نور))^(١)، قيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانسراح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها^(٢).
 وفي شرحه لحديث أويس^(٣) قال: قوله: ومنهم رجل يسخر بأويس: أي يحتقره ويستهزئ به وهذا دليل على أنه يخفي حاله، ويكتم السر الذي بينه وبين الله عز وجل، ولا يظهر منه شيء يذل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء^(٤).

٣/ الرد عليهم:

ونجده ﷺ يرد على المتصوفة في بعض المسائل العقدية وينقل عن من يرد عليهم.

من ذلك: قوله: قال القاضي: وهذا خلاف قول بعض المتصوفة إن الدعاء قدح في التوكل والرضا وأنه ينبغي تركه^(٥).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((وقالت الجنة فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ١٠٠/٣، عن أبي مالك الأشعري ولفظه قال رسول الله ﷺ: ((الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور، والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ١٩٧/٥، مثله، والنسائي، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٧-٥/٣ نحوه، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء شطر الإيمان نحوه، وأحمد ٣٤٢/٥، مثلهم كلهم من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠١/٣.

(٣) رواه في كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب من فضائل أويس القرني ﷺ ٩٤/١٦، عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: ((إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن ثقيه منكم فليستغفر لكم)).

(٤) شرح صحيح مسلم ٩٤/١٦.

(٥) المرجع السابق ١٥٠/٩.

وسقطهم وعجزهم...))^(١) قال: وأما عجزهم فبفتح العين والجيم جمع عاجز: أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة.

وأما الرواية رواية محمد بن رافع ففيها لا يدخلني إلا ضعاف الناس وغرتهم فروي على ثلاثة أوجه حكاها القاضي وهي موجودة في النسخ: إحداها: غرتهم بغين معجمة مفتوحة وتاء مثلثة.

قال القاضي هذه رواية الأكثرين من شيوخنا، ومعناها أهل الحاجة والفاقة والجوع، والغرت: الجوع.

والثاني: عجزتهم بعين مهملة مفتوحة وجيم وزاي وتاء عاجز، كما سبق. والثالث: غرتهم بغين معجمة مكسورة وراء مشددة وتاء مثناة فوق، وهكذا هو الأشهر في نسخ بلادنا: أي البله الغافلون الذين بهم فتك وخذق في أمور الدنيا، وهو نحو الحديث الآخر: ((أكثر أهل الجنة البله))^(٢).

قال القاضي: معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان الذين لا يفتنون

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنم أعادنا الله منها ١٧/١٨٢، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ((تحاتت الجنة والنار فقالت النار أثمرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعزتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط فهناك تمتلئ ويروى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحد))، ورواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة ق، باب: وتقول هل من مزيد، ٨/٥٩٤، عن أبي هريرة نحوه، والإمام أحمد ٢/٢٧٦، ٢/٥٠٧ نحو عن أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في الشعب ٢/١٢٥ رقم ١٢٦٦، من حديث أحمد بن عيسى الخشاب عن عمر بن أبي سلمة عن مصعب بن ماهان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ((أكثر أهل الجنة البله)) قال البيهقي: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر، ورواه أيضا من حديث سلامة بن روح عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أكثر أهل الجنة البله)) ٢/١٢٦ رقم ١٣٦٧، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٤/١٢١، من حديث سلامة أيضا، وابن عدي في الكامل ١/١٩٤، في ترجمة أحمد بن عيسى الخشاب، وهو حديث ضعيف.

للشبه (١) فيدخل عليهم الفتنة، أو يدخلهم في البدعة أو غيرها فهم ثابتو الإيمان وصحيحوا العقائد، وهم أكثر المؤمنين وهم أكثر أهل الجنة (٢).
 مما سبق في هذا المبحث يتبين أن النووي رحمته الله فيه ميل إلى التصوف يتمثل ذلك في استخدامه لبعض عباراتهم البدعية، والثناء على بعض شيوخهم كالداراني والغزالي والقشيري والدقاق وغيرهم، والله أعلم.

(١) وقع تصحيح في هذه الكلمة في الطبعة المصرية المشهورة فوردت هكذا (للسنة) هو خطأ ظاهر والتصحيح من الطبعة الهندية ٣٨١/٢.
 (٢) شرح صحيح مسلم ١٧/١٨١.

الباب الثاني

منهج النووي في تقرير التوحيد

وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهجه في تقرير توحيد الأسماء والصفات
الفصل الثاني: منهجه في بيان توحيد الألوهية وما يضافه

الفصل الأول

منهجه في تقرير الأسماء والصفات

المبحث الأول

منهجه في تقرير الأسماء والصفات إجمالاً

قبل عرض منهج النووي رحمته الله في الأسماء والصفات يجدر بي أن أذكر ملخصاً لمنهج السلف في الأسماء والصفات ثم أذكر ما وقفت عليه من كالم النووي رحمته الله في هذا الباب، ومن ثم أعرضه على منهج السلف لنتبين ما وافق فيه السلف وما خالفهم فيه.

قال شيخ الإسلام رحمته الله في تقرير مذهب السلف في هذا الباب: «فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسماءه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيلها بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل (٢).

أما منهج النووي - إجمالاً - في الأسماء والصفات فيمكن فهمه من خلال ما يلي:

١ / إثباته لأسماء الله جملة.

٢ / تفسير لبعض الأسماء بما يخالف منهاج السلف.

٣ / الصفات التي أثبتها والتي تأولها.

٤ / هل يعتبر النووي الصفات من المتشابهة؟

٥ / هل يقول بالتفويض؟

وتوضح هذه الفقرات كما يلي:

١ / إثباته لأسماء الله جملة:

النووي رحمته الله يثبت ما ورد في النصوص من أسماء الله تعالى، كما يعتقد أنها توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بنص إما من الكتاب أو السنة ولا يجوز التوسع فيها وهذا يتبين من خلال إثباته لجميع الأسماء الواردة في النصوص في شرحه لصحيح مسلم وغيره كما سيأتي إن شاء الله تعالى مفصلاً.

(١) سورة الشوري، الآية: ١١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣، ٤.

٢ / تفسيره لبعض الأسماء بما يخالف منهاج السلف:

فسر النووي ﷺ بعض أسماء الله تعالى فمنها ما وافق فيه أهل السنة ومنها ما خالفهم فيه، كما أنه ينقل معانيها عن المازري والجويني والقاضي وغيرهم.

فمال خالفهم فيه: اسم الله تعالى "الصبور" "النور" كما سيأتي، ومما وافقهم فيه: "السلام"، ومما أثبتته وذكر الأقوال فيه ولم يرجح "الكريم" "الرفيق" "الجميل".

٣ / الصفات التي أثبتها والتي تأولها:

الإمام النووي على منهج الأشاعرة فيما يتعلق بصفات الله تعالى فنجده يؤول الكثير من الصفات، فهو ﷺ يؤول جميع ما ذكر من الصفات الذاتية كاليد والرجل والساق والوجه من الأصبع، الحياء، والصورة.

ويثبت السمع والبصر على منهج الأشاعرة بمعنى أنهم ينفون منها ما يتعلق بالصفات الاختيارية مثل كونه يستمع الآن لقراءة هذا، ويعتبرونه من حلول الحوادث فيثبتون السمع والبصر كصفات أزلية واحدة.

أما الصفات الفعلية فهو ما يؤولها إما بالإرادة وإما بالثواب نفسه وإما بالعقاب نفسه وإما بغير ذلك من التأويلات الباطلة، كالغضب والرضا، والمحبة، والبغض والسخط والكراهة والضحك والفرح والعجب والغيرة والإتيان والمجيء والقرب، والنزول...

أما المعية والكلام فهو على منهج أهل السنة في إثباتها، والعلو والرؤية هو فيها على مذهب الأشاعرة حيث ينكر علو الله تعالى بذاته كما أنه يثبت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة لا في جهة.

٤ / هل يعتبر أخبار الصفات من المتشابه:

يرى الإمام النووي أن أخبار الصفات من المتشابه، وأن المتشابه على ما ورد في صفات الله تعالى، فقال نقلا عن ابن الصلاح: « ليس له إذا استفتى في شئ

من المسائل الكلامية أن يفتي بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك أو في شيء منه وان قل وبأمرهم بأن يقتصروا فيها على الإيمان جملة من غير تفصيل ويقولوا فيها وفي كل ما ورد من آيات الصفات وأخبارها المتشابهة إن الثابت فيها في نفس الأمر ما هو اللائق فيها بجلال الله تبارك وتعالى وكماله وتقديسه المطلق فيقول ذلك معتقدنا فيها وليس علينا تفصيله وتعيينه وليس البحث عنه من شأننا بل نكل علم تفصيله إلى الله تبارك وتعالى ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا وألسنتنا فهذا ونحوه هو الصواب من أئمة الفتوى في ذلك وهو سبيل سلف الأمة وأئمة المذاهب المعتمدة وأكابر العلماء والصالحين وهو أصون وأسلم للعامة وأشباههم»^(١).

وفي باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه عند شرحه لقوله ﷺ: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))^(٢).

حكى الخلاف في المحكم والمتشابه ونقل كلاما للغزالي في المستصفي وأقره عليه، فذكر معنى المتشابه، قال: «يطلق على ما ورد في صفات الله تعالى مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله»^(٣).
ومناقشة مسألة إدخال الصفات في المتشابه من خلال أمرين:

(١) المجموع ٥٢/١، ٥٣.

(٢) رواه البخاري: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب، قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)).، وأبو داود كتاب السنة، باب مجانبة أهل الأهواء ١٩٨/٤، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة آل عمران ٢٩١/٤، كلهم عن عائشة بمثله.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢١٨/١٦

الأول: القول الراجح في المقصود بالمتشابه بعد ذكر الأقوال فيه باختصار.
الثاني: الرد على من أدخل الصفات في المتشابه.

١ / المقصود بالمتشابه:

اختلف في المقصود بالمتشابه المذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ﴾ (١).

اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس.

الثاني: -وهو الصحيح - أن التشابه أمر نسبي، فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره، ولكن ثم آيات محكمات لا تشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات إذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القرآن كله محكم كما قال: ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُمْرُ فَصِّلَتْ﴾ (٢) (٣).

وهذا الترجيح مبني على أن القرآن مما يعلم معناه وأن آياته ليس فيها ما لا سبيل إلى العلم به (٤).

٢ / الرد على من أدخل الصفات في المتشابه:

لو أن الكلام في الحكم والمتشابه سلم من إقحام الصفات فيه وطلب تأويلها وتحريف نصوصها تذرعا بأنها من المتشابه كما فعل أهل البدع

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/١٤٤.

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١١٣٧.

والكلام - لبقى الخلاف فيه مثل غيره من مسائل علوم القرآن كأول ما نزل وآخر ما نزل والمكي منه والمدني وغيرها - قابلا لتعدد الآراء واختلافها^(١).
وقد ناقش شيخ الإسلام من توهم أن نصوص الصفات من المتشابه من خلال وجهين:

أحدهما: مناقشة من قال: إن الصفات من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، قال ﷺ: «أما الدليل على [إبطال] ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه. وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة. قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت. ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه.

ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك. وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات: تمر كما جاءت...»^(٢).

والسلف رحمهم الله تواتر عنهم الرد على تأويلات أهل الكلام، التي هي صرف للنصوص عن ظاهرها إلى ما يخالف ظاهرها، ثم إنهم رحمهم الله أثبتوا هذه الصفات ولم يتوقفوا فيها فكيف يقال: إنها عندهم من المتشابهة^(٣).
ومن أدلة شيخ الإسلام على أن الصفات ليست من المتشابه الذي لا يعلم

(١) المصدر السابق ٣/١١٤٠.

(٢) الإكليل في المتشابه والتأويل، ضمن مجموعة الفتاوى ١٣/٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ١٣/٢٩٦.

معناه قوله بعد إيراد عدد كبير من نصوص الأسماء والصفات: «يقال لمن ادعى هذه أنه متاشبه لا يعلم معناه: أتقول هذا في جميع ما سمي الله ووصف به نفسه أم في البعض؟ فإن قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، بل كفر صريح فإننا نفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣)، معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٤)، وصبيان المسلمين بل كان عاقل فيهم يفهم هذا»^(٥).

والثاني: إنه لو قيل: إن الصفات من المتشابه أو فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن الإمام أحمد تسمية ما استدل به الجهمية النفاة متشابهها. فيقال: «الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، إما المتشابه وإما الكتاب كله... ونفي علم تأويله ليس نفي علم كما قدمناه»^(٦).

فشاهد الكتاب والسنة وكلام الصحابة وسائر السلف والأئمة الذين تكلموا في نصوص الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالاتها وبيانها وتعلم الصحابة التفسير مع التلاوة وأقوال الأئمة كل ذلك أدلة واضحة لمن هداه الله على إثباتهم للصفات التي دلت عليها النصوص مع نفي العلم بالكيفية.

وبهذا يتبين أنه على القول بأن الصفات ليست من المتشابه مطلقا، ليس

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٧.

(٥) انظر: الإكليل، مجموع الفتاوى ١٣/٢٩٧.

(٦) المصدر السابق ١٣/٢٨٠، ٢٨١.

لأهل الكلام ولا لغيرهم دليل على زعمهم أنه يلزم فيها تفويض السلف للمعنى والكيفية^(١).

٥/ هل يقول بالتفويض:

التفويض - كما تقدم في الفصل الثالث من الباب الأول - اعتقاد أن نصوص الصفات وغيرها من نصوص العقائد متشابهة لا يعلم معناها المراد منها إلا الله سبحانه وتعالى.

والنوي رحمته الله ممن يقول بالتفويض ذكر مذهبه هذا في غير ما موضع من كتبه نقلتها فيما سبق^(٢) مع ذكر حجج أهل التفويض والرد عليهم.

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١١٤٢/٣.

(٢) انظر: ص ٤٨.

المبحث الثاني منهجه في أسماء الله تفصيلا

١/ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية:

قال رحمته الله: «قال أبو عمر... الأمر في إضافة الأفعال إلى الله تعالى واسع لا يتوقف فيه على توقيف كما يتوقف عليه في أسماء الله تعالى وصفاته ولذلك توسع الناس في ذلك في خطبهم وغيرها»^(١).

فالإمام رحمته الله يعتقد أنه لا يجوز إثبات اسم الله تعالى أو وصفه بصفة إلا بنص من القرآن والسنة الصحيحة، أما الأفعال فالأمر فيها أوسع.

وهذا هو المذهب الحق في الجملة فإن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص، كذلك لا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته^(٢).

أما ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى فإنه أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه^(٣).

٢/ إحصاء أسماء الله تعالى، وهل هي محصورة في عدد معين؟

قال في شرحه لقوله عليه السلام: ((إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة...)) وفي رواية: ((من حفظها))^(٤).

(١) المجموع ٣١٧/١.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ ابن عثيمين ١٣، ٢٨، بتصرف يسير.

(٣) لوامع الأنوار ١٢٤/١.

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسما إلا واحدة عن أبي هريرة مثل الرواية الثانية ٣٧٧/١٢، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والحث على ذكر الله تعالى، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٥/١٧، عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة، أو في نفس الكتاب والباب والصفحة عن أبي هريرة: إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة، والترمذي في أبواب

اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة.

فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء^(١)، ونظيره أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة^(٢). فلا يناه في أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة، ثم قال: وأما قوله ﷺ: ((من أحصاها دخل الجنة))، فاختلّفوا في المراج بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها^(٣)، وهذا هو الأزهر لأنه جاء مفسرا في الرواية الأخرى من حفظها، وقيل: أحصاها: عدّها في الدعاء بها، وقيل: أطاقها أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها.

وقيل: معناه العمل بها والطاعة بكل اسمها، والإيمان بها لا يقتضي عملا وقال بعضهم: المراد حفظ القرآن وتلاوته كله، لأنه مستوف لها وهو ضعيف والصحيح الأول^(٤). وهذه الأقوال كلها واردة عن الأئمة فالأمر فيها واسع.

٣/ معاني بعض الأسماء:

سأورد هنا نماذج لذكره وإثباته لبعض أسماء الله تعالى، وبيان لمعانيها والتعليق على ذلك إن احتاج الأمر.

الدعوات، باب ما جاء في عقدة التسبيح باليد ١٩١/٥، والإمام أحمد ٥١٦/٢، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب أسماء الله عز وجل ٢٦٩/٢ كلهم عن أبي هريرة مثله.

(١) شرح صحيح مسلم ٥/١٧.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ٢٢.

(٣) قول البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ذكر هذه الرواية ثم قال: أحصيناها: حفظنا ٣٨٩/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ٥/١٧، ٦.

١ - السلام: قال في شرحه لقوله ﷺ: ((إن الله هو السلام))^(١).

معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه السالم من النقائص
وسمات الحدود^(٢)، ومن الشريك والند.
وقيل: المسلم أولياءه.

وقيل: المسلم عليهم وقيل غير ذلك^(٣).

والذي يظهر والله أعلم أن المعنى الأول هو الصحيح.

قال ابن القيم في النونية:

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان^(٤)
وقال السعدي في شرحه: السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقصان،
ومن كل ما بنا في كماله^(٥).

٢ - الصبور الحليم: قال في شرحه لقوله ﷺ: ((لا أحد أصبر على أذى

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ١١٥/٤ - ١١٦، عن عبد الله قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله ﷺ السلام على الله السلام على الله السلام على فلان فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم يتخير من المسألة ما شاء))، والبخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "السلام المؤمن" ٣٦٥/١٣، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب التشهد ٥٠٤/١، والنسائي، كتاب السهو، باب تخيير الدعاء بعد الصلاة على النبي ﷺ ٥٠٣/٣، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٩٠/١، والإمام أحمد ٤١٣/١، كلهم عن ابن مسعود نحوه.

(٢) هذه عبارة كلامية موهمة.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١٦/٤.

(٤) القصيدة النونية مع شرح الهراس ١٠٥/٢.

(٥) الحق الواضح المبين ٤٣، وانظر: شرح النونية للهراس ١٠٥/٢.

يسمعه من الله عز وجل))^(١).

معناه أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والند.

قال المازري: حقيقة الصبر مع النفس من الانتقام أو غيره، فالصبر نتيجة الامتناع، (فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك).

قال القاضي: والصبور من أسماء الله تعالى، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام^(٢).

ونص قول المازري: « والصبر: منع النفس من التشفي والانتقام، أو منعها من غير ذلك. فلما كان الامتناع نتيجة الصبر عبر عن ترك الباري - سبحانه - الانتقام بهذه العبارة، وجرى الأمر في ذلك على حسب ما قلناه مرارا فيما تقدم من مثل هذا»^(٣).

فالمازري يجعل حقيقة الصبر منع النفس من الانتقام لأن المنع نتيجة للصبر فلما كان الأمر كذلك عبر عن ترك الانتقام بالصبر، فهو يؤول الصبر بالامتناع لكونه نتيجة للصبر.

أما النووي فيجعل الصبر نتيجة للامتناع لذا أطلق اسم الصبر على الامتناع في حقه تعالى. وهذا خطأ فالصبور اسم الله تعالى، ومن صفاته الصبر كما

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" ٣٦٠/١٢، عن أبي موسى الأشعري نحوه، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في الكفار ١٤٦/١٧، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافهم ويرزقهم))، وأحمد ٣٩٥/٤، ٤٠١، ٤٠٥، عن أبي موسى نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٦/١٧.

(٣) المعلم ١٩٧/٣.

سمى سبحانه نفسه لم يصف نفسه بالامتناع.

قال ابن القيم:

وهو العليم فلا يعاجل عبده
بعقوبة ليتوب من عصيان
وقال:

وهو الصبور على أذى أعدائه
قالوا له ولد وليس يعيدنا
هذا وذاك بسـمعه ويعلمه
لكن يعافهم ويرزقهم وهم

فالحليم الذي له الحلم الكامل: الذي وسع حلمه أهل الكفر والفسوق
والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلا فهو يمهلهم ليتوبوا^(١).

أما الصبور فهو مبالغة من صابر، ومعنى الصبر حبس النفس على ما
تكره وضده الجزع، وهو في حق الله تعالى معناه: حلمه على أعدائه مع
ارتكابهم ما يوجب غضبه، من شتمه وتكذيبه، وتكذيب رسله ومعاندتهم
لآياته ومحاربتهم لدينه وشرعه، وهو لا يزال يتابع عليهم نعمه ويدر عليهم
الأرزاق.

وصبره تعالى أكمل صبر لأنه عن كمال قدرة وكمال غنى عن الخلق،
وكمال رحمة وإحسان^(٢).

٣ - الشكور: في شرحه لقوله ﷺ: ((أفلا أكون عبدا شكورا))^(٣).

(١) القصيدة النونية مع شرح هراس ٨٦/٢، ٨٧

(٢) الحق الواضح المبين ٣٠ مع تقديم وتأخير.

(٣) شرح القصيدة النونية لهراس ٨٧/٢.

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير - تفسير سورة الفتح - باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر ٥٨٤/٨، عن المغيرة، ورواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار
الأعمال والاجتهاد بالعبادة ١٦٢/١٧، عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت

قال: «وأما شكر الله تعالى أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثاؤه بما أنعم به عليهم فهو المعطى والمثنى سبحانه والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى والله أعلم»^(١).

الشكور من أسمائه سبحانه الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه، بل يضاعف أضعافا مضاعفة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه بمضاعفة الحسنات، الواحدة بعشرة إلى سبعمائة... إلخ، أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده^(٢).

٤ - الكريم:

قال: وأما الكريم في أسماء الله تعالى فذكر إمام الحرمين في الإرشاد ثلاثة مذاهب في معناه فقال: معناها لمفضل، وقيل: العفو، وقيل: العلي، قال: وكل نفيس كريم^(٣).

قال في اللسان: الكريم من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، فالله - عز وجل - كريم حميد الفعال^(٤).

قدماء فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبدا شكورا، ورواه أيضا عن عائشة في نفس الموضوع، والنسائي، كتاب قيام الليل، وتطوع النهار، باب إحياء الليل ٢١٩/٣، عن المغيرة، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في طول القيام في الصلوات ٤٥٦/١، عن المغيرة وعن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد ٢٥١/٤، ٢٥٥، عن المغيرة وعن عائشة ١١٥/٦.

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٢/١٧ - ١٦٣.

(٢) الحق الواضح المبين ٣٨/ وانظر: شرح النووي لهراس ٩٧/٢

(٣) المجموع ٧٨/١.

(٤) لسان العرب ٥١٠/١٢.

فالكرام اسم وصفة يحمل معان شريفة عظيمة كثيرة كلها قد اتصف الله عز وجل بها.

قال ابن العربي: إذا قلنا: إن الكريم هو الكثير الخير، فمن أكثر خيرا من الله لعموم قدرته وسعد عطائه.

وأما إذا قلنا إن الدائم الخير فذلك بالحقيقة لله، فإنه كل شيء ينقطع إلا الله وإحسانه، فإنه دائم متصل في الدنيا والآخرة، وأما إن قلنا إن الذي يسهل خيره ويقرب تناول ما عنده فهو الله بالحقيقة، وأما إن قلنا: إن الكريم هو المنزه عن النقائص والآفات فهو الله وحده بالحقيقة لأنه تقديس عن النقائص والآفات وحده على الإطلاق والتمام والكمال من كل وجه وفي كل حال بخلاف الخلق فإنهم إن كرموا من وجه سفلوا من وجه آخر.

وأما إن قلنا إن الكريم بمعنى المكرم فمن المكرم إلا الله تعالى فمن أكرمه الله أكرم ومن أهانه أهين^(١).

٥ - الرفيق: في شرحه لقوله ﷺ: ((إن الله رفيق يحب الرفق...))^(٢).

قال: وأما قوله ﷺ: ((إن الله رفيق))، ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه بالرفيق، ثم نقل كلاما عن المازري وهو حكاية الخلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت عن النبي ﷺ بخبر الآحاد.

وفي نهايته قال المازري: فإطلاق رفيق إن لم يثبت بغير هذا الحديث الآحاد

(١) نقلا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد الحمود ١/٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الترجي أو غيره بسبب النبي ﷺ ولم يصرح نحوق وله السام عليكم عن عائشة نحوه ١٢/٢٨٠، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ١٦/١٤٦، ولفظه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه))، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الرفق ٤/٢٥٤، عن عبد الله بن مغفل نحوه، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب في الرفق ١/١٢١٦، عن أبي هريرة وعائشة نحوه، والإمام أحمد ١/١١٢، عن علي بن أبي طالب نحوه، و٤/٨٧ عن عبد الله بن مغفل نحوه أيضا.

جرى في جوزا استعماله الخلاف الذي ذكرنا.

قال: ويحتمل أن يكون رفيق صفة فعل وهي ما يخلقه الله تعالى من الرفق لعباده هذا آخر كلام المازري.

والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقا وغيره مما ثبت بخبر الواحد^(١) ففي هذا الكلام يرى النووي جواز تسمية الله تعالى بالرفيق ولم يذكر معناه.

أما تفسير المازري لمعنى اسم الله تعالى (الرفيق) وأن ما يخلقه الله من الرفق لعباده فهو تأويل مردود فالرفيق: مأخوذ من الرفق الذي هو التآني في الأمور، والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال^(٢).

٦ - الجميل: ذكر الإمام النووي في معنى قوله ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال))^(٣).

ثم اختار أنه من الأسماء الحسنى ويجوز إطلاقه على الله، ولم يرجح شيئا من الأقوال في المعنى، فقال ﷺ: «وقوله ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال))، اختلفوا في معناه فقيل: إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال.

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/١٤٦، وانظر كلام المازري في المعلم ١/١٦٧.

(٢) الحق الواضح المبين ٣٤، وانظر: شرح النونية لهراس ٢/٩٢.

(٣) رواه مسلم في أبواب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ٥/١٩٢، ١٩٣، قال الترمذي: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عن أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح، وقد جمع محمد الحمود في كتابها لنهج الأسمى طرق هذا الحديث ونقل أقوال أهلا لعلم حول درجة الرواية التي ورد فيها سرد الأسماء الحسنى وأنها مدرجة ليست من كلام النبي ﷺ بما يفني عن البحث والتكرير، انظر: كتابه المنهج الأسمى ١/٥٠ - ٥٤.

وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم وسمع.
وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمته الله معناه جليل.
وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي^(١) أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي:
مالكهما.

وقيل: معناه جميل الأفعال بكم باللفظ، والنظر إليكم يكافكم
اليسير من العمل ويعين عليه ويثبت عليه الجزيل ويشكر عليه.
واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح، ولكنه من أخبار
الآحاد وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنی^(٢) وفي إسناده مقال، والمختار
جواز إطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء من منعه^(٣).
والتعليق على كلام النووي هذا يتضمن الآتي:

١ / القول الأول: الذي ذكره صحيح المعنى لو أضيف إلى ما ذكر جمال
الذات.

٢ / القول الثاني: وهو القول بأنه جميل بمعنى: مجمل فحسب، قول
ضعيف ليس فيه تنزيه بل إنه انتقاص، فإن الله عز وجل جميل الذات
والصفات والأفعال وكل جمال في المخلوقات من آثار جماله سبحانه.

٣ / قول القشيري: تأويل وصرف اللفظ عن معناه الظاهر بلا دليل.

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي الحافظ اللغوي، أبو سليمان، الإمام
صاحب التصانيف ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي
بكر القفال الشاشي وغيره، سمع من أبي العباس الأصم وأبي سعيد بن الأعرابي وغيرهما،
وحدث عنه أبو عبد الله الحاكم وأبو حامد الإسفراييني وغيرهما، من تصانيفه (شرح
السنن) و(غريب الحديث) و(العزلة)، توفي ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، السير
٢٣/١٧، الشذرات ١٢٧/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله عز وجل ١٢٦٩/٢، عن أبي هريرة وإسناده
ضعيف.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩٠/٢.

٤ / قول الخطابي: بأنه مالك النور والبهجة كذلك تأويل للنص لا يتضمن تنزيها لله بوجه.

٥ / القول الخامس: تأويل لهذه الصفة باللطف والرحمة والثواب والشكر، فالإمام النووي حكى الأقوال ولم يتعرض للقول الصحيح ويرجح منها شيئاً ويرى جواز إطلاق هذا الاسم على الله، وإن كان من أخبار الآحاد وهذا هو منهجه في أخبار الآحاد كما تقدم في الباب الأول^(١).
والمذهب الحق أن الله تبارك وتعالى جميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الجميل على التحقيق كيف لا
وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها
أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجمالها بالذات والأوصاف
والأفعال والأسماء بالبرهان^(٢)
قال السعدي رحمه الله في شرحه لهذه الآيات: هو الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يمكن مخلقا أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات والسرور والأفراح التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحال، واكتسبوا من جماله ونوره جمالا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحا تكاد تطير له القلوب، وكذلك هو الجميل في أسمائه فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها.

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناء وحمد فهي أوسع الصفات وأعمها وأكثرها تعلقا.

(١) انظر: ص ٢٦.

(٢) القصيدة النونية لابن القيم ١٤٦.

وكذلك أفعاله كلها جميلة، فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشئ عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتهما للحكمة والحمد.

قال: ثم استدل المصنف بدليل عقلي على جمال الباري وأن الأكوان محتوية على أصناف الجمال، وجمالها من الله تعالى فهو الذي كساها الجمال وأعطاهما الحسن فهو أولى منها، لأن معطي الجمال أحق بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة باطني وظاهري، خصوصا ما يعطيه المولى لأهل الجنة من الجمال المفرط في رجالهم ونسائهم...، أليس الذين كساها ذلك الجمال ومنّ عليهم بذلك الحسن والكمال أحق منهم بالجمال الذي ليس كمثله شيء.

فهذا دليل عقلي واضح مسلم المقدمات على هذه المسألة العظيمة وعلى غيرها من صفاته^(١).

٧ - النور: قال ﷺ في معنى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢):
معنى قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وما جاء في الأحاديث من تسميته سبحانه وتعالى بالنور معناه: ذو نورهما وخالقها، وقيل: هادي أهل السموات والأرض.

وقيل: منور قلوب عباده المؤمنين.

وقيل: معناه ذو البهجة والضياء والجمال، والله أعلم^(٤).

وقال: مثل ذلك في شرحه لقوله ﷺ: ((أنت نور السموات والأرض))^(٥).

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ١٧، ١٨ باختصار.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢/٣ - ١٢.

(٥) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة"، ٤٢٢/١٣، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل

ونصه: قال العلماء: معناه منورهما وخالق نورهما.

وقال أبو عبيد: معناه: بنورك يهتدي أهل السموات والأرض.

قال الخطابي في تفسير اسمه سبحانه وتعالى النور: ومعناه بنوره يبصر ذو

العماية، وبهدايته يرد ذو الغواية، قال ومنه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾^(١)، أي منه نورهما.

قال: ويحتمل أن يكون معناه ذو النور، ولا يصح أن يكون النور صفة

ذات الله تعالى، وإنما هو صفة فعل، أي هو خالقه.

وقال غيره: معنى نور السموات والأرض: مدبر شمسها وقمرها ونجومها^(٢).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((رأيت نورا))، وقوله: ((نور أني أراه))^(٣).

معناه حجاب نور فكيف أراه، قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمته الله

الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى، ومعناه أن النور منعني من

الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين

٤٥/٦، ٥٥، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف

الليل: ((اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ولك

الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة

حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليت توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت

وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت)) ١٤٦/٥،

والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب ذكر ما يستفتح به القيام ٢٠٩/٢ نحوه،

وابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل

٤٣٠/١ نحوه، وأحمد ٣٠٨/١، مثله ٢٩٨/١، نحوه كلهم عن ابن عباس.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٤/٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في رواية الله عز وجل ١٢/٣، عن أبي ذر

والترمذي في أبواب التفسير، سورة النجم ٧٠/٥، ٧١، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي

ذر: ((لو أدركت النبي ﷺ لسألته، فقال: عم كنت سألته؟ قال: أسأله هل رأى محمد

ربه؟ فقال: قد سألته، فقال نور أني أراه))، ورواه أحمد ١٥٧/٥، ١٧١، ١٧٥، بمثل رواية

الترمذي.

الرأى وبينه.

وقوله عليه السلام: ((رأيت نورا)) معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره.

قال القاضي: «... من المستحيل أن تكون ذات الله تعالى نورا إذا النور من جملة الأجسام والله سبحانه وتعالى يجلى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين»^(١).

وإذا كان النووي رحمته الله يرى أن النور مخلوق، فإنه يؤول الحجاب في قوله عليه السلام: ((حجابه النور))^(٢).

قال: «وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رؤيته وسمى ذلك المانع نورا أو نارا لانهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلق له لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته»^(٣).

الخلاصة: أن النووي تناول هذا الاسم وما دل عليه من الصفة بأن الله خالق النور، ومنور السماوات والأرض.

الجواب عن هذه التأويلات وإبطالها من وجوه:

الأول أن النور جاء في أسمائه سبحانه وتعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في أسمائه الحسنی، وهو في حديث أبي هريرة^(٤)، ولم ينكره

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/٣.

(٢) سيأتي تخريجه ص ١٥٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/٣.

(٤) تقدم تخريجه ص

أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة، ومجال أن يسمى نفسه نورا وليس له نور ولا صفة النور ثابتة له.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لما سأله أبو ذر هل رأيت ربك؟ قال: نور أني أراه، وفي الحديث قولان: أحدهما أن معناه ثم نور، أي فهناك نور منعني رؤيته، المعنى الثاني في الحديث: أنه سبحانه نور فلا يمكنني رؤيته، لأن نوره الذي لو كشف الحجاب عنه لاحتقرت السموات والأرض وما بينهما مانع من رؤيته، فإن كان المراد هو المعنى الثاني فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من رؤية ذاته فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استتار بنوره، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه كما قال عبدالله بن مسعود فنور الحجاب الذي فوق السموات أولى أن يكون من نوره.

وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور، هذا أبين فلا تناقض بين قوله ﷺ: ((رأيت نورا))، وبين قوله: ((نور أنى أراه)) فإن المنفي مكافحة الرؤية للذات المقدسة، والمثبت رؤية ما ظهر من نور الذات^(١).

الوجه الثالث: ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول إذا قام من الليل: ((اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض))^(٢).

وهو يقتضي أن كونه نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيهما هي ربوبيته، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما، فإن الحديث تضمن ثلاثة أمور شاملة عامة للسموات والأرض هو: ربوبيتهما وقيوميتهما ونورهما، فكونه سبحانه ربا لهما وقيوما لهما ونورا لهما أوصاف

(١) انظر: مختصر الصواعق ٢/٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٤٢.

له، فآثار ربوبيته وقيوميته ونوره قائمة بهما.

فصفة الربوبية مقتضاها هو المخلوق المنفصل، وهذا كما أن صفة الرحمة والقدرة والإرادة والرضا والغضب قائمة به سبحانه، والرحمة الموجودة في العالم، والإحسان والخير، والنعمة والعقوبة آثار تلك الصفات وهي منفصلة عنه.

وهكذا علمه القائم به هو صفته، أما علوم عبادته فمن آثار علمه، وقدرتهم من آثار قدرته.

فالتبس هذا الموضع على منكري نوره سبحانه، ولبسوا على الجهال فقالوا: كل عاقل يعلم بالبديهة أن الله سبحانه ليس هو هذا النور الفاضل من جرم الشمس والقمر والنار، فلا بد من حمل قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، على معنى أنه منور السموات والأرض، وهاد لأهل السموات والأرض.

ويقال لهم: أنتم أسأتم الظن بكلام الله ورسوله ﷺ حيث فهمتم أن حقيقته ومدلوله أنه سبحانه هو هذا النور الواقع على الحيطان والجدران. وهذا الفهم الفاسد هو الذي أوجب لكم إنكار حقيقة نوره وجمده، وجمعتم بين الفهم الفاسد وإنكار المعنى الحق^(١).

الوجه الرابع: أنه تعالى قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٢)، فأخبر أن الأرض يوم القيام تشرق بنوره^(٣).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٤)، وقال: ﴿وَجَعَلَ

(١) انظر: مختصر الصواعق ٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٣) المصدر السابق ٣٤٧/٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥.

فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا^(١)، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢).

فهذا نور مخلوق قائم بجرم مخلوق له مجعول لا على أنه وصف له قائم
فالتسوية بين هذا وبين نور وجهه الذي أشرق لها لظلمات وصلح عليه أمر الدنيا
والآخرة واستعاذ به العائدون من أبطل الباطل.

الوجه السادس: أنه النور صفة كمال، وضده صفة النقص، ولهذا سمي
الله نفسه نورا، وسمى كتابه نورا، وجعل لأولياته النور، ولأعدائه الظلمة^(٣).

الوجه السابع: قال شيخ الإسلام: هادي أهل السموات والأرض لا يمنع أن
يكون في نفسه نورا: فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض
صفات المفسر "من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات
للمسمى.

فقول من قال: "نور السماوات والأرض" هادي أهل السموات والأرض
كلام صحيح فإن من معاني كونه نور السموات والأرض أن يكون هاديا
لهم، أما أنهم نفوا ما سوى ذلك فهذا غير معلوم، وأما أنهم أرادوا ذلك فقد
ثبت عن ابن مسعود أنه قال: إن ربكم ليس عند ليل ولا نهار، نور السموات
من نور وجهه^(٤).

الوجه الثامن: قول من قال: إنه خالق النور قول باطل لأن النور لم يضاف
قط إلى الله إذا كان صفة لأعيان قائمة، فلا يقال للمصاييح التي في الدنيا:
إنه نور الله ولا في الشمس والقمر، وإنما يقال كما قال عبد الله بن مسعود إن

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٣) انظر: مختصر الصواعق ٢/٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٣، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٤ - ٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٠، ٣٩١.

ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه.

الوجه التاسع: قول من قال: منور السموات والأرض لا ينافي أنه نور وكل منور فهما متلازمان^(١).

كذلك الجواب عن قول من قال: معناه قلوب المؤمنين.

الوجه العاشر: أن نفي كون الله تعالى نورا في نفسه هو قول الجهمية والمعتزلة وجماهير المسلمين لا يتأولون هذا الاسم، كذلك السلفية، وجمهور الصفائية من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله في النونية:

والنور من أسمائه أيضا ومن
قال ابن مسعود كلاما قد حكا
ما عنده ليل يكون ولا نها
نور السموات العلى من نوره
من نور وجه الرب جل جلاله
فيه استتار العرش والكرسي مع
وحجابه نور فلو كشف الحجا
وإذا أتى للفصل يشرق نوره
والنور ذو نوعين مخلوق

أوصافه سبحانه ذي البرهان
الدرامي عنه بلا نكران
رقلت تحت الفلك يوجد ذان
والأرض كيف النجوم والقمران
وكذا حكا الحافظ الطبراني
سبع الطباق وسائر الأكوان
ب لأحرق السبحات للأكوان
في الأرض يوم قيامة الأبدان
ووصف ما هما والله متحدان^(٣)

٨ - المقيت: قال رحمته الله في معنى المقيت في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَعَةً

حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ

(١) مجموع الفتاوى ٢٩٢/٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧٩/٦ - ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) القصيدة النونية ١٥٢.

كُلُّ شَيْءٍ مُّقَيَّتًا ﴿٨٥﴾^(١).

المقيت: المقتر والمقدر، هذا قول أهل اللغة وهو محكي عن ابن عباس وآخرين من المفسرين، وقال آخرون منهم: المقيت المجازي بالحسنة والسيئة، وقيل: المقيت الشهيد، وهو راجع إلى معنى الحفيظ.

قال السعدي رحمته الله: «المقيت الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقنات وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده»^(٢). وكان السعدي رحمته الله اقتصر على بعض المعنى.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٠٢/٥.

المبحث الثالث

منهجه في تقرير صفات الله تفصيلاً

الصفات التي تعرض لها الإمام النووي رحمه الله كثيرة ما بين صفات ذاتية وصفات فعلية.

ولقد جمعت كل ما أمكنني جمعه منها ورتبتها على حسب هذا التقسيم الذي اصطلح عليه السلف فهم يقسمون الصفات إلى:

صفات ذاتية: وهي الصفات التي لا تنفك عنها الذات بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته^(١). وهي قسمان:

سمعية وعقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي، والفطرة السليمة، كصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال، والسمع، والبصر... إلخ.

وخبرية: وهي التي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباته إلا بطريق السمع والخبر عن الله، أو عن رسوله ﷺ كصفة الوجه واليدين والعين... أما الصفات الفعلية: فهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها^(٢). وهي أيضاً قسمان:

سمعية وعقلية: كالخلق، والرزق، والإعطاء، والمنع، والإحياء، والإماتة،

(١) شرح العقيدة الواسطية لهراس ١٠٥.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ ابن عثيمين ٢٥، ومقدمة شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ٢٥.

وأأنواع التدبير المختلفة.

وخبرية: كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والرضا، والمحبة، والغضب^(١).

وقد تكون الصفة ذات فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٣).

أولاً: الصفات الذاتية:

لم يؤلف النووي رحمته الله كتاباً مستقلاً في العقيدة حتى يستوعب فيه مسائل الاعتقاد، وإنما حجاها كلامه فيها متفرقا في كتبه، وأهمها شرحه لصحيح مسلم.

والصفات الذاتية التي تعرض لها الإمام النووي هي: السمع والبصر والوجه واليدين والرجل والساق والإصبع والحياة والصورة.

١/ السمع: الإمام النووي رحمته الله يثبت لله تبارك وتعالى صفة السمع والأشاعرة يثبتون صفة السمع ضمن الصفات السبع، لكنهم ينفون منها ما يتعلق بالصفات الاختيارية مثل كونه يستمع الآن لقراءة هذا، ويعتبرون هذا من حلول الحوادث، ولذا فهم يثبتون السمع صفة أزلية واحد لا تختلف، وعلى هذا المنهج سار النووي رحمته الله.

(١) هذا التقسيم الذي ذكرته استقراء من كلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ ابن عثيمين.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) القواعد المثلى ٢٥، وانظر: مقدمة شرح لمعة الاعتقاد ٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

فقال في شرحه لقوله ﷺ: ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن))^(١).

هو بكسر الهمزة، قال العلماء: معنى أذن في اللغة الاستماع ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢)، قالوا: ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء فإنه يستحيل على الله تعالى بل هو مجاز، ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه لأن سماه الله تعالى لا يختلف فوجب تأويله^(٣).

وقال في موضع آخر: معنى أذن: استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول^(٤). فنراه هنا يؤول استماعه سبحانه وتعالى بصفة أخرى وهي الرضا، كما يؤول بقبوله لقراءة هذا القارئ فرارا من الوقوع في القول بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وهذا شأن الأشاعرة في جميع الصفات الاختيارية^(٥)، والأذن في اللغة هو الاستماع بإعجاب.

قال في القاموس: أذن إليه وله كفرح: استمع معجبا^(٦). وقال ابن كثير في بيان معنى الأذن في الحديث: «معناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسُّها، وذلك أنه يجتمع

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "ولا تتفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له"، ٤٥٣/١٣، عن أبي هريرة، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، استحباب تحسين الصلوات بالقرآن، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٥/٢، عن أبي هريرة نحوه، والترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ٢٤٩/٤، عن أبي أمامة نحوه، والنسائي، كتاب افتتاح باب تزيين القرآن بالصوت ١٨٠/٢، وأحمد ٢٧١/٢، ٢٨٥، ٤٥٠، كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٢.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٧٨/٦.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ٨٤.

(٥) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ١٠٥٣/٣.

(٦) القاموس المحيط ١٥١٦.

في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام خشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو - سبحانه وتعالى - يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم... ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم،.. ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث العظيم.
ومنهم من فسَّرَ الأذن ههنا بالأمر.

والأول أولى؛ لقوله: "ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن" أي: يجهر به، والأذن الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(١). أي: استمعت لربها وحقت، أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا، هو: الاستماع^(٢).

٢/ البصر: صفة البصر من صفات الله الذاتية التي اتفق على إثباتها السمع والعقل، منا اتفق على الإقرار بها أهل السنة وغيرهم من الأشاعرة، والإمام النووي رحمته الله أثبت لله تعالى هذه الصفة، ففي شرحه لقوله ﷻ: ((يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر))^(٣).

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ١ - ٥.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ٨٩ - ٩٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب يرفون النسلان في المشي ٣٩٥/٦، عن أبي هريرة ونحوه، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الشفاعة ٦٥/٣ - ٦٩، عن أبي هريرة قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطبقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض اثبتوا آدم فيأتون آدم.. الحديث، والترمذي، كتاب القيامة، باب ما جاء في الشفاعة ٤٣/٤ - ٤٥، عن أبي هريرة، وأحمد ٤٣٥/٢ - ٤٣٦، عن أبي هريرة أيضاً.

قال أبو عبيد^(١) : معناه ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم.

وقال غير أبي عبيد: أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد والله تعالى قد أحاط بالناس أولاً وآخراً.

وقال صاحب المطالع: معناه أنه يحيط بهم الناظر لا يخفي عليه منهم شيء لاستواء الأرض أي ليس فيها ما يستتر به أحد الناظرين قال وهذا أولى من قول أبي عبيد: يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى؛ لأن رؤية الله تعالى تحيط بجمعهم في كل حال في الصعيد المستوي وغيره هذا قول صاحب المطالع.

قال الإمام أبو السعادات الجزري^(٢) بعد أن ذكر الخلاف بين أبي عبيد وغيره في أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى أو بصر الناظر من الخلق... وحمل الحديث على بصر الناظر أولى من حمله على بصر الرحمن هذا كلام أبي السعادات.

فحصل خلاف في فتح الياء وضمها، وفي الذال والذال، وفي الضمير في ينفذهم.

والأصح: فتح الياء، وبالذال المعجمة، وأنه بصر المخلوق... والله أعلم^(٣).
فالإمام رحمه الله يثبت صفة البصر لله تعالى، وإن ذكر الخلاف في المقصود

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام الحافظ المجتهد ولد سنة سبع وخمسين ومائة، سمع إسماعيل بن عباس وسفيان بن عيينة، وغيرهما له كتاب الأموال وكتاب الغريب وغيرهما، كان صاحب نحو وعربية وطلب للحديث والفقه، توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين، السير ٤٩٠/١٠، الشذرات ٥٤/٢.

(٢) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصل أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير صاحب (جامع الأصول) و(غريب الحديث) و(النهاية)، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستمائة بالموصل. السير ٤٨٨/٢١، الشذرات ٢٢/٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٦/٣، ٦٧.

في هذا الحديث، ورجح أنه بصر المخلوق، واختياره ﷺ للمعنى الثاني وترجيح أنه بصر المخلوق لاعتقاده أن بصر الرحمن تبارك وتعالى محيط بكل شيء وبكل أحد في كال حال في الصعيد المستوى وغيره.

وقول أبي عبيد صحيح وإن كان الحديث غير صريح في ذلك، لكن يخشى أن النووي تبع صاحب المطالع على نوع من التأويل لصفة البصر كما في صفة السمع.

٣/ الوجه: أول الإمام النووي صفة الوجه لله تعالى بالذات، وهو مذهب الأشاعرة كالرازي^(١) وغيره.

فقال في شرحه لقوله ﷺ: ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))^(٢).

ما نصه: المراد بالوجد الذات... ثم قال: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلي لخلق له لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته، والله أعلم^(٣).

وقال في موقع آخر^(٤): «المراد بالوجه الجملة والذات كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٥)».

(١) انظر: أساس التقديس ٩٢ - ٩٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ما جاء في رؤية الله عز وجل ١٣/٣، عن أبي موسى الأشعري: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية أبي بكر النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧١/١، والإمام أحمد ٤١/٤، ٤٠٥، كلاهما عن أبي موسى نحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/٣.

(٤) المجموع ٤١٥/١.

(٥) سورة القصص، الآية: ٨٨.

وهذا تأويل مشهور عند الأشاعرة وغيرهم حيث يؤولون الوجه بالذات.
والجواب على هذا التأويل:

١ / النصوص في إثبات الوجه من الكتاب والستة لا تحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقول المجسمة، بل هو صفة الله - على ما يليق به - ولا يشبه وجها ولا يشبهه وجه^(١)، بل هو أحسن الوجوه وأجمل الوجوه وأنور الوجوه^(٢).

٢ / أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، والوجه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه^(٣).

٣ / أنه - سبحانه - أضاف السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه، وأضاف البصر إليه هذه الإضافة تبطل كل مجاز، وتبين أن المراد وجهه هو صفة من صفاته تبارك وتعالى^(٤).

٤ / أنه - تبارك وتعالى - لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥)، دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات^(٦).

(١) شرح العقيدة الواسطية لهراس ٦٥.

(٢) رد الدارمي على بشر ١٥٩.

(٣) مختصر الصواعق ٢/٣٢٧.

(٤) انظر: مختصر الصواعق ٢/٣٣٨.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٦) مختصر الصواعق ٢/٣٣٦ بتصرف يسير.

٥ / أنه سبحانه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات.

٦ / لو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ بمعنى الذات، فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي صابتا للموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه^(١).

٤ - اليمين: أول الإمام النووي صفة اليد تارة بالقدرة والملك، وتارة بالنعمة، وتارة بالرحمة، فقال في شرحه لقوله ﷺ: ((والذي نفس محمد بيده))^(٢)، قال القاضي: واليد هنا بمعنى القدرة والملك^(٣). وفي شرحه لقوله ﷺ: ((يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار))^(٤).

قال: قال القاضي: «قال الإمام المازري هذا مما يتأول لان اليمين اذا كانت بمعنى المناسبة للشمال لا يوصف بها الباري سبحانه وتعالى لأنها تتضمن إثبات الشمال وهذا يتضمن التحديد ويتقدس الله سبحانه عن التجسيم والحد وإنما خاطبهم رسول الله ﷺ بما يفهمونه وأراد الأخبار بأن الله تعالى لا ينقصه الإنفاق ولا يمسك خشية الإملاق جل الله عن ذلك وعبر

(١) شرح العقيدة الواسطية لهراس ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان ١/٢، عن أبي هريرة بدون ((والذي نفس محمد بيده)) ومسلم، كتاب الجهاد، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله ٢٠/١٣، عن أبي هريرة، والنسائي، كتاب الجهاد، باب تمني القتل في سبيل الله ٣٢/٦، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد في سبيل الله ٩٢٠/٢، وأحمد ٢٣١/٢ كلهم عن أبي هريرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢١/١٣، ٢٢، وانظر ٢٠٠/١٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلق ٧٩/٧، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧١/١، وأحمد ٢٤٢/٢ كلهم عن أبي هريرة.

عن توالى النعم بسح اليمين لأن البازل منا يفعل ذلك بيمينه قال ويحتمل أن يريد بذلك أن قدرة الله سبحانه وتعالى على الأشياء على وجه واحد لا يختلف ضعفا وقوة وأن المقدورات تقع بها على جهة واحدة ولا تختلف قوة وضعفا كما يختلف فعلنا باليمين والشمال تعالى الله عن صفات المخلوقين ومشابهة المخلوقين.

وأما قوله ﷺ في الرواية الثانية: ((وبيده الأخرى القبض))^(١) فمعناه أنه وإن كانت قدرته سبحانه وتعالى واحدة فإنه يفعل بها المختلفات ولما كان ذلك فينا لا يمكن إلا بيدين عبر عن قدرته على التصرف في ذلك باليدين ليفهمهم المعنى المراد بما اعتادوه من الخطاب على سبيل المجاز هذا آخر كلام المازري^(٢). وقد نقله النووي كالمؤيد له ولم يتعقبه.

وقال في شرحه لقوله ﷺ: ((ثم يبسط يديه سبحانه وتعالى))^(٣): هو إشارة إلى نشر رحمته وكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته^(٤). فهو في هذا النص يؤول اليد بنشر الرحمة وإسباغ النعمة.

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيه اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ٨٠/٧، عن أبي هريرة، والترمذي، كتاب التفسير باب سورة المائدة ٣١٧/٤، وأحمد ٣١٦/٢، كهم عن أبي هريرة.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨٠/٧، وانظر كلام المازري في المعلم ١٤/٢.

(٣) هذه الرواية رواها مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة ٣٨/٦، عن أبي هريرة: ((ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثالث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له... وزاد فيه ثم يبسط يديه - تبارك وتعالى يقو: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٨/٦، ٣٩.

يطوي الأرضي بشماله...»^(١).

قال: «وأما إطلاق اليدين لله تعالى فمتأول على القدرة وكنى عن ذلك باليدين لأن أفعالنا تقع باليدين فخطوبنا بما نفهمه ليكون أوضح وأوكد في النفوس وذكر اليمين والشمال حتى يتم المثال لأننا نتناول باليمين ما نكرمه وبالشمال ما دونه ولأن اليمين في حقنا يقوى لما لا يقوى له الشمال ومعلوم أن السماوات أعظم من الأرض فأضافها إلى اليمين والأرضين إلى الشمال ليظهر التقريب في الاستعارة وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيئاً أخف عليه من شيء ولا أثقل من شيء هذا مختصر كلام المازري في هذا»^(٢).

وفي شرحه لقلوه عليه السلام: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين...))^(٣).

قال: قال القاضي عياض رحمته الله: المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة.

قال: قال: ابن عرفة يقال أتاه عن يمينه إذا جاءه من الجهة المحمودة ولالعرب تنسب الفعل المحمود والإحسان إلى اليمين، وضده إلى اليسار.
قالوا: واليمين مأخوذة من اليمن.

وأما قوله عليه السلام: وكلتا يديه يمين فتنبيه على أنه ليس المراد باليمين جارحة - تعالى الله عن ذلك - فإنها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى^(٤). وأول

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: "ملك الناس" ٣٦٧/١٣، عن أبي هريرة بمعناه، ومسلم، كتاب صفة القيامة ١٣١/٧، عن أبي هريرة، وأبو داود، كتاب السنة باب

في الرد على الجهمية ٢٣٤، ٤، عن عبد الله بن عمر، وأحمد ٢/٣٧٤، بمعناه عن أبي هريرة.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٢/١٧، وانظر كلام المازري في المعلم ٣/١٩٥، ١٩٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة باب فضيلة الأمير العادلة وعقوبة الدائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٢١١/١٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢١٢/١٢.

اليمين بالقبول والرضا.

ففي شرحه لقوله ﷺ: ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل...))^(١).

قال ﷺ قال المازري: المراد به قبول التوبة وإنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه فخطوبوا بأمر حسي يفهمونه وهو مجاز فإن يد الجارحة مستحيلة في حق الله تعالى^(٢).

كذلك قال في شرحه لقوله ﷺ: ((ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن...))^(٣).

قال: قال المازري: ذكرنا استحالة الجارحة على الله سبحانه وتعالى وأن هذا الحديث وشبهه إنما عبر به على ما اعتادوا في خطابهم ليفهموا فكفى هنا عن قبول الصدقة بأخذها في الكف وعن تضعيف أجرها بالتربية قال القاضي عياض لما كان الشيء الذي يرتضى ويعز يتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا واستعير للقبول والرضا كما قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمين

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ٧٦/١٧، عن أبي موسى وأحمد ٤/٤٠٤، عن أبي موسى.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٦/١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب ٢٧٨/٣، مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٩٨/٧، والترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة ٨٥/٢، والنسائي، كتاب الزكاة، باب الصدقة من الغلول ٥٧/٥، وابن ماجه، كتاب الزكاة باب فضل الصدقة ٥٩٠/١، وأحمد ٤٠٤/٢ كلهم عن أبي هريرة.

قال وقيل عبر باليمين هنا عن جهة القبول والرضا إذ الشمال بضده في هذا قال وقيل المراد بكف الرحمن هنا ويمينه كف الذي تدفع إليه الصدقة وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لوضع هذه الصدقة فيها لله عز وجل^(١).

ومن هذه النقول تبين أن النووي رحمته الله يسلك في تأويل صفة اليد لله تعالى مسلك الأشاعرة، والجواب عنها سيكون من خلال ردود أهل العلم على الأشاعرة في تأويلهم الباطل لهذه الصفة فأقول وبالله التوفيق:

١ / الأصل الحقيقة فدعوى المجاز مخالفة للأصل.

٢ / هذا التأويل خلاف الظاهر وقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

٣ / إن مدعي المجاز المعين يلزمه أمور:

أحدها: إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة إذ مدعيها معه الأصل والظاهر ومخالفها مخالف لهما جميعا.

ثانيها: بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغة وإلا كان منشأ من عنده وضعاً جديداً.

ثالثها: احتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين، فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص^(٢).

٤ / تأويل اليد بالنعمة تأويل باطل لأن الله تعالى قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣)، أفيكون نعمتان من أنعم فقط مبسوطتان فإن نعمه - سبحانه

(١) شرح صحيح مسلم ٩٨/٧، ٩٩، وانظر كلام المازري في المعلم ١٨/٢.

(٢) مختصر الصواعق ٣٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

- أكثر من أن تحصى أفلم يبسط منها على عباده إلا اثنتين وقبض عنهم ما سواهما.

كذلك قوله ﷺ: ((يطوي الله السموات بيمينه)) لا يحسن أن يكون معناه أنه يطويها بنعمته؟

وقوله ﷺ: ((المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين)) لا يعقل أن يكون معناه على منابر من نور عن نعمة الرحمن وكلتا نعمتي الرحمن نعمة واحدة هذا أقبح محال وأسمح ضلال^(١).

٥/ إن اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز من ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٢)، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

فلو كان مجازا في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين، وقوله في الحديث الصحيح: ((المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين))^(٤).

فلا يقال: هذا يد النعمة والقدرة، وقوله: ((يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك...))^(٥).

(١) رد الدارمي على بشر ٢٨ بتصرف.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٥٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "ملك الناس" ٢٦٧/١٢ عن أبي هريرة بلفظ، ومسلم، كتاب صفة القيامة، انظر: الصحيح مع شرح النووي ١٣١/١٧ عن أبي هريرة.

فاقتران لفظي الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة، هذا في الفعل وهذا في الصفة، بخلاف اليد المجازية فإنها إذا أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد حقيقة، بل ما يدل على المجاز كقولهم: لهم عندي يد، أما إذا قيل: قبض بيده، وأمسك بيده، أو قبض بإحدى يديه كذا وبالأخرى كذا... فهذا لا يكون إلا حقيقة، وإنما أتى المؤولة من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في بعض المواضع، فظنوا أن كل تركيب وسياق صالح لذلك فوهموا وأوهموا.

وإذا صلح هذا في قوله: لول يد لك لم أجرك بها لم يصلح في قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾^(١) ^(٢).

٥/ إن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية، ولا يستعمل إلا مفردا أو مجموعا كقولنا: له عندي يدي يجزيه الله بها، وله عندي أياد، أما إذا جاء بلفظ التثنية لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقة^(٣).

فقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾^(٤)، ليس كقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْعَامًا﴾^(٥)، لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيها بقوله: ﴿فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وهنا أضاف الفعل إليه فقال: ﴿لِمَا خَلَقْتَ﴾، ثم قال: ﴿بِيَدَيْ﴾.

وأياضا فإنه هناك ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد وفي اليدين ذكر لفظ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) مختصر الصواعق ٢٢٣ بتصرف واختصار وانظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ١١٧.

(٣) مختصر الصواعق ٣٢٤، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ١١٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٥) سورة يس، الآية: ٧١.

التثنية كما في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١)، وهنا أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع فصار كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٢).

وهذا الجمع نظير قوله: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٣)، و ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾^(٤) في المفرد.

فالله سبحانه وتعالى - يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا أو مضمرا وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٥)، وأمثال ذلك، ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه وربما تدل على معاني أسمائه وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور وهو مقدس عن ذلك^(٦).

٦ / القول بأن اليد هي القدرة يبطل فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه، فأى مزية لأدم على إبليس في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾^(٧) (٧) (٨).

٧ / إن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُلُّهُمُ اللَّهُ مَعْلُومَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَعُنُوفُهُمْ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٩) (٩) (١٠)، فلعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده،

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٣) سورة الملك، الآية: ١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١.

(٦) التدمرية ٧٣ - ٧٥ بتصرف يسير.

(٧) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٨) انظر: مختصر الصواعق ٣٢٤، ٣٢٥، ومجموع الفتاوى ٣٦٩، رد الدارمي على بشر ٢٦،

إبطال التأويلات لأي يعلى ١٦٩/١، ١٧٢، شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين

٢٤٨/١، وشرح الواسطية لهراس ١١٥.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(١٠) مختصر الصواعق ٣٢٤، وانظر: شرح الواسطة لهراس ١١٦.

وأثبت سبحانه زيادة على ما قالوه بأنهما يدان مبسوطتان^(١).

٨ / القول بأن المعنى في قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني بقدرته ونعمته باطل إذ

قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾، يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان، وقد أجمع المسلمون الميثون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى قدرتان.

وكذلك لا يجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين، لأن نعم الله تعالى على

آدم وغيره لا تحصى^(٢).

٩ / يجوز للرجل أن يقول: بنيت دارا أو قتلت رجلا أو ضربت غلاما أو

وزنت لفلان مالا أو كتبت له كتابا، وإن لم يتول شيئا من ذلك بيده، بل أمر البناء بينائه والكاتب بكتابه والقاتل بقتله والضارب بضربه، والوازن بوزنه فمثل هذا يجوز على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم على مجاز كلام العرب وإذا قال: كتبت بيدي كتابا كما قال الله "خلقت بيدي" أو قال / وزنت بيدي، وقتلت بيدي، وبنيت بيدي، وضربت بيدي، كان ذلك تأكيدا ليديه دون يدي غيره، ومعقول المعنى عند العقلاء كما أخبرنا الله: أنه خلق الخلائق بأمره فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره وإرادته وكلامه وقوله: "كن" وبذلك

كانت وهو الفعال لما يريد، فلما قال: "خلقت بيدي" علمنا أن ذلك تأكيد

ليديه وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته^(٤).

(١) انظر: مختصر الصواعق ٣٢٦.

(٢) انظر: مختصر الصواعق ٣٣٣، مجموع الفتاوى ٦/٣٦٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٤) رد الدارمي على بشر ٢٩، ٣٠.

فالحق الذي يجب اعتقاده أن لله يدين ذاتيين، حقيقتين، مختصتين به كما يليق بجلاله وكرامته.

أما الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن عمرو بن حمزة عن سالم قال أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ...))^(١).

فقد ضعف الإمام البيهقي في كتاب الأسماء والصفات^(٢) الزيادة التي فيه وهي قوله: ((ثم يطوي الأرضين بشماله)).

قال: وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ولم يذكر فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رضي عنه وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال. وروي ذكر الشمال في حديث آخر غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرّة تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، والآخر يزيد الرقاشي^(٣)، وهما متروكان وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتي يديه يمينا^(٤).

(١) تقدم تخريجه ص ١٤١.

(٢) السماء والصفات ٤١٠، وقد نقل الحافظ في الفتح ٤٠٨/١٣، كلام البيهقي وأقره.

(٣) الحديث رواه ابن أبي عاصم في كتابه السنة ٨٩/١، بسنده عن يزيد الرقاشي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَبِضَ بِكَفَيْهِ قَبْضَتَيْنِ، فَوَقَعَ كُلَّ طَيْبٍ بِيَمِينِهِ وَكُلَّ خَبِيثٍ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الشَّمَالِ وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ النَّارِ...)) الحديث، قال الألباني: إسناده ضعيف جدا يزيد بن أبان الرقاشي متروك.

(٤) من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِي يَعْدَلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ...))، الصحيح مع شرح النووي ٢١١/١٢.

وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين، اهـ كلام البيهقي.

ولهذا قال ابن خزيمة^(١) في كتاب التوحيد: «باب ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أن لخالقنا = جلا وعلا - يدين كلتاها يمينان لا يسار لخالقنا عز وجل إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجعل ربنا عن أن يكون له يسار»^(٢). والذي أراه في هذه المسألة (مسألة الشمال) أن ورود هذه اللفظة في صحيح مسلم بطريق صحيح يجعلنا نأخذ بها.

وحديث ((كلتا يديه يمين)) لا يعارض هذا أبدا - بل يؤيده - لأن معناه وإن قلنا إن لله يدين كما في نص القرآن إحداها يمين والأخرى شمال كما في السنة الثابتة: فإن الشمال ليست ناقصة كما هو عن المخلوق أو كما قد يتوهم بل كلتا يديه يمين.

فالحديث لإزالة ما قد يتوهم من النقص الوارد على المخلوق، ولذا فالذي أرجحه القول بما في رواية صحيح مسلم وكلام البيهقي وابن خزيمة غير مسلم.

قال الدارمي رحمته الله: «... إنما عنى رسول الله ﷺ ما أطلق على التي في مقابلة اليمين الشمال، ولكن تأويله ((وكلتا يديه يمين)) أي منزه عن النقص والضعف كما في أيدينا الشمال من النقص وعدم البطش فقال: ((كلتا يدي

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة الحافظ الحجة الفقيه، إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعني في حديثه بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، سمع من إسحاق بن راهوية، ومحمد بن حميد ولم يحدث عنهما لكونه كتب عنهما في صغره وقبل فهمه، حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، السير ٣٦٥/١٤، الشذرات ١٥٩/١.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١٥٩/١.

الرحمن يمين)) إجلالا لله وتعظيما أن يوصف بالشمال.

وقد وصفت يده بالشمال واليسار، وكذلك لو لم يجز إطلاق الشمال واليسار لما أطلق رسول الله ﷺ، ولو لم يجز أن يقال: كلتا يدي الرحمن يمين لم يقله رسول الله ﷺ^(١).

٥ / الرجل والقدم: صفة الرجل من الصفات الذاتية التي أولها الإمام النووي ﷺ على طريقة الأشاعرة مع ورود النصوص الصحيحة الصريحة في الدلالة على ثبوت هذه الصفة لله رب العالمين.

ففي شرحه لقوله ﷺ: ((... فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط...)) الحديث، وفي رواية: ((حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه))^(٢).

قال: «هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين: أحدهما وهو قول الجمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل تؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد.

والثاني: وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث: فقيل: المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة، ومعناه: حتى يضع الله تعالى فيها من قدمها لها من أهل العذاب.

قال المازري والقاضي: هذا تأويل النضر بن شميل^(٣) ونحوه عن ابن

(١) رد الدارمي على بشر ١٥٥، ١٥٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٩٧.

(٣) النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المازني النحوي، نزيل مرو وعالمها، ولد في حدود سنة اثنين وعشرين ومائة، حدث عن هشام بن عروة، وبهز بن حكيم وحמיד الطويل وحماد بن سلمة وغيرهم، وعنه يحيى بن معين،

الأعرابي^(١) الثاني: المراد قدم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم.

الثالث: أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية، وأما الرواية التي فيها ((يضع الله فيها رجله)) فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك^(٢) أنها غير ثابتة عند أهلا لنقل ولكن رواها مسلم وغيره فهي صحيحة وتأويلها كما سبق في القدم.

ويجوز أيضا أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما يقال: رجل من جراد: أي قطعة منه، قال القاضي: أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها، قالوا: ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى^(٣).

هذا الذي ذكره النووي رحمه الله في معنى القدم والرجل هو تأويل عامة الأشاعرة في ذكر البيهقي رحمه الله هذه التأويلات فرارا من القول بالتشبيه في

واسحاق بن راهوية وغيرهما، وثقه يحيى بن معين وابن المديني، وقال أبو حاتم: ثقة صاحب سنة لم يكن أحد من أصحاب الخليل بن أحمد يدانيه، توفي سنة أربع ومائتين، السير ٢٢٨/٩، الشذرات ٧/٢.

(١) محمد بن زياد الأعرابي أبو عبد الله الهاشمي مولا هم الأحوال النسابة إمام اللغة، يروي عن أبي معاوية الضرير وأبي الحسن الكسائي، وعنه إبراهيم الحري، وعثمان الدارمي وثعلب وغيرهم ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة، قال الذهبي: كان صاحب سنة وأتباع مات بسامراء سنة إحدى وثلاثين ومائتين. السير ٦٨٧/١٠، الشذرات ٧٠/٢.

(٢) محمد بن الحسن بن فورط الأصبهاني أبو بكر شيخ المتكلمين، حدث عنه أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري وغيرهما، صنّف تصانيفا كثيرة، قال الذهبي: كان أشعريا رأسا في فن الكلام أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. الشذرات ٢١٤/١٧، الشذرات ١٨١/٢، تبين كذب المفتري ٢٣٢، وانظر: كلامه في كتابه مشكل الحديث ١٩١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨٢/١٧، ١٨٣.

كتابه (الأسماء والصفات)^(١).

كذلك الرازي بعد ما ذكر روايات الحديث الدالة على صفة الرجل المتفق عليها قال: واعلم أن هذه الأحاديث لا يمكن إجراؤها على ظاهرها... ثم قال: نص القرآن يدل على أن جهنم تملأ من المكلفين قال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، وهذا على خلاف قولهم: إنما تملأ من رجل الله تعالى علوا كبيرا، فثبت بهذه الوجوه أن هذه الأخبار ضعيفة جدا، ثم نقول: إن قلنا بتقدير صحة هذه الألفاظ فهي محتملة التأويل، فإن من سعى لإزالة خصومة وتسكين فتنة صح أن يقال: إن فلانا وضع رجله في هذه الواقعة ووضع قدمه فيها.

ويقال في المجاز المتعارف الظاهر: لك قدم مبارك، وضع قدمك فيها حتى يصلح ويزول الشر، فهذا مجاز سائغ، وحمل اللفظ عليه محتمل^(٣). فالرازي يضعف الأحاديث المتفق عليها فرارا من إثبات هذه الصفة ويدعي فيها المجاز.

أما ابن فورك فقد غلط الإمام ابن خزيمة رحمته الله لما قال في كتاب التوحيد: «باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذي يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتنا لنفسه في محك تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلوات الله عليه»^(٤).

فقال^(٥): وذكر صاحب كتاب التوحيد في ترجمة كتابه بابا توهم فيه

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٤٣ - ٤٤٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٥.

(٣) أساس التقديس ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

(٤) التوحيد لابن خزيمة ٢٠٢/١.

(٥) أي ابن فورك.

الغلط وهو أن قال: باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل..

ثم قال: .. إجماع الأكثرين على إنكار القول بإضافة الرجل إلى الل تعالى وإنكار الجميع من أهل العلم والنظر من مثبتي صفات الله ومنكريها أن يقال: الرجل صفة من صفات الله تعالى وإنما تأول من تأول منهم الخبر الذي أطلق فيه لفظ الرجل على معنى إضافة الخلق والملك لا على معنى الصفة. وأول الحديث المتقدم بل وهم رواية الحديث بلفظ الرجل فقال: لم يذكر هذا الخبر فقط الرجل إلا بعضهم قال في خبره: «حتى يضع رجله أو قدمه، واحتمل أن يكون لما التبس عليه اللفظ وتوهم أن القدم لا يكون إلا رجلا ذكر بدل القدر الرجل، وأكثر ألفاظ هذا الخبر بذكر القدم وأنه يضع فيها قدمه.

ثم قال: إن معنى القدم الذي أضيف إلى الله تعالى في الحديث بمعنى الخلق والملك أو على معنى ما قاله النضر بن شميل: إن ذلك على معنى ما تقدم في علم الله ممن يكفر به من خلقه»

وعليه يتأول قول من روى في هذا الخبر: حتى يدل فيها رب العالمين قدمه فتزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وذلك بإدلاء الخلق فيها وهم القدم على معنى أنهم هم الذين تقدم لهم العلم من الله جل ذكره أنهم يدخلونها^(١). بل قد ذكر الدارمي^(٢) رحمته الله أن هذا التأويل هو تأويل بشر المريسي^(٣).

(١) مشكل الحديث لابن قورك ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني أبو سعيد الإمام العلامة الحافظ ولد قبل المائتين ببسير، وطوّف الأقاليم في طلب الحديث، سمع نعيم بن حماد ومسدد وغيرهما وعنه أبو إسحاق بن ياسين، ومحمد بن إسحاق الهروي وغيرهما، صاحب كتاب المسند والرد على الجهمية والرد على بشر المريسي، أخذ علم الحديث وعلمه عن علي ويحيى وأحمد، وكان بالسنة توفي سنة ثمانين ومائتين. السير ١٣/٣١٩، الشذرات ١٧٦/٢.

(٣) انظر: رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ٦٦.

فهذه التأويلات ترجح خلاصتها إلى ما نقله النووي وذكرته قبل، و أجوبة أهل السنة عن التأويلات المتقدمة:

١ / ليس في إثبات القدم أو الرجل نقص في حقه سبحانه وتعالى، بل نشبتها صفة تليق بجلال الله تعالى لا تشبه أرجل المخلوقين.

وقد عاب الله سبحانه وتعالى على من يعبد الأصنام بقوله: ﴿الْهَرَجُ أَجْلٌ يَمْسُونَ بِهَا﴾^(١)، فجعل عبادتهم لأصنام ليس لها أرجل محل ذم لهم^(٢).

٢ / القول بأن معنى القدم المتقدم من أهل العذاب غلط من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله (يضع قدمه) هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظ آخر (الجبار) وفي لفظ آخر (رب العزة) فوجب أن يرجع إليه، أما المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

الثاني: أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة^(٣).

الثالث: أن أهلا لنار لا يقدمهم الباري عز وجل ولكنهم ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعْوًا﴾^(٤) ويلقون فيها إلقاء فهؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شر منه، فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل لكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عز وجل^(٥).

(١) سورة الأعراف/ الآية: ١٩٥.

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢٠٢/١، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ٥٤.

(٣) إبطال التأويلات ١٩٧/١ - ١٩٨.

(٤) سورة الطور، الآية: ١٣.

(٥) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ٤٥٣/٢.

٣ / القول بأن المراد قدم بعض المخلوقين، كذلك القول بأن القدم خلقه الله تعالى يوم القيامة فيسميه قدما، غلط لما تقدم من الوجهين الأولين^(١).

٤ / القول بأن الرجل تتأول على نحو تأويل القدم أو يراد بها الجماعة من الناس كما تقول العرب رجل من جراد أي قطعة منها^(٢)، غير صحيح لما تقدم ولأنه صرح باسمه الأعظم^(٣).

ولأن اللفظ (عليها)^(٤) يمنع ذلك، وأيضا لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه لأن إضافة الشيء الله تكريم وتشريف^(٥).

٥ / إذن الصواب أن يقال فيها ما يقال في بعض الصفات كالوجه واليدين التي أثبتها الأشاعرة المتقدمون كالأشعري والبيهقي وغيرهما.

٦ / الأصابع: قال رحمته الله: «وفي الإصبع عشر لغات كسر الهمزة وفتحها وضمها مع الحركات الثلاث في الباء والعاشرة أصبوع وأفصحهن كسر الهمزة مع فتح الباء»^(٦).

والأصبع من الصفات التي أولها النووي رحمته الله على حسب ما يقتضيه سياق النص، قال في شرحه لقوله رحمته الله: «(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى ١/١٩٩.

(٢) قال في اللسان ٢٧٢/١١: الرجل: الطائفة من الشيء أنثى وخص بعضهم به القطعة العظيمة من الجراد.

(٣) إبطال التأويلات ١/٢٠١.

(٤) في إحدى الروايات عند مسلم: ((فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها...)) الصحيح من شرح النووي ١٨٢/١٧ - ١٨٣.

(٥) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ٢/٤٥٢ - ٤٥٣.

(٦) المجموع ١/٢٨٢، وانظر: اللسان ٨/١٩٢، والقاموس المحيط ٩٥٠.

أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ))^(١) : هذا من أحاديث الصفات وفيها القولان السابقان قريبا:

أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنها

حق وأن ظاهرها غير مراد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢).

والثاني: يتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا المراد المجاز كما يقال: فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد به أنه حال في كفه، بل المراد تحت قدرتي ويقال: فلان بين أصبعي قلبه كيف شئت أي أنه مني على قهرة والتصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يتمتع عليها منها شيء، ولا يفوته ما أراده كما لا يتمتع على الإنسان ما كان بين إصبعيه، فخاطب العرب بما يفهمونه، ومثله بالمعاني الحسية تأكيدا له في نفوسهم.

فإن قيل: فقدرة الله تعالى واحدة والإصبعان للتشبية، فالجواب أنه قد سبق أن هذا مجاز واستعارة، فوقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به التشبية والجمع والله أعلم^(٣).

وفي شرحه لحديث عبد الله بن مسعود: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ٢٠٣/١٦، ٢٠٤، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنْ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، ورواه الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن ٣٠٤/٣، عن أنس نحوه، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ٧٢/١، عن النواس بن سمعان نحوه، وأحمد ١٦٨/٢، عن عبد الله بن عمرو مثله وعنه نحوه ١٧٣/٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) رواه صحيح مسلم ٢٠٤/١٦.

مُحَمَّدٌ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ...))^(١)، قال: هذا من أحاديث الصفات، وقد سبق فيها المذهبان: التأويل والإمساك عنه مع الإيمان بها مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد.

فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار فيقول: أحدهم بإصبعي أقتل زيدا، أي لا كلفة على في قتله. وقي: يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته، وهذا ممتع والمقصود أن يد الجارحة مستحيلة^(٢).

هذه التأويلات التي ذكرها النووي ضمن تأويلات ذكرها ابن فورك وأشار إلى صحتها^(٣) وكذلك الرازي^(٤).

الجواب عن هذه التأويلات:

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "لما خلقت بيدي"، ٣/٣٩٢، عن عبد الله بنحوه، رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ١٧/١٢٩، ١٣٠، بلا تبويب عن عبد الله بن مسعود قال: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، والترمذي أبواب التفسير، سورة الزمر ٥/٤٨ - ٤٩، عن عبد الله بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧/١٢٩ - ١٣٠.

(٣) مشكل الحديث ١٠٠ - ١٠٢.

(٤) أساس التقديس ١٠٤ - ١٠٥.

الأصابع من صفات الله تبارك وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وكماله وعظمته، وجل الله أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه^(١).

١ / تأويل الأصابع في قوله ﷺ: ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن)) بالقدرة تأويل باطل لأن قدرة الله تعالى قد كفت الأشياء كلها وملاؤها ووسعت كل شيء فكيف خصت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين؟^(٢).

بل يلزم على هذا التأويل أن يكون لله أكثر من قدرتين لأنه ﷺ قال: ((بين إصبعين من أصابع الرحمن)) وأصابع جمع.

فتأول ما ورد فيه غير جائز لأن ذلك يناه في ما ورد الحديث من أجله فهو إلى جانب إظهار قدرة الله يثبت هذه الصفة إثباتا حقيقيا إذا وردت بلفظ الإفراد مرة والتثنية أخرى والجمع الثالثة^(٣).

٢ / تأويل حديث الخبر بالقدرة: أما التأويل بالقدرة فكما تقدم يلزم أن يتأول على خمس قدرات^(٤).

ثم إن الله عز وجل قد أجل قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده، ويدعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه، تصديقا وتعجبا لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته^(٥).

(١) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/١٧٨.

(٢) رد الدارمي على بشر المريسي ٥٩.

(٣) البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد الغامدي ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٤) رد الدارمي على بشر المريسي ٦٠.

(٥) التوحيد لابن خزيمة ١/١٧٨.

٣ / هذه الصفة كغيرها من الصفات الثابتة عن الله تعالى يقال فيها ما يقال في غيرها.

٧ / الساق: صفة الساق من الصفات الثابتة في السنة، ولم يخالف فيها إلا المعطلة ولم يقع خلاف بين السلف في إثباتها في السنة إنما وقع الخلاف بينهم في دلالة الآية على هذه الصفة ذلك أن ظاهر القرآن لا يدل على كونها من الصفات لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(١)، حيث جاءت نكرة وغير مضافة إلى الله تعالى، ومن أثبتها أثبتها بدليل آخر هو حديث أبي سعيد في الرؤية كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والإمام النووي رحمه الله لا يرى إثباتها صفة لله، فقد ذكر الأقوال في تأويلها ولم يتعرض للقول الحق فقال رحمه الله في شرح حديث الرؤية الطويل^(٢).
 ((فيكشف عن ساق)) ضبط يكشف بفتح الياء وضمها وهما صحيحان، وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة غريب الحديث الساق هنا بالشدة أي يكشف عن شدة وأمر مهول، وهذا مثل تضربه العرب لشدة الأمر، ولهذا يقولون: قامت الحرب على ساق، واصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن شاقه للاهتمام بها.

قال القاضي عياض رحمه الله: وقيل المراد بالساق هنا نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ^(٣)، قال ابن فورك: ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطف.

قال القاضي عياض: وقيل: قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقه عظيمة لأنه يقال: ساق من الناس كما

(١) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٢) سيأتي تخريجه في الرؤية.

(٣) لم أقف عليه.

يقال: رجل من جراد.

وقيل: قد يكون ساقا مخلوقا جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجه عن السوق المعتادة.

وقيل: معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك، ويتجلى لهم فيخرون سجدا^(١). وفي شرحه لحديث الدجال وقوله ﷺ: ((وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ))^(٢) قال ﷺ: «قال العلماء معناه ومعنى ما في القرآن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(٣)، يوم يكشف عن شدة وهول عظيم أي يظهر ذلك، يقال: كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وأصله من جد في أمره كشف عن ساقه مستمرا في الخفة والنشاط له^(٤)».

هذه الأقوال التي ذكرها النووي في تأويل الساق هي أقوال وتأويلات الأشاعرة^(٥) والجواب عنها كالتالي:

١ / ورد في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قوله ﷺ: ((فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن...))^(٦) الحديث.

وهذا صريح في أن المراد ساق الله تعالى التي هي صفة من صفاته ليس جارحة بل تليق بجلاله وكماله سبحانه، ويغني عن جميع التأويلات.

٢ / حمل الساق على الشدة غير صحيح لأن وقت كشف الساق في وقت

(١) شرح صحيح مسلم ٢٧/٣ - ٢٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال ٧٥/١٨، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٧٧/١٨.

(٥) انظر: أساس التقديس ١٠٦، مشكل الحديث لابن فورك ٢٣٠، الأسماء والصفات للبيهقي

٤٣٨، أقاويل الثقات ١٧٤ - ١٧٦.

(٦) الصحيح مع الفتح ٤٣١/١٣.

الشدة وهي لم تذهب بعد فلا يصح هذا التأويل^(١)، ثم إنهم التمسوه ليتبعوه فينجو من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره وإذا كان كذلك يم يجز أن يلتمسوه على صفحة نلحقهم فيها الشدة والأهوال^(٢).
 ٢/ ورد في نص الحديث عند البخاري ومسلم: ((هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه))^(٣).

وبيان عدم صحة حمل الساق هنا على التأويل بالشدة، أن المخاطبين في حال من الشدة بلا خوف، ولو أرادوا بالآية التي يعرفونه سبحانه وتعالى بها الشدة لقالوا حين سألمهم: كشف الشدة لأنها حالة بهم، فلما قالوا "الساق" ثم كشف عن ساقه وحصل السجود أو محاولته تبين أن المقصود بهذا الساق شيء خاص بالله تعالى هو صفة له، وليس إذهاباً للشدة لأنها موجودة بعد كشفه الساق إذ أن أشد الشدة عند حال السجود خاصة ممن لم يستطع ذلك^(٤).

٤/ أنه قال: "فيخرون سجداً" وسجود المؤمنين إذا كشف الله عن الساق لا يمكن أن يكون للشدة بل لله رب العالمين^(٥).

٥/ ما قاله ابن القيم رحمته الله: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، مطابق لقوله: ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وتكثيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه، فإن لغة القوم أن يقال: كشفت الشدة عن القوم لا كشفت عنها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

(١) ابن حزم وموقفه من الإلهيات ٣٢٥.

(٢) إبطال التأويلات ١٥٩/١.

(٣) سيأتي تخريجه في الرؤية.

(٤) ابن حزم وموقفه من الإلهيات ٣٢٦ بتصرف.

(٥) إبطال التأويلات ١٥٩/١.

كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴿١١﴾، فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضا فهناك تحدث شدة لا تزول إلا بدخول الجنة وهنا لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة^(١).

٦/ المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من التابعين أن المراد بالساق في الآية الشدة الجواب عنه كما يلي:

قد وقع خلاف بين السلف في معنى قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق"، وهذا أمر فروي عن ابن عباس وطائفة أنا لمراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن عقيدة السلف منهم.

ابن مندة قال رحمته الله في مطلع كتابه "الرد على الجهمية": قول الله عز وجل "يوم يكشف عن ساق" وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك واختلاف الصحابة والتابعين في معنى تأويله^(٢).

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله قال: «وأما الذي أقوله الآن واكتبه وان كنت لم أكتبه فيما تقدم من أجوبيتي وإنما أقوله في كثير من المجالس ان جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتشبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيئا كثيرا.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٠.

(٢) مختصر الصواعق المرسله ٢٥/١.

(٣) الرد على الجهمية لابن مندة ٣٥.

وتمام هذا أنى لم أجدهم تتازعوا إلا في مثل قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق" فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين^(١).

كذلك ابن القيم رحمته الله قال: «والصحابه متنازعون في تفسير الآية على المراد بها: أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع»^(٢).
بعد تقرير الخلاف بين السلف في معنى هذه الآية نقول:

١ / تفسير ابن عباس وغيره للساق بالشدة إن صح عنهم ليس هو من التأويل الذي هو صرف الآية عن ظاهرها، ولا هو تعطيل لصفة من صفات الله تعالى، فإن ظاهر الآية لا يدل على أن هذه من الصفات، ولم يضيفها الله لنفسه، فهذه الصفة ثبتت بدليل آخر وهو حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة.

قال شيخ الإسلام: «لا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فانه قال (يوم يكشف عن ساق) نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر انه من الصفات إلا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف»^(٣).

٢ / يحتمل أن يكون هذا التفسير من ابن عباس وغيره من السلف على

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٤/٦.

(٢) مختصر الصواعق ٢٥/١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٤/٦، وانظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٢٥/١.

مقتضى اللغة وأن الساق في اللغة هو الشدة^(١).

٣ / وعلى القول بأن للسلف في الآية قولين فإن ما ورد في السنة الصحيحة الصريحة يرجح القول بأنها في الصفات خاصة مع توافق المدلول في السجود ((فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن...))، وكذا في الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٢).

٨ / الصورة: يكثر النووي رحمته الله النقل عن شراح صحيح مسلم المتقدمين (المازري والقاضي عياض) وهما على مذهب الأشاعرة في الاعتقاد ففي حديث الصورة نقل كلام المازري في تأويله وتغليب ابن قتيبة رحمته الله في إثباته الصورة لله تعالى، وفي حديث الرؤية أول الصورة بعدم المشابهة للخلق.

قال رحمته الله في شرحه لحديث الرؤية: ((فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون))^(٣)، معناه يأتيهم الله في صورة أي يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: أنا ربكم رأوا عليه علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم، ويستعيذون بالله منه.

وفي شرحه لقوله رحمته الله في الحديث نفسه: ((فيأتيهم في صورته التي يعرفون))^(٤)، قال: فالمراد بالصورة هنا: الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونها بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته

(١) إبطال التأويلات ١/١٦٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٣) سيأتي تخريجه ص ١٩٣.

(٤) سيأتي تخريجه ص ١٩٣.

فيعلمون أنه ربهم فيقولون: أنت ربنا وإنما عبر بالصورة عن الصفة لمشابتها إياها، ولمجانسة الكلام^(١).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته))^(٢).

قال: قال المازري: هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ورواه بعضهم: ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن))، وليس بثابت عند أهل الحديث، وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك.

قال المازري: وقد غلط ابن قتيبة^(٣) في هذا الحديث فأجراه على ظاهره وقال: لله تعالى صورة لا كالصور، وهذا الذي قاله ظاهر الفساد، لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركب محدث، والله تعالى ليس بمحدث، فليس هو مركبا فليس مصورا.

قال^(٤): وهذا كقول المجسمة: جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السنة يقولون الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء، طردوا الاستعمال فقالوا:

(١) شرح صحيح مسلم ١٩/٣ - ٢٠. وانظر: ٢٧/٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه ١٦٥/١٦ - ١٦٦، عن أبي حاتم عن النبي ﷺ قال: ((إذا قاتل أحدكم... الحديث))، وأحمد ٢٤٤/٢، ٢٥١، عن أبي هريرة نحوه.

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، العلامة، صاحب التصانيف حدث عن إسحاق بن راهوية، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، وعنه ابنه القاضي أحمد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي وغيرهما، كان ثقة دينا فاضلا، من تصانيفه: كتاب (عيون الأخبار) وكتاب (مشكل الحديث) وكتاب (أعلام النبوة)، وغيرهما كثير، وقال السلفي: ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ثم قال: لكن الحاكم قصده لأجل المذهب، قال الذهبي: عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامية، ثم ما رأيت لأبي محمد في كتاب (مشكل الحديث) ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة ومن أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول فالله أعلم، مات سنة ست وسبعين ومائتين. السير ٢٩٦/١٣، الشذرات ١٦٩/٢.

(٤) يقصد المازري.

جسم لا كالأجسام والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث، ولا يتضمن ما يقتضيه، وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث.

قال^(١): العجب من ابن قتيبة في قوله: صورة لا كالصور مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته، فالصورتان على رأيه سواء. فإذا قال: لا كالصورة تناقض قوله: ويقال له أيضا: إن أردت بقولك صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب فليس بصورة حقيقية وليست اللفظة على ظاهرها، وحينئذ يكون موافقا على افتقاره إلى التأويل واختلف العلماء في تأويله: فقالت طائفة: الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم، وقالت طائفة: يعود إلى آدم وفيه ضعف.

وقالت طائفة: يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى: "ناقة الله" وكما يقال في الكعبة: بيت الله ونظائره والله أعلم^(٢).

وفي شرحه بقول عليه السلام: ((خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا))^(٣). يرى أن الضمير يعود إلى آدم.

فقال: هذه الرواية ظاهرة في أن الضمير في صورته عائد إلى آدم، وأن

(١) يقصد المازري.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٦/١٦، وانظر كلام المازري في: المعلم ١٦٩/٢-١٧٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٧٧/١٧ - ١٧٨، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعَ مَا يُجِيبُونَكَ، فَأْتَاهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ فَرَادَوْهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ))، والبخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٣/١١، والإمام أحمد ٣٥١/٢، كلاهما عن أبي هريرة نحوه.

المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض، وتوفي عليها وهي ستون ذراعاً، ولم ينتقل أطواراً كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير^(١).

هذه النصوص من كلام النووي رحمه الله تدل على أنه ينفي الصورة عن الله في حديث الرؤية وحديث خلق آدم.

ويتبع المازري في تأويله الصورة والرد على ابن قتيبة رحمه الله حيث أثبتها صورة لا كالصور، وتضعيف الحديث بلفظ ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن))، الرد على نفاة الصورة لله تعالى والجواب على تأويله رحمه الله للحديث الثاني:

١ / لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله تعالى وأن سياق الأحاديث كلها يدل على ذلك، وقد اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه، لكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى^(٢).

٢ / القول بأن الضمير عائد إلى الأخ المضروب، ذهب إليه ابن خزيمة رحمه الله فقال في كتاب التوحيد بعد إيراد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: «على صورته» يريد صورة الرحمن عزربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «خلق آدم على صورته»، الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد رحمه الله أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتتاب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر رحمه الله أن يقول: «ووجه من أشبه وجهك»، لأن وجه آدم شبيه وجهه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك،

(١) شرح صحيح مسلم ١٧/١٧٨.

(٢) انظر: نقص التأسيس لشيخ الإسلام ٢/٢٠٨، ٢٠٩.

كان مقبحا وجه آدم عليه السلام، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال^(١).

هذا نص كلامه رحمته الله وهو معدود من زلاته لم يتابعه عليه أحد من أئمة الحديث، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب فقل من إمام إلا وله زلة^(٢).

وهذا القول باطل من وجوه:

أحدها: أن في الصحيحين ابتداء: ((إن الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعا)).

ولم يتقدم ذكر أحد يعود الضمير إليه، وما ذكر بعضهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب رجلا ويقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال: ((خلق الله آدم على صورته)) أي على صورة هذا المضروب، فهذا شيء لا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث.

الوجه الثاني: أن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: ((إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) ليس فيه ذكر أحد يعود الضمير إليه فإن قيل: قد يعود الضمير إلى ما دلّ عليه الكلام وإن لم يكن مذكورا قيل: إنما يكون فيما لا لبس فيه حيث لم يتقدم ما يصلح لعود الضمير إليه إلا ما دل عليه الخطاب فيكون العلم بأنه لا بد للظاهر من مضمير يدل على ذلك.

أما إذا تقدم اسم صريح قريب إلى الضمير فلا يصلح أن يترك عوده إليه ويعود إلى شيء متقدم لا ذكر له في الخطاب، وهذا مما يعلم بالضرورة فسادة في اللغات^(٣).

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/٨٤، ٨٥.

(٢) انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري ١٣، ١٤.

(٣) عقيدة أهل الإيمان ٦٤، ٦٥.

٣ / الحديث بلفظ: ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن))، رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة^(١)، وابن أبي عاصم^(٢)، وابن خزيمة^(٣)، والأجري^(٤)، والبيهقي^(٥)، والدارقطني^(٦).

ولفضيلة الشيخ حماد الأنصاري مقال نشر في مجلة الجامعة السلفية في ذي القعدة سنة ١٣٩٦ هـ المجلد الثامن، العدد الرابع، بعنوان (تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن) ذكر فيه طرق الحديث وصحته، وقد نقله محقق كتاب الصفات للدارقطني ضمن تحقيقه في حاشية الكتاب^(٧).

قال الحافظ في الفتح: « وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة ثم قال وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

قلت - أي الحافظ - : الزيادة أخرجها بن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث بن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجها بن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول قال من قاتل فليجتب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيهه.

(١) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١٦٨/١، عن جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن

عطاء عن ابن عمر مرفوعا: ((لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن)).

(٢) في كتاب السنة ٢٢٩/١ بإسناده عن جرير عن الأعمش بلفظ: ((لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)) وضعف إسناده الألباني لعننة حبيب بن أبي ثابت لأنه كان يدلس وكذلك الأعمش.

(٣) بإسناد ابن أبي عاصم في كتاب التوحيد ٨٦/١ عن عطاء مرسلا بسند صحيح وموصولا عن ابن عمر ٨٥/١.

(٤) في الشريعة ٢٧٩ به موصولا.

(٥) في الأسماء والصفات ٣٧١ عن جرير بن عبد الحميد.

(٦) في كتاب الصفات ٦٤ به.

(٧) ص ٥٨ - ٦٣.

غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره وقال صورة لا كالصور...
انتهى».

وقال حرب الكرماني في (كتاب السنة) سمعت إسحاق بن راهوية يقول:
صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن.

وقال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح.

وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:
قال رجل لأبي إن رجلاً قال: خلق الله آدم على صورته - أي صورة الرجل -
فقال: كذب هو قول الجهمية... انتهى^(١).

وللشيخ حمود التويجري كلام طويل في نقل تصحيح العلماء لهذه الرواية
وتأييده لهم^(٢).

٤ / القول بأن الضمير يعود إلى آدم ضعيف كما ذكر النووي رحمه الله
ووجوه ضعفه هي:

١ / إنه إذا قيل: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على
صورة آدم كان هذا من أفسد الكلام، فإنه لا يكون بين العلة والحكم
مناسبة أصلاً، وكون آدم مخلوقاً على صورة آدم، فأى تفسير فسر به ليس
مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه.

٢ / إن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم فلا فرق بين الوجه وسائر
الأعضاء في هذا الحكم.

٣ / ما أبطل به الإمام أحمد هذا التأويل حيث قال: من قال: إن الله خلق
آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لأدم قبل أن يخلقه^(٣).

(١) فتح الباري ١٨٣/٥.

(٢) انظر: عقيدة أهل الإيمان ص ٢٠ ٣٢.

(٣) عقيدة أهل الإيمان ٦٩، ٧٠، ٧١.

٤ / القول بأن الضمير يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشریف واختصاص، قول باطل فلو أريد الصورة المخلوقة التي هي صورة آدم المضافة إليه تشريفا لكان يقال: صورة آدم صورة الله أو صورة الإنسان صورة الله ونحو ذلك من الألفاظ الدالة على الإضافة المجردة وإن كان في ذلك ما فيه^(١).
 أما تأويله للحديث الثالث فيقال فيه بقول الإمام أحمد رحمته الله المتقدم: وأي صورة كانت لأدم قبل أن يخلقه.

ثم يقال في قوله: إن المراد أنه لم ينتقل أطوارا كذريته قول لا دليل عليه بحال فإن هذا اللفظ لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه، فلا بد أن يبين وجه دلالة اللفظ على المعنى من جهة اللغة ويذكر له نظير في الاستعمال^(٢).
 فالمذهب الحق في الصورة: جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه وليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسمية ذات لا كالذوات^(٣).
 وليست الصورة بأعجب من اليدين والأصابع والعين، إنما وقع الإلف لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع^(٤)، والله تعالى أعلم.

٩ / الحياء: صفة الحياء من الصفات الذاتية التي أولها النووي رحمته الله ففي شرحه لقول المرأة في حديث غسل المرأة: ((إن الله لا يستحي من الحق))^(٥)،

(١) عقيدة أهل الإيمان ٩٨.

(٢) المصدر السابق ٧٣.

(٣) إبطال التأويلات ٨٠ - ٨١ بتصرف.

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

(٥) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٢٢٨/١ - ٢٢٩ عن أم سلمة ونحوه، ومسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ٢٢٣/٣ - ٢٢٤، عن أم سلمة قالت جاءت أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة

قال: معناه لا يمتنع من بيان الحق وقيل: معناه إن الله لا يأمر بالحياء في الحق ولا يبيحه^(١).

في شرحه لقوله ﷺ: ((أما الآخر فاستحيا الله منه))^(٢).

قال: أي ترك المزاحمة والتخطي حياء من الله تعالى ومن النبي ﷺ والحاضرين أو استحيا منهم أن يعرض ذاهبا كما فعل الثالث، فاستحيا الله منه: أي رحمه ولم يعذبه بل غفر ذنوبه.

وقيل: جازاه بالثواب^(٣).

وذلك فرارا من الوقوع التشبيه بالمخلوق لأن الحياء في المخلوق هو انقباض

من غسل إذا احتلمت فقال رسول الله ﷺ نعم إذا رأت الماء فقالت أم سلمة يا رسول الله وتحتلم المرأة فقال تربت يداك فبم يشبهها ولدها، وأبو داود في أبواب الطهارة، باب ما جاء في المرأة ترى في المنام مثل ما يرى الرجل ٦١/١، عن عائشة نحوه، والنسائي، كتاب الطهارة، باب غسل المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل ١١٤/١ عن أم سلمة نحوه، وأحمد ٢٩٢/٦ عن أم سلمة نحوه.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٤/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ١٥٦/١، وفي كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد ٥٦٢/١، عن أبي واقد مثله، ومسلم، كتاب السلام، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها والا دراهم ١٥٧/١٤ - ١٥٩، عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه، والترمذي في أبواب الاستئذان والآداب ١٧١/٣ عن أبي واقد بمثله، وأحمد ٢١٩/٥ عن أبي واقد نحوه.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥٩/١٤.

النفس عن القبيح، مخافة الذم^(١).

وقال الراغب^(٢): الحياء انقباض النفس عن القبائح وترك لذلك، ثم قال عن حياء الله: ليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك، وإنما المراد به ترك تعذيبه^(٣).

وقال غيره: هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره^(٤).

وقول النووي تأويل لهذه الصفة وكذا ما ذكره الراغب ونقله ابن حجر، والحق: إثبات صفة الحياء لله عز وجل مع نفي مشابهة الخلق بل كما يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى.

أما المعنى المذكور في حياء الإنسان الذي جعل بعضهم ينفون هذه الصفة عن الله هو معنى خاص بالإنسان، ولا يلزم من إثبات هذه الصفة لله تعالى كما هو ظاهر النصوص الصحيحة لا يلزم منه التشبيه بل إثبات بتزيه قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصياء^(٥)
«فحياؤه سبحانه وتعالى وصف يليق به ليبس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو تك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهر بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه ويستعين بنعمه على

(١) أقاويل الثقات لمربي الكرمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٧١.

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني أبو القاسم الملقب بالراغب، كان من أذكى المتكلمين توفي سنة نيف وخمسائة. السير ١٨/١٢٠، هدية العارفين ١/٣١١، كشف الظنون ١/٣٦.

(٣) المفردات للراغب ١٤٠ باختصار.

(٤) فتح الباري ١/٩٤.

(٥) القصيدة النونية ١٤٨.

معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمايم قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيخته»^(١).

ثانيا: الصفات الفعلية:

الصفات الفعلية كما أسلفت هي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالحب والبغض والرضا والغضب، والضحك والفرح، والإتيان والمجيء، والعجب، والغيرة، والملل، والمعية والقرب.

والنووي رحمته الله في هذه الصفات مذهبه مذهب الأشاعرة فإنه يؤولها إما بالإرادة وإما بالثواب نفسه وإما بالعقاب نفسه وإما بغير ذلك من التأويلات الباطلة، هذا منهجه إجمالاً، وإليك التفصيل في كل صفة من هذه الصفات.

١ - ٢ - الغضب والرضا:

١ / الغضب: قال رحمته الله في شرحه لقوله رحمته الله: ((من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان))^(٢).

وأما قوله رحمته الله: ((لقي الله وهو عليه غضبان))، وفي الرواية الأخرى: ((وهو عنه معرض)) فقال العلماء: الإعراض والغضب والسخط من الله تعالى هو إرادته إبعاد ذلك المغضوب عليه من رحمته، وتعذيبه، وإنكار فعله وذمه والله أعلم^(٣).

وفي شرحه لحديث الشفاعة وقوله رحمته الله: ((إن ربي قد غضب اليوم غضباً

(١) شرح القصيدة النونية لهراس ٢/٨٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ٢/٢٢٢ عن وائل بن حجر عن أبيه قال: قال رحمته الله: ((من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان))، وأحمد في المسند ٤/٣١٧ عن وائل بن حجر بمثله.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢/١٦٢، وانظر: المصدر نفسه ١٤/١٢١.

لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله))^(١).

قال: المراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يروونه من أليم عذابه وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها ولا شك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله فهذا معنى غضب الله تعالى^(٢).

وفي شرحه للحديث القدسي: ((إن رحمتي تغلب غضبي))^(٣).

قال: قال العلماء: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة بإرادته الإثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبا^(٤).

فالنووي رحمته الله يأول صفة الغضب بإرادته إبعاد المغضوب عليه أو بالعذاب نفسه.

الجواب على هذا التأويل بما يلي:

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان باب شفاعته رحمته الله يوم القيامة ٤٣٠/٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، والبخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" ٢٢٦/٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه بمثله في سياق طويل، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة عن أبي هريرة ١٤٨/٧، بمثله في سياق طويل، وأحمد ٤٢٥/٢ عن أبي هريرة بمثله في سياق طويل.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦٨/٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ٢٢٤/١٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي)) والبخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" ١٧١/٨، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ١٤٢٥/٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه الإمام أحمد ٣١٣/٢ كلهم عن أبي هريرة بمثله.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦٨/١٧.

١ / صفة الغضب كسائر الصفات التي ثبتت بالنصوص الصحيحة فوجب إثباتها حقيقة تليق بجلال الله تعالى، ولا تشبه المخلوق ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق.

٢ / تأويل صفة الغضب بالإرادة صرف للفظ عن ظاهرة بلا دليل، ونفي للصفة.

قال شارح الطحاوية في شرحه لقول الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى، ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللاتقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

ثم قال: لا كأحد من الورى، نفي التشبيه، ولا يقال: إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفي للصفة.

ويقال عن تأويل الغضب والرضا بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب والرضا الميل والشهوة وذلك لا يليق بالله تعالى!

فيقال له: غليان دم القلب في الأدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه هو الغضب.

ويقال له أيضا: ويقال له أيضا: وكذلك الإرادة والمشية فينا، هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، وينقص بعدمه.

فالمنعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمنعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذلك، وإن امتنع هذا امتنع ذلك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها

العبد، وإن كان كل منهما حقيقة؟ قيل له: فقل: إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة.

فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه؛ لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب. فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، ولا يكون الموجب للصرف ما دل عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول إن عقله دل على خلاف ما يقوله الآخر!

ولئن كان غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة ليس مماثلا لكيفية غضب آدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه. فغضب الله أولى^(١).

وكذلك صفة الرضا فقد أولها ﷺ بالثواب نفسه أو بصفة أخرى هي الإرادة، قال في شرحه لقوله ﷺ لأصحابه: ((إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: الله بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا))^(٢).

الرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضا بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات^(٣)، والجواب عن هذا التأويل صفة الغضب.

٣/ المحبة: قال في شرحه لقوله ﷺ: ((أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها))^(٤).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦٨٥ - ٦٨٧ بتصرف واختصار، وانظر: مجموع الفتاوى ١٧/٣ - ١٨، ١١٩/٦ - ١٢٠، ومختصر الصواعق ١٨/١ - ١٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٤٧/١٢، عن أنس رضي الله عنه، والإمام أحمد في مسنده ٤١٦/١، عن ابن مسعود رضي الله عنه بمثله.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٨/١٣، وانظر المصدر نفسه ١٠/١٢ - ١١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١١٧/٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الحب والبغض من الله تعالى إرادته الخير والشر أو فعله ذلك بمن أسعده أو أشقاه^(١).

وقال في شرحه لحديث الرجل الذي كان يقرأ لأصحابه في الصلاة فيختم بقل هو الله أحد لما أخبر النبي ﷺ قال: ((أخبروه أن الله يحب))^(٢).

قال المازري: محبة الله تعالى لعباده إرادة ثوابهم وتعيمهم، وقيل: محبته لهم نفس الإثابة والتعيم لا الإرادة^(٣).

وفي شرحه لحديث فضل عيادة المريض وقوله ﷺ: ((إن الملك قال للرجل: فإنني رسول الله إليه بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه))^(٤).

قال: قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه وإرادته له الخير وأن يفعل به فعل المحب من الخير، وأصل المحبة في حق العباد ميل القلب والله تعالى منزه عن ذلك^(٥).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً))^(٦).

(١) شرح صحيح مسلم ١٧١/٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٩٥/٦، عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى الصحيح ٩٣/٨، عن عائشة رضي الله عنها، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد عن عائشة ١٧٠/٢ - ١٧١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩٥/٦ - ٩٦، وانظر المصدر نفس ١٠/١٧.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله تعالى ١٢٤/١٦، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخاً لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فإنني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه)) وأخرجه أحمد ٤٦٢/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه بمثله.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢٤/١٦، وانظر المصدر نفسه ١٨٣/١٦ - ١٨٤.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٥١/١٥، عن عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: ((لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً))، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه ٢٦٥/٩، عن ابن مسعود بنحوه.

قال: محبة الله تعالى لعبده تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وتيسير أطاقفه وهدايته وإفاضة رحمته عليه...^(١).

فالنووي رحمته الله يؤول صفة المحبة لله تبارك وتعالى إما بالثواب والرحمة والرضوان أو بإرادة الثواب كغيرها من الصفات الاختيارية، وهذا تأويل باطل، فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا اصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وقد أنكر جمهور أولئك المتكلمين أن يكون الله محبوبا، أو أنه يحب شيئا أو يحبه أحد، وهذا في الحقيقة إنكار لكونه إلهيا معبودا، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يؤله ويعبد^(٣).

وقال في موضع آخر وفي معرض الكلام عن محبة الرب عبده قال: ومنكروها قسمان: قسم يتأولونها بنفس المفعولات التي يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه.

وقسم: يجعلونها نفس إرادته لتلك المفعولات^(٤).

أما الجواب عن هذا التأويل فبالنصوص التي أثبتت محبة الله تعالى لعباده المؤمنين منها قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٦) ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

(١) شرح صحيح مسلم ١٥/١٥١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٣٥٤.

(٣) النبوات ٦٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٧٤ - ٧٥، وانظر: النبوات ١٠٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾^(١).

قال الإمام الدارمي^(٢) : فمن يكثرث لضلالاتهم بعد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ فجمع بين الحبين: حب الخال وحب الخلق: متقاربين ثم فرق بين ما يحب وبين ما لا يحب ليعلم خلقه أنهما متضادان غير متفقين فقال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٣)، و﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤).

فأهل الحق يثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به فلا تقتضي عندهم نقصا ولا تشبيها.
كما يثبتون لازم تلك المحبة وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته^(٥).

والمحبة مثل الصفات الأخرى التي يثبتها هؤلاء فهي كالإرادة والسمع والبصر، وما يقال في هذه يقال في المحبة.
فلا فرق بين ما نفوه وبين ما أثبتوه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر لأنهم يقرون بأن الله تعالى حي بحياة، عليهم بعلم، قدير بقدره، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعلون ذلك كله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) رد الدارمي على بشر ١٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٦) شرح العقيدة الواسطية لهراس ٥٤.

حقيقة وينازعون في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعلون ذلك مجازاً ويفسرون إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات^(١).

٤ / البغض والسخط والكراهة: قال في شرحه لحديث: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً...))^(٢).

قال العلماء: الرضا والسخط والكراهة من الله تعالى المراد بها أمره ونهيه وثوابه وعقابه، أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب لبعضهم^(٣).

وقال في موضع آخر: بغضه إرادة عقابه أ. شقاوته ونحوه^(٤).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((من كره لقاء الله كره الله لقاءه))^(٥).

قال: يكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم^(٦).

(١) انظر: التدمرية ٣١، ٣٣، تحقيق: محمد السعودي.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ١٠/١٢، عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال))، وأخرجه أحمد ٣٦٠/٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بمثله إلا أن فيه زيادة: ((وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)).

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠/١٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦/١٨٤.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٩١/٧، عن عبادة

رضي الله عنه، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٠/١٧، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه))، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٣٧٩/٣ عن عبادة، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٥/٢، عن عائشة رضي الله عنها، والإمام أحمد ٤٢٠/٢ عن أبي هريرة كلهم بمثله.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٧/١٠.

فالنووي رحمه الله يؤول البغض والسخط والكره، إما بالنهي والعقاب والإبعاد عن رحمته، أو بإرادة العقاب والشقاوة، وهذا هو تأويل الأشاعرة للصفات الاختيارية إما بالإرادة أو بآثار الصفة فرارا من القول بحلول الحوادث في ذات الله تعالى، ويرد عليهم بما يأتي:

١/ أن صفة السخط والكره من الصفات التي أجمع السلف على ثبوتها بالكتاب والسنة، فيجب إثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل هي حق على حقيقتها^(١).

٢/ قد أجاب الإمام الدارمي رحمه الله على منت أول هذه الصفات، فقال: ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله التي هي مذكورة في كتاب الله وينزع بتلك الآيات التي ذكرت فيها ليغالط الناس في تفسيرها فذكر منها الحب والبغض والغضب والرضا والفرح والكره والعجب والسخط... ثم قال: فمن يكثر لضلالاتهم بعد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢).

وقال: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، ثم فرق بين سخطه وإسقاط العباد إياه فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾^(٤).

فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير،

(١) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ٥٦، ٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٠.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٨.

ويعرفه العامة والخاصة^(١).

٥ / الضحك: أول النووي رحمه الله صفة الضحك بالرضا، والثواب، ومجبة الفعل المضحوك منه، أو ضحك الملائكة، فقال في شرحه لحديث آخر أهل الجنة دخولا الجنة وقوله في الحديث: ((... فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة...))^(٢).

قال العلماء: ضحك الله تعالى منه هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه وإظهار نعمته عليه وإيجابها عليه^(٣).

وفي شرحه لحديث: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة))^(٤).

قال: قال القاضي: الضحك هنا استعارة في حق الله تعالى لأنه لا يجوز عليه تغير الحالات والله تعالى منزّه عن ذلك، وإنما المراد به الرضا بفعلهما والثواب عليه وحمد فعلهما ومحبته، وتلقي رسل الله لهما بذلك، لأن الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقته ما يرضاه وسروره وبره لمن يلقاه.

قال: ويحتمل أن يكون المراد هنا ضحك ملائمة الله تعالى الذي يوجههم

(١) رد الدارمي على بشر ١٩٩ - ٢٠٠ باختصار.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لريهم سبحانه وتعالى ٢٤/٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه، و البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم ٢٠٥/٧،

عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه أحمد ٥٣٣/٢، عن أبي هريرة بنحوه أيضا.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٤/٣، وانظر: المصدر نفسه ٤٣/٣ - ٤٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسد بعد ويقتل عن أبي

هريرة رضي الله عنه بمثله ٢١٠/٣، ومسلم، كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر

يدخلان الجنة ٣٦/١٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه، والنسائي كتاب الجهاد، باب اجتماع القتال

والمقتول في سبيل الله في الجنة ٢٨/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وابن ماجه في المقدمة، باب

فيما أنكرت الجهمية ٦٨/١، عن أبي هريرة رضي الله عنه بمثله.

لقبض روحه وإدخاله الجنة^(١).

وفي شرحه لحديث آخر أهل النار خروجاً وقوله في الحديث: ((أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك))^(٢)، أول الضحك بالسخرية.

قال: هذا شك من الراوي هل قال: أتسخر بي أو قال: أتضحك بي فإن كان الواقع في نفس الأمر أتضحك بي فمعناه أتسخر بي لأن الساخر في العادة يضحك ممن يسخر به فوضع الضحك موضع السخرية مجازاً.

وأما معنى: "أتسخر بي" هنا ففيه أقوال: أحدها قاله المازري أنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث دون لفظه لأنه عاهد الله مراراً أن لا يسأله غير ما سأل ثم عذر فحل عذره محل الاستهزاء والسخرية.

فقدر الرجل أن قول الله تعالى له: ادخل الجنة وتردده إليها وتخيل كونها مملوءة ضرب من الإطماع له، والسخرية به جزاء لما تقدم من غدره وعقوبة له فسمى الجزاء على السخرية سخرية، فقال: أتسخر بي أي تعاقبني بالإطماع.

والقول الثاني: قاله أبو بكر الصوفي: أن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى كأنه قال: أعلم أنك لا تهزأ بي لأنك رب العالمين وما أعطيتني من جزيل العطاء وأضعاف مثل الدنيا حق، ولكن العجب أنك أعطيتني وأنا

(١) شرح صحيح مسلم ٣٦/١٣، وانظر: أساس التقديس ١٠٩، وإكمال المعلم ٥/ق، ١١٥ أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٢٠٤/٧، ومسلم، كتاب الإيمان،

باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ٣٩/٢، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ:

((إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار

حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع

فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها

فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة

فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو

أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان

يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة))، وابن ماجه ١٤٥٣/٢ كلاهما عن ابن مسعود بمثله.

غير أهل له، قال: والهمزة في (أتسخر بي) همزة نفي^(١).

والقول الثالث: قاله القاضي عياض: أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق^(٢).

الجواب عن هذه التأويلات:

١/ ظاهر النصوص يدل على إثبات صفة الضحك لله تعالى، وهو ضحك حقيقي لا يماثل ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب^(٣).

٢/ تأويل الضحك بالرضا والصواب أو إرادة الثواب تحريف للكلم عن مواضعه فإن الرضا والثواب يتفضل الله به على عبده إذا ضحك منه كما في قوله ﷺ في الحديث المتقدم: ((فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة)).

أما قولهم إنه إرادة الثواب فيقال لهم: إذا قلت إن الإرادة ثابتة لله عز وجل انتقضت قاعدتكم لأن للإنسان إرادة بل للجدار إرادة الله كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾^(٤).

فإما أن تتفوا الإرادة عن الله عز وجل كما نفيتم بقية الصفات، وإما أن تثبتوا لله عز وجل ما أثبتته لنفسه، وإن كان للمخلوق نظيره في الاسم لا الحقيقة^(٥).

(١) انظر: في قول أبي الصوفي الإكمال ١/ ق ٥٧ أ.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣/ ٢٩ - ٤٠، وانظر قول القاضي في الإكمال ١/ ق ٥٧ أ.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ١١٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٥) شرح العقيدة الواسطية ٢/ ٤٤٥.

٣ / أن الضحك في موضع المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني.

والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل في اليوم الشديد للعذاب إنه ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(١).

وإن كان الضحك فينا مستلزما لشيء من النقص فالله منزّه عن ذلك^(٢).

٦ / الفرح: في شرحه لقوله ﷺ: ((لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة))^(٣).

قال: قال العلماء: فرح الله تعالى وهو رضاه، وقال المازري: الفرح ينقسم على وجوه منها السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به.

قال: فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة، فعبّر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره^(٤).

الجواب عن هذا التأويل:

١ / الكلام في هذه الصفة كالكلام في غيرها من الصفات، فنثبت لله

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢١/٦ - ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة ١١/١٠٢، عن عبد الله بن مسعود، وأنس رضي الله عنهما بنحوه، ومسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها ١٧/٦٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: ((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهراً، والترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار ٥/٥٤٧، عن أبي هريرة نحوه، وأخرجه الإمام أحمد ٢/٥٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧/٦٠ - ٦١، وانظر: كلام المازري في المعلم ٣/١٨٧ - ١٨٨.

تعالى فرحا حقيقيا بل وأشد فرح، وهي من صفات الفعل التابعة لمشيئة الله تعالى وقدرته، فهو يفرح - وتقوم به هذه الصفة - عندما يحدث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب وقبول توبته، لا يشابه فرح المخلوقين فإن فرح المخلوق على أنواع فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشروبطر، والله منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته، فسببه كما رحمته وإحسانه التي بحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغاياته إتمام نعمته على التائبين المنيبين^(١).

٢ / تفسير الفرح بالرضا من التأويل الباطل الذي هو تأويل الأشاعرة كابن فورك^(٢)، والبيهقي^(٣)، والمازري وغيرهم.

فإن الرضا صفة والفرح صفة أخرى ليست هذه هي تلك، وصفة الرضا من الصفات التي يؤولها الأشعرة بالثواب ذاته أو بإرادته فرارا من القول بالتشبيه. وهذا خطأ فلو قيل: إن فرح الله هو رضاه بمعنى إرادته إثابة التائب وقبول توبته، قيل: أنتم أثبتم لله تعالى صفة الإرادة من غير مشابهة لإرادة المخلوق فقولوا فيما نفيتم من الصفات كقولكم في الإرادة وأثبتوا صفة الفرح لله تعالى بلا مشابهة أو مماثلة لفرح المخلوق.

٧ / العجب: أول النووي رحمته الله صفة العجب لله تعالى بالرضا أو عجب الملائكة فقال في شرحه لقوله رحمته الله: ((عجب الله من صنيعكما بضيفكما

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس ١١١ - ١١٢، وشرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ٤٤٠/٢.

(٢) انظر: مشكل الحديث ٦٧.

(٣) انظر: الأسماء والصفات ٦٠٢.

(الليلة))^(١).

قال القاضي: المراد بالعجب من الله رضاه ذلك، قال: وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله وأضافه إليه سبحانه وتعالى تشريفا^(٢).

الجواب:

١ / دل الحديث على إثبات صفة العجب لله تعالى فوجب حمل الحديث على ظاهره.

٢ / الذين أولوا العجب بالرضا أو عجب الملائكة قالوا إن التعجب استعظام للمتعجب منه.

وهذا صحيح وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له^(٣).

٣ / التعجب من الأمر العجيب صفة كمال لله تعالى ليست ناشئة عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور كما هو الحال في عجب المخلوقين، بل هو صفة تقوم به سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته عن وجود مقتضية، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه^(٤).

٨ / الغيرة: أول النووي رحمته الله غيرة الله بالمنع والتحريم، ففي شرحه لقوله

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير (سورة الحشر) باب قوله: "ويؤثرون على أنفسهم" ٥٩/٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه، ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ١٣/١٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة: ((قد عجب الله من صنيفكما بضيفكما الليلة)).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣/١٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢٣/٦ بتصرف يسير.

(٤) شرح العقيدة الواسطية لهراس ١١٤.

ﷺ: ((وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش))^(١).

قال: غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه: أي غيرته منه وتحريمه^(٢).

وفي شرحه لقوله ﷺ في حديث غيره سعد بن معاذ: ((أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله... الحديث))^(٣).

قال: الغيرة صفة كمال فأخبر ﷺ بأن سعد غيورا وأنه أغير منه وأن الله لأغير منه ﷺ، وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش، فهذا تفسير لمعنى غيرة الله تعالى، أي أنها منعه سبحانه وتعالى الناس من الفواحش، لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغيير حال الإنسان وانزعاجه وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى.

وقيل: معناه لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله تعالى، ولا يتصور

ذلك منه^(٤).

فكلام الإمام النووي في شرح الغيرة فيه ملاحظتان:

الأولى: تأويل صفة الغيرة لله عز وجل بمنعه من الفواحش وتحريمه لها وهذا خطأ وتأويل باطل فإن النبي ﷺ في الحديث لم يجعل الغيرة هي التحريم بل جعل التحريم أثرا من آثار غيرته سبحانه وجعل الغيرة سببا في

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش ٧٧/١٧، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش)).

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٧/١٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله ٢١/٨ عن المغيرة بن شعبه بنحوه، والإمام أحمد ٢٤٨/٤ عن المغيرة بمثله، ومسلم، كتاب اللعان ١٣٢/١٠، عن المغيرة بن شعبه بنحوه قال: قال ﷺ: ((أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله)).

(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٢/١٠.

التحريم.

وغيره الله من جنس صفاته التي يختص بها، فهي ليست مماثلة لغيره المخلوق بل هي صفة تليق بعظمته، مثل الغضب والرضا ونحو ذلك من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها.

الثانية: قوله في تفسير لا شخص: أي لا أحد وإن لا شخص استعارة وإن المعنى لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله تعالى ولا يتصور ذلك منه قول باطل فإن الشخص في لغة العرب ما شخص وارتفع وظهر^(١).

والله تعالى أظهر من كل شيء وأعظم وأكبر، وليس في إطلاق الشخص عليه محذور على أصل أهل السنة الذين يتقيدون بما قاله الله ورسوله^(٢).

٩ / الإتيان والمجيء: قال في شرحه لقوله ﷺ في حديث الرؤية: ((فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته... فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون...))^(٣).

اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق.

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم

(١) انظر: القاموس المحيط ٨٠٢، لسان العرب ٤٥/٧، معجم مقاييس اللغة ٢٥٤/٣.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ٣٣٤/١.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ١٠٤/٨ - ١٠٥ عن أبي سعيد الخدري نحوه، حديث الرؤية الطويل، ومسلم كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبعانه وتعالى عن أبي هريرة ١٧/٣ - ٢٥.

وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله، بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم، فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: ((فيأتيهم الله)) أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازاً.

وقيل: الإتيان فهل من أفعال الله تعالى سماه إتياناً.

وقيل: المراد يأتيهم الله: أي يأتيهم بعض ملائكة الله.

قال القاضي عياض رحمته الله هذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق. قال: أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين^(١).

فالنووي رحمته الله يجعل التفويض هو مذهب السلف وهذا خطأ فإن السلف رحمهم الله يثبتون معاني الصفات ويفوضون علم كیفيتها إلى الله تعالى كما تقدم^(٢).

ويؤول الإتيان بالرؤية، أو بإتيان بعض الملائكة فرارا من القول بالانتقال والتحيز في جهة والتجسم، وهذه التأويلات وما شابهها هي تأويلات الأشاعرة وعلى رأسهم الفخر الرازي فقد أول الإتيان في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

(١) شرح صحيح مسلم ١٩/٣ - ٢٠.

(٢) انظر ص ٥٣.

أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴿١﴾ بإتيان أمره أو ملائكته وغيرها من التأويلات^(١).

والجواب عن هذه التأويلات بما يلي:

١ / أن تنزيه الله تعالى عن الانتقال من مكان إلى مكان والتحييز والتجسم لأنها من صفات المخلوق ليس معناه إنكار مجيئه سبحانه وإتيانه، لأننا لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ثم ما وصف رسوله ﷺ^(٢).

٢ / قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٣).

عطف الله تعالى فيه مجيء الملك على مجيئه سبحانه وهذا يدل على تباين المجيئين، وإن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾^(٤).

ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدا^(٥).

٣ / أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، ومن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٢) أساس التقديس ٨٤ - ٨٧.

(٣) انظر: رد الإمام الدارمي على بشر ١٤٩.

(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٦) مختصر الصواعق ٢٩٤، وانظر: نقض التأسيس مخطوط ٣/ق ١٧٧ - ١٧٨.

علامات الحقيقة الاطراد^(١).

٤ / في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾

سمى نفسه الله، وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ سمه نفسه فإذا جعل الجاعل رب محمد بعض الملائكة - على تأويل المجيء بمجيء الملائكة - فهذا مع أنه من أعظم الإلحاد في أسماء الله وآياته أليس يعلم كل مسلم، بل كل عاقل أنه معلوم الفساد بالضرورة وأن الله ورسوله لم يرد بهذا الخطاب ذلك؟^(٢)

١٠ / الملل: قال في شرحه لقوله ﷺ: ((فوالله لا يميل الله حتى تملوا))^(٣).

اختلف العلماء في المراد به فالصحيح الذي عليه المحققون وهو الظاهر أن معناه لا يترك الثواب على العمل حتى تتركوا العمل.

وقيل: معناه لا يميل إذا ملتم قاله ابن قتيبة وغيره وحكاه الخطابي وآخرون وأنشدوا عليه شعرا، قالوا ومثاله قولهم في البليغ: فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه، معناه: لا ينقطع إذا انقطعت خصومه، ولو كان معناه ينقطع إذا انقطعت خصومه لم يكن له فضل على غيره^(٤).

لم أقف في الكلام على الممل على قول لأهل العلم غير كلام شراح الحديث وجملتهم من المؤولة، إلا ما ذكره فضيلة الشيخ ابن عثيمين في جوابه عن سؤال، هل نفهم من حديث: ((إن الله لا يميل حتى تملوا)) أن الله يوصف

(١) مختصر الصواعق ٢٩٥ بتصرف

(٢) انظر: نقض التأسيس ٣ / ق ١٧٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلا الله أدومه ١٤/١، عن عائشة، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم ٧٣/٦ - ٧٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال من هذه فقلت امرأة لا تنام تصلي قال عليكم من العمل ما تطيقون فوالله لا يميل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه)).

(٤) شرح النووي لصحيح البخاري ٢١٩ - ٢٢٠، وانظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٧١/٦.

بالمثل؟ فأجاب بقوله: «من المعلوم أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أننا نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تكييف، فإذا كان هذا الحديث يدل على لله مللا فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن بل هو ملل ليس فيه شيء من النقص، أما ملل الإنسان فإن فيه أشياء من النقص لأنه يتعب نفسيا وجسميا مما نزل لعدم قوة تحمله.

وأما ملل الله إن كان هذا الحديث يدل عليه فإنه ملل يليق به عز وجل ولا يتضمن نقصا بوجه من الوجوه»^(١).

١١ / المعية: مذهب الإمام النووي رحمه الله في المعية مذهب أهل السنة حيث يعتقد أن المعية نوعان:

خاصة بالمؤمنين: التوفيق والهداية والرعاية.

عامة لجميع الخلق: العلم والإحاطة.

فقد قال في شرحه لقوله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني))^(٢).

قوله تعالى: "وأنا معه حين يذكرني" أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية.

(١) المجموع الثمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٤٢/١ - ٤٣، وانظر: لقاء الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٥ - ٣٨، إعداد د. عبدالله الطيار.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه"، وقوله جل ذكره: "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك" ١٧١/٨، ومسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها ١/١٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني"، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حسن الظن بالله ٢٢٩/٩، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل العمل ١٢٥٥/٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤١٣/٢، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه بمثله.

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١)، فمعناه بالعم والإحاطة^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وإذا كان ذلك خاصا كقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣).

كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة وقد اشتمل القرآن على النوعين... وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه وقرن بين الأمرين منا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

فأخبر أنه خلق السموات وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه... فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق.

فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥)، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٧)،

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/١٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٧) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢).

ومن العامة: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَمَا كَانُوا﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٤).

١٢ / القرب: والمقصود قرب الله تعالى من عباده ودينه منهم، والإمام النووي رحمته الله سلك في هذه الصفة مسلك الأشاعرة فأول الدنو بدنو الكرامة والإحسان أما النصوص الدالة على قرب الله تعالى الخاص من الداعي فإنه يؤول القرب فيها بالعلم، ففي شرحه لقوله ﷺ: ((اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم...))^(٥).

قال رحمته الله: «اربعوا بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فان رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر اذا لم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٥) مختصر الصواعق ٣٩٤، ٣٩٥، وانظر في تفسير المعية إلى خاصة وعامة: مجموع الفتاوى ٤٩٦/٥، ٤٩٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر إلا في المواضع الموضع التي ورد الشرع فيها كالتلبية وغيرها ٢٥/١٧ - ٢٦، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم أنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم))، وأحمد ٤/٤٠٢، عن أبي موسى بمثله دون قوله: وهو معكم.

تدع حاجة إلى رفعه فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه فإن دعت حاجة إلى الرفع رفع كما جاءت به أحاديث.

وقوله ﷺ في هذه الرواية الأخرى الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم هو بمعنى ما سبق وحاصله أنه مجاز كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) ونحن أقرب إليه من جبل الوريد والمراد تحقيق سماع الدعاء^(٢).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه...))^(٣).

قال: أما كنفه فبنون مفتوحة وهو ستره وعفوه، والمراد بالدنو دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة والله تعالى منزه عن المسافة وقربها^(٤).

وفي شرحه لمقدمة المذهب قال: وقوله: إنه قريب مجيب اقتداء بصالح ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٥)، وتأدبا بقول الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٦/١٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة هود، باب قوله: "ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا

على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"، ٢١٤/٥، عن ابن عمر بنحوه، ومسلم، كتاب التوبة، باب

رحمة الله تعالى على المؤمنين ٨٦/١٧ - ٨٧، عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: ((يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل

تعرف فيقول أي رب أعرف قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغضها لك اليوم فيعطى

صحيفة حسنة وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على

الله))، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ٦٥/١، عن ابن عمر بمثله.

(٤) شرح صحيح مسلم ٨٧/١٧.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ ﴿١﴾.

قالوا: ومعنى قريب: أي بالعلم كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^(١)،^(٢)

من هذه النقول يتبين أن الإمام النووي رحمته لم يجر النصوص الدالة على قرب الله عز وجل من العبد على ظاهرها، بل سلك مسلك الأشاعرة في تأويل كل الصفات الاختيارية كابن فورك والرازي وغيرهما.

فقد قال ابن فورك في شرح قوله رحمته: ((يدى العبد من ربه يوم القيامة)) معناه أنه يقرب من رحمته وكراماته وعطفه ولفظه، هذا سائغ في اللغة أن يقال: فلان قريب من فلان، ويراد به قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده، وعلى هذا يقال: إن أولياء الله قريبون من الله كما أن أعداءه بعيدون منه ويعني بذلك قرب المنزلة وعلو المرتبة.

ويقال أيضا: هو قريب من خلقه والمعنى فيه قرية منهم علما بظواهرهم وبواطنهم... وعليه يتأول قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، لأن ذلك يرجع إلى القرب بمعنى العلم والقدرة والسمع والسمع والبصر...

وإذا كان سائغا في اللغة كان قوله: يدنى العبد من ربه يوم القيامة محمولا على مثله لاستحالة المساحة والمسافة وبعد المكان والنهائية على الله عز وجل.

وأما قوله رحمته: فيضع الجبار كنفه عليه فإنه يبين ما أشرنا إليه في

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) المجموع شرح المذهب ٧٨/١.

(٤) سورة ق، الآية: ١٦.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٤.

معنى الدنو وأنه على تأويل قرب المنزلة والدرجة^(١).

أما الرازي فقد تبع ابن فورك في تأويله فقال: واعلم أن المراد من قربه ومن دنوه قرب رحمته وذنوها من العبد، وأما قوله: فيضع الجبار كنفه عليه فهو أيضا مستفاد من قرب الرحمة يقال: أنا في كنف فلان: أي في أنعامه^(٢).
ومعنى كلام ابن فورك والرازي والنووي واحد فكلهم يؤول حديث دنو الله تعالى من عبده المؤمن يوم القيامة بدنو رحمته وإكرامه وإحسانه وقربه من الداعي كقربه من عموم خلقه قرب بالعلم والإحاطة لا اختصاص للداعي بشيء على سائر الخلق.

والجواب عن هذا التأويل من خلال الوجوه التالية:

١ / لفظ القرب ذكر في النصوص تارة بصيغة المفرد وتارة بصيغة الجمع فالأول إنما جاء في إجابة الداعي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، وكذلك في الحديث: ((إربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعو أصم ولا غائبا إنما سميها قريبا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)).

وجاء بصيغة الجمع في قوله: ﴿وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وهو قرب ذوات الملائكة، وقرب علم الله منه، وهو رب الملائكة والروح، وهم لا يعلمون شيئا إلا بأمره، فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد.
فهذا كله خبر عن الملائكة فقوله: "فإنني قريب" و"هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"، إنما جاء في الدعاء لم يذكر أنه قريب من العباد في كل حال، وإنما ذكر ذلك في بعض الأحوال.

(١) مشكلة الحديث لابن فورك ٥٨ - ٥٩.

(٢) أساس التقديس ٨٢.

وفي الجملة: ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه هو مقيد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق، فبطل قوله الحلولية كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ فهذا قربه من داعيه.

وأما قربه من عابديه ففي مثل قوله: ((أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب)).

أما قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، فالمراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف.

قالوا: مالك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تبصرون.

وقد قال طائفة: ((ونحن أقرب إليه)) بالعلم وقال بعضهم بالعلم والقدرة، ولفظ بعضهم بالقدرة والرؤية.

وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء.

وكأنهم ظنوا أن لفظ (القرب) مثل لفظ (المعية) وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا أجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان^(١).

٢ / قوله في الحديث: ((يدنى المؤمن يوم القيام من ربه...)) ليس فيه إلا تقريبه وادناؤه إلى الله تعالى.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٢/٥ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٤٧ - ٤٩٤ - ٤٩٥.

والقول بأنه دنو كرامة الله وإحسانه ورحمته باطل من وجوه:

الأول: أن ما يدنى إليه العبد من الرحمة والأمان وغير ذلك إما أن تكون أعيانا قائمة بأنفسها أو صفات قائمة بغيرها، فإن كانت صفات فمعلوم أن القرب إلى الصفة لا يكون إلا بالقرب إلى الموصوف نفسه، فلا يمكن أن يقرب العبد إلى ما يقوم بالله من رحمة وأمان إلا إذا قرب منه نفسه، فأما قربه من صفته القائمة به دون قربه من نفسه فظاهر البطلان والفساد.

وإن أريد بما يتقرب العبد إليه عينا قائمة بنفسها غير الله فذلك خلق من خلق الله تعالى ومن المعلوم أن قوله: ((يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه)) تعرف ذنب كذا، يقول أعرف رب: لفئظ صريح يعلم من سمعه بالأضطرار أن الذي يدنيه منه ويضع كنفه عليه ويقرره بذنوبه ويغفرها له هو الله لا أحد من خلقه فكيف يجوز أن يقال لا يدنو العبد من ربه وإنما يدنو من بعض مخلوقاته وهل ذلك إلا بمثابة أن يقال: إن الذي يقرره بذنوبه هو بعض مخلوقاته؟

الوجه الثاني: أن يقال: هذا الدنو ووضع الكنف والمخاطبة تكون وقت السؤال والعبد خائف غير آمن ولا ظر له أنه يغفر له ويرحمه كما في لفظ الحديث الصحيح: ((إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه عليه ويستتره فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم))^(١). فإذا كان العبد حين هذا الدنو من الله والمخاطبة والتقرير بذنوبه يرى أنه قد هلك قبل أن يذكر له الرب غفر له امتنع أن يكون ما ذكر من دنوه من الله هو دنو من رحمته وأمانه وتعطفه.

(١) تقدم تخريجه ص ٢٠١.

الوجه الثالث: أن يقال: من المعلوم أن الله أخبر في كتابه باصناف ما ينعم به على عباده من المأكل والمشرب والملابس والمناكح والمساكن، وقد أجمل ما لم يفصله في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْمَأَنَّ نَفْسٌ مَّا أَخْفَى لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(١)، وهذه الأمور يباشرها المؤمن مباشرة لا يكون جزاؤه مجرد قربه منها دون مباشرتها بل ذلك يكون حسرة وعذابا فدعوى الإكرام بمجرد التقريب من هذه الأمور دون مباشرتها كلام باطل لا حقيقة له.

الوجه الرابع: أن قوله فيدنيه منه فيضع عليه كنفه ثم يقره بذنوبه جمع بين الإدناء ووضع الكنف عليه قرينة في أنه هو الذي يدنيه إليه ويضع كنفه عليه ويستتره من الناس كما جاء ذلك في ألفاظ الحديث^(٢).

ثالثا: الكلام:

اختلف الناس في كلام الله تعالى على أقوال:

الأول: أن كل كلام لله، نظمته وحقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم، والهجر والفحش كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
وهذا مذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود.

الثاني أن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه وهو مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو.

الثالث: أن كلامه مخلوق لم يقم بذاته، يخلقه في بعض الأجسام فمن

(١) سورة السجدة، الآية ١٧.

(٢) انظر في الوجوه السابقة: نقض التأسيس مخطوط ١٨٧/١ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١.

ذلك الجسم ابتداءً لا من الله وهو قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم.

الرابع: أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشية، لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معانٍ في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو خير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة وهذا المذهب أول من قال به ابن كلاب.

الخامس: أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاد ولا له أجزاء وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزيور، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفات كذلك المعنى الواحد لا أنواع له فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد وعم لعمرو وخال لبكر، وكونه قرآناً وتوراة وإنجيلاً تقسيماً للعبارات عنه لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً وإن عبر عن ذلك المعنى بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسيرانية كان اسمه إنجيلاً والمعنى واحد، وهو مذهب الأشعري ومن وافقه.

السادس: أنه متعلق بالمشية والقدرة قائم بذات الرب تعالى وهو حروف وأصوات مسموعة وهو حادث بعد أن لم يكن فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيته بعد أن لم يكن متكلماً وهو مذهب الكرامية.

السابع: أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات، سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكون معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم، بل لم تنزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة

والسمع والبصر، وهذا مذهب السالمية ومن وافقهم وتصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل^(١).

الثامن: قول أتباع الرسل وأهل الحديث وأئمتهم، أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بحرف وصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلهية، وهو يتكلم بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم ين الصوت قديماً^(٢).

مذهب النووي رحمته الله في كلام الله تعالى:

مذهب النووي رحمته الله في كلام الله عز وجل هو مذهب أهل السنة والجماعة بخلاف غيرها من الصفات.

فإنه رحمته الله قد ذكر في غير ما موضع من مؤلفاته أن الكلام صفة ثابتة لله تعالى لا يشبه كلام غيره وأن القرآن المتلو في جميع الأقطار المكتوب في المصحف كلام الله ووحيه المنزل على نبينا محمد صلوات الله عليه.

وأن الله تعالى كلم موسى حقيقة كلاماً سمعه بغير واسطة، قال هذا في كتابه التبيان وشرح صحيح مسلم كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ومما يؤيد ذلك ما ذكره في الرسالة فيما يعتقده السلف في الحروف والأصوات فإنه رحمته الله قسم الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: نقل من كتاب الشيخ: فخر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان الشافعي الأرموي: (غاية المرام في مسألة الكلام) وكل ما

(١) مختصر الصواعق المرسله ٤٠٨/٢ - ٤١٢، باختصار شديد، وانظر: مجموع الفتاوى ١٦٣/١٢ - ١٨٣، وشرح الطحاوية ١٧٢/١ - ١٧٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ١٧٤/١، ومجموع الفتاوى ١٧٣/١٢.

فيها موافق لما عليه أهل السنة والنووي رحمته الله في نقله يتبنى ما فيها وينقل نقل المقرر من غير أدنى اعتراض.

أما القسم الثاني: كتابه (التبيان)^(١) : وأنا بعون الله سأنقل من كتبه ما يبين مذهبه في مسألة الكلام ثم أنقل بعض المواضع من المخطوط لمزيد البيان في شرحه لحديث الشفاعة وقوله فيه: ((الذي كلمه الله تكليماً))^(٢)، قال رحمته الله هذا بإجماع أهل السنة على ظاهره وأن الله تعالى كلم موسى حقيقة كلام سمعه بغير واسطة ولهذا أكر بالمصر، والكلام صفة ثابتة لله تعالى لا يشبه كلام غيره^(٣).

وفي كتابه التبيان قال رحمته الله : « النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، وقال: وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في الأقطار المكتوب في الصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعة الدفتان من أول "الحمد لله رب العالمين" إلى آخر "قل أعوذ برب الناس" كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع فيه الإجماع وأجمع على أنه ليس بقرآن عامداً لكل هذا فهو كافر.

قال رحمته الله : فصل آخر في بيان تحقق الإجماع بالنسبة إلى جمهور الإسلام أن كلام الله منزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حقيقة أنه لو قام شخص من الناس في أي

(١) هو التبيان في آداب حملة القرآن.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٣٥، وقد روى مسلم الرواية التي فيها اللفظ ٧٠/٣، ٧٢ ٧١، عن حذيفة



(٣) شرح صحيح مسلم ٧٥/٣، وانظر: ٧١/٣.

زمان ومكان في محفل عظيم جامع للعلماء والفضلاء والعقلاء والأذكىاء وقال بلسان يفهم وصوت عالي سمعه الحاضرون أن كلام الله منزل على نبيه محمد ﷺ لما نكر عليه أحد لسارعوا إلى تصديقه ولو عكس المقالة لسارعوا عليه ولتطابق عليه الناس إما على قتله وإما على قلة عقله وأما على تكفيره وجهله ومن كابر هذا المقال فليجرب بنفسه هذا الحال ليختبر حينئذ المآل وبشيء هو مقرر في أذهان العقلاء وعقائدهم إلى هذا الحد لا يكون جرده إلا مكابرة»^(١).

والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن كلام الله منزل على نبيه، ومكتوب في المصاحف ومتلو بالألسنة على الحقيقة ثم يقولون: المنزل هو العبارة والمكتوب غير الكتابة والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة، وتعنفات باردة ركيكة، ويكفي في دحض هذا المعتقد كونهم لا يستطيعون على التصريح به بل هم فيه على نحو من المراء.

وسنبين في خاتمة الكتاب حقيقة الكلام في هذه المباحثات إن شاء الله تعالى بعلم ما ذكرنا من الآيات والأخبار المتضمنة إجماع الصحابة وإجماع غيرهم من العلماء والعقلاء أن كلام الله القديم منزل على نبيه ﷺ حقيقة لا مجازا والمنزل ليس إلا الحرف والصوت إما بالإجماع أو لاستحالة نزول المعنى القائم فتعين أن يكون الحرف والصوت هو كلام الله ضرورة^(٢).

ثم ردّ علي دوى الأشاعرة المجاز في الآيات والأخبار الدالة على كون كلام الله منزل وأنه لا تدل على نزول العبارة عن ذلك القديم، فعبارة القديم دلالاته منزلة والكلام القديم غير ذلك قائم بذات الله تعالى يستحيل نزوله.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ١٣٠، ١٣١.

(٢) رسالة فيما يعتقد السلف في الحروف والأصوات، مخطوط ص ١٥، ١٦.

قال الأرموي رحمته الله بعد أن حكى مذهبهم^(١) السابق: «على أنا تقول: الكلام على بطلان مذهبكم من عشرين وجها:

الأول: أن ما ذكرتم مخالف لبديهة العقل فيكون ترددا لأننا نشهد محال هذه الحروف قبل تسطيرها خالية عنها ثم بعد نشاهدها موجودة والقديم مستحيل أن لم يكن.

الثاني: هذه الحروف يلازمها التركيب وهو من لوازم الأجسام ولازم المحدث محدث.

الثالث: يلزم تتجيس القديم فيما إذا كتب بالحبر النجس وقول ذلك قبح في الإسلام^(٢).

إلا أن قال: وقولنا الذي نقوله في الرد عليهم أن مجموع ما ذكرنا من الآيات والأخبار والإجماع صريح في مدعانا ونص له عليه وفيه، ودعوى المجاز مردود إذ هو خلاف الأصل.

ثم كيف يظن بالصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب العربية وأهل اللغة تواطيهم على استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصى^(٣).

وفي إثبات الصوت قال رحمته الله: «فصل في إثبات الصوت لله تعالى بنطق الكتاب العزيز بذلك في مواضع منها في سورة القصص قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُورِي﴾^(٤)، وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورِي﴾^(٥)، وفي طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُورِي﴾^(٦)،

(١) أي الأشاعرة.

(٢) الرسالة ص ١٦.

(٣) الرسالة ص ٢٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٠.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨.

(٦) سورة طه، الآية: ١١.

والنداء لا يكون إلا بصوت عند جميع أهل اللغة»^(١).

وفي إثبات أن كلام الله مسموع قال: «فصل في أن كلام الله مسموع دليله آيات من الكتاب العزيز منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾^(٢)، و ﴿وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾^(٣).. وذكر مجموعة من الآيات ثم قال: فعلم بهذه الآيات أن كلام الله مسموع والمسموع ليس إلا هذه الحروف والأصوات فتكون هي كلام الله حقيقة»^(٤).

وفي ختام القسم الأول قال النووي: فهذا آخر ما أردنا ذكره من هذا المختصر من معتقد مصنفه مما ذكره في كتابه كتاب غاية المرام في مسألة الكلام للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي وهو الذي عليه الجمهور من السلف والخلف، وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي رحمته الله^(٥).

رابعا: العلو:

صفة العلو من أظهر الصفات التي جاءت بها النصوص مستفيضة متواترة من الكتاب والسنة، كما دلت عليها العقول والفطر السليمة، وقد أجمع على إثباتها سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وسطر أئمة السلف - في كتبهم وردودهم على الجهمية المعطلة - ما فيه بيان الحق من الضلال في هذا الباب.

وليس العجب في أن يوجد من ينكر هذه الصفة من الجهمية أو المعتزلة أن غيرهم ممن عرفوا بالزيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته وآياته، ولكن

(١) الرسالة ص ٢٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٤) الرسالة ص ٢٣.

(٥) الرسالة ص ٣٥.

العجب أن يقلدهم في ذلك جماعات من العلماء الفضلاء، الذين يعتبرون من أئمة الفقهاء والعلماء والقضاة، ولو كانت أدلة العلو دليلين أو ثلاثة أو خمسة أو لو كان القائل به عددا محدودا من علماء السلف لكان لهؤلاء بعض العذر في موقفهم مما قد يقال فيه: إن الأمر التبس عليهم.

أما أن تكون أدلة العلو بهذه الكثرة والوضوح والقطعية في الثبوت والدلالة وأن تتوافق الأدلة النقلية - التي زادت على ألف دليل - مع أدلة العقل والفطرة، ثم بعد ذلك يأتي إجماع السلف على إثباتها، ويوافقهم على ذلك أئمة أهل الكلام المتقدمين من الكلايين والأشعرية وغيرهم - فهذا ما لا يجد له المسلم المنصف أي تفسير أو تبرير إلا أن باعته التقليد والتعصب الأعمى لشيوخهم النفاة^(١).

والإمام النووي على مذهب الأشاعرة في إنكار صفة العلو بالذات ففي شرحه لحديث الجارية^(٢) قال: «هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيها مذهبان تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان:

أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثل شيء وتنزيهه عن سمات المخلوقات.

والثاني: تأويله بما يليق به فمن قال بهذا قال المراد امتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده وهو الذي إذا دعاه الداعي

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٢٨/٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ٢٣/٥ - ٢٤، عن معاوية السلمية في حديث طويل فيه: ((وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية فاطلمت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأنت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال اتنتي بها فأنتي بها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة))، وأبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة ٢٣٠/٢، عن معاوية به حكم السلمية نحوه، ورواه أحمد في مسنده ٤٤٧/٥، ٤٤٩ عن معاوية بن الحكم السلمية نحوه، والإمام مالك في الموطأ، كتاب العتاقة والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة عن عمر بن الحكم بمثل لفظ أبي داود، الموطأ مع شرحه تنوير الحوالك ٦-٥/٣.

استقبل السماء كما اذا صلى المصلي استقبل الكعبة وليس ذلك لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصرًا في جهة الكعبة بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين أو هي^(١) من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم فلما قالت في السماء علم أنها موحدة وليست عابدة للأوثان.

قال القاضي عياض لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾^(٢) ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول في السماء أي على السماء ومن قال من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد واستحالة الجهة في حقه سبحانه وتعالى تأولوها تأويلات بحسب مقتضاها وذكر نحو ما سبق.

قال: ويا ليت شعري ما الذي جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الإمساك عن الفكر في الذات كما أمروا وسكتوا لحيرة العقل واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شاك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقته ثم تسامح بعضهم بإثبات الجهة خاشيا من مثل هذا التسامح وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في المعقول غيره وهو

(١) يقصد الجارية.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٦.

قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١) عصمة لمن وفقه الله تعالى وهذا كلام القاضي رحمه الله تعالى»^(٢).

ونقل عن الغزالي في معنى التشابه قوله: «ويطلق على ما ورد في صفات الله تعالى مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويل»^(٣).
وكلام النووي المتقدم وما نقله عن القاضي عياض والغزالي يلاحظ عليه الملاحظات الآتية:

- ١ / تأويل حديث الجارية بأن المراد امتحانها هل هي موحدة أم لا؟
 - ٢ / دعوى الإجماع على أن ظواهر النصوص الواردة بذكر الله تعالى في السماء ليست على ظاهرها بل متأولة فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد واستحالة الجهة في حق سبحانه تأولها تأويلات بحسب مقتضاها.
 - ٣ / اعتقاد السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.
 - ٤ / جعل أدلة العلو من التشابه.
 - ٥ / نفي الجهة في حقه سبحانه وتعالى.
- والجواب عن ذلك بما يلي:

١ / لم يقدم النووي رحمته الله برهاناً أو دليلاً على تأويله لسؤال النبي ﷺ بأن مراده امتحانها هل هي موحدة أو هي من عبدة الأصنام؟ غاية ما اعتمد عليه كلام القاضي عياض في شرحه للحديث فقد قال في إكمال المعلم ما نصه: «قيل: إنما أراد النبي ﷺ أن يطلب دليلاً على أنها موحدة، فخاطبها بما يفهم قصده، إذ علامة الموحدين التوجه إلى الله إلى السماء عند الدعاء

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٤/٥، ٢٥، انظر: كلام القاضي في الإكمال ١/٢٠٣ ب.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢١٨/١٦.

وطلب الحوائج لان العرب التي تعبد الأصنام، وتطلب حوائجها من الأصنام، والعجم من النيران، فأراد ﷺ الكشف عن معتقدها هل هي ممن امن ؟ فأشارت إلى السماء، وهى الجهة المقصودة عند الموحدين كما ذكرنا. وقيل : إنما السؤال بأين هاهنا سؤال عما تعتقده من جلاله الباري سبحانه وعظمته.

وإشاراتها إلى السماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها، والسماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلين، كما لم يدل استقبال القبلة على أن الله تعالى فيها، كذلك لم يدل التوجه إلى السماء والإشارة إلى السماء على أن الله سبحانه فيها.

قال: لا خلاف بين المسلمين قاطبة - محدثهم وفقههم وامتكلمهم ومقلدهم ونظارهم - أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله : ﴿آمنت من في السماء﴾، أنها ليست على ظاهرها، وأنها متأولة عند جميعهم، أما من قال منهم بإثبات جهة فوق لله تعالى من غير تحديد ولا تكييف من دهماء المحدثين والفقهاء، وبعض المتكلمين منهم، فتأول في السماء بمعنى على، وأما دهماء النظائر والمتكلمين أصحاب الإثبات والتتزيه المحيلين، أن يختص بجهة أو يحيط به حد، فلم فيها تأويلات بحسب مقتضاها.

ثم قال: والمسألة بالجملة - وإن تساهل في الكلام فيها بعض الأشياخ المقتدى بهم من الطائفتين - فهي من معوصات مسائل التوحيد، وباليات شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحق على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكير في الذات كما امرؤا، وسكتوا لحيرة العقل هناك وسلموا، وأطبقوا على تحريم التكييف والتخييل والتشكيل، وأن ذلك من وقوفهم وحيرتهم - غير شك في الوجود أو جهل بالوجود، وغير قاده في التوحيد، بل هو حقيقة عندهم ثم يسامح بعضهم في فصل منه بالكلام في إثبات جهة

تخصه أو يثار إليه بحيز يحاذيه، وهل بين التكييف من فرق أو بين التحديد في الذات والجهات بون؟ لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده، وأنه استوى على عشره مع التمسك بالآية الجامعة للتزيه الكلي الذي لا يصح في معقول سواه من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، عصمة لمن وفقه الله وهداه^(٢) اه كلام القاضي.

فالنووي رحمته الله ناقل عن القاضي ومقلد له، والحجة إنما هو في أدلة الكتاب والسنة.

٢/ دل على علو الكتاب والسنة والفطرة والعقل:

أولاً: الأدلة النقلية: الأدلة الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً اختار منها ما يأتي:

١/ التصريح بالفوقية مقروناً بأداة "من" من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٣).

٢/ ذكرها مجرد عن الأداة كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٤).

٣/ التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٥).

٤/ التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٦).

٥/ التصريح يرفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) إكمال المعلم ١/ق ٢٠٢ ب.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨، ٦١.

(٥) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٦) سورة فاطر، الآية: ١٠.

إِلَيْهِ ﴿١﴾.

٦ / التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرًا وشرفًا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢﴾.

٧ / التصريح بلفظ: (الأيّن) كقوله أعلم به وأنصحهم لأمته وأفصحهم بيانًا عن المعنى الصحيح: ((أيّن الله)) ﴿٣﴾.

٨ / التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا والنزول ﴿٤﴾ المعقول عند جميع جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل.

ثانيا: ثبوته بالفطرة: إن الخلق بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.

ثالثا: ثبوته بالعقل: ومن وجوه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما: ساريا في الآخر قائما به كالصفات وإما أن يكون قائما بنفسه باثنا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والأول باطل.

أما أولا: فبالاتفاق: وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علو كبيرا.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢١٣.

(٤) سيأتي تخريجه في النزول إن شاء الله تعالى.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه والأول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة^(١).

٣ / تفسير السلف لقوله تعالى "في السماء" على السماء هو عين مقتضى اللفظ، ليس فيه إخراج للفظ زاهره، وهو من قوله ﷺ: ((أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))^(٢)، فكما هو مقرر في الأذهان ومشاهد في العيان أن الناس على الأرض، وهو المراد من قوله ﷺ: ((أرحموا من في الأرض))، فكذلك المراد من قوله: ((يرحمكم من في السماء))^(٣).

٤ / القول بأن السماء قبلة الدعاء الجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن هذا القول لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، ومن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو له قبلتين إحداهما الكعبة والأخرى السماء، فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٢٨١ - ٣٩٠، بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس ٣/٢١٧، عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: ((الراحمون في الأرض يرحمهم الرحمن أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعته الله))، وقال: هذا حديث صحيح، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/٢٨٥، عن عبد الله بن عمرو وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٦٣٠ رقم ٩٢٥.

(٣) انظر: الردود والتعقبات لمشهور بن حسن ١٦٦ - ١٦٧، وفي الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالسماء العلو، أي من في العلو، وهو وجه صحيح.

الصلاة والدعاء والذكر والذبح، ولذلك سميت وجهة، والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة لا مجازاً.

فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازاً ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهو عن ذلك.

ومعلوم أن التوجه بالقلب واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الض يدعو الله.

وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركزوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك بخلاف الداعي فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده^(١).

٥ / أما جعله أدلة العلو من المتشابه فقد تقدم بيان القول الراجح في المقصود بالمتشابه والرد على من أدخل الصفات في المتشابه^(٢).

٦ / أما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً والله تعالى لا يحصره شيء ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى الله عن ذلك، والله ليس في جهة بهذا الاعتبار، وإن أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فرق العالم فليس هناك إلا الله وحده.

فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح ومعناه: أنه فوق العالم

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٩٢ - ٣٩٣ باختصار يسير.

(٢) ص ١٠٧.

حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه^(١).

خامسا: النزول:

أول الإمام النووي صفة النزول كغيرها من الصفات الفعلية إما بنزول رحمته وأمره وملائكته أو بالإقبال على الداعين بالإجابة والالطف.

فقال رحمته في شرحه لحديث النزول^(٢): «هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره. والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة والالطف»^(٣).

وفي شرحه لقوله رحمته في فضل يوم عرفة: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقوم

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٦٦/١.

(٢) سيأتي تخريجه ص ٢٧٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٦/٦ - ٣٧.

ما أراد هؤلاء))^(١).

قال: قال القاضي عياض: قال المازري: معنى يدنو في هذا الحديث أي تدنو رحمته وكرامته لا دنو مسافة ومماسة، قال القاضي: يتأول فيه ما سبق في حديث النزول إلى السماء الدنيا.

قال القاضي: وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء بما ينزل معهم من الرحمة ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى^(٢).

أما التعليق على هذه التأويلات فيتضمن ما يلي:

١ / التحقيق في نسبة القول بتأويل النزول بنزول رحمة الله وملائكته للإمام مالك.

٢ / رد تأويل النزول بنزول الرحمة والأمر.

٣ / رد تأويل النزول بنزول الملائكة.

١ / التحقيق في نسبة القول بتأويل النزول بنزول رحمة الله وملائكته للإمام مالك.

قد روى القول بتأويل النزول عن الإمام مالك من طريقين:

الأول: من رواية حبيب بن أبي حبيب.

الثاني: من رواية مطرف بن عبد الله.

أما الرواية الأولى: فقال الذهبي في السير: قال ابن عدي: حدثنا محمد بن

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل يوم عرفة ١١٦/٩ - ١١٧، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من يوم أو أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟))، ورواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الدعاء بعرفة ١٠٠٣/٢، قال عائشة رضي الله عنها: ((إن رسول الله ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟)) والنسائي، كتاب الحج، باب ما ذكر في يوم عرفة ٢٥١/٥ - ٢٥٢، عن عائشة بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١١٧/٩، وانظر كلام القاضي في: إكمال المعلم ١ ق/٣٥٨ أ.

هارون بن حسان حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال: حسن والله، ولم أسمع من مالك^(١).

وأما الرواية الثانية فقال ابن عبد البر: وقد روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سواده بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا فقال مالك يتنزل أمره^(٢).

فأما الرواية الأولى: فهي من رواية حبيب بن أبي حبيب، وقد أجمع أهل العلم أنه كذاب، متروك الحديث، وأن أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره^(٣)، وهذا يكفي في رد هذه الرواية.

وقد ذكر ابن عبد البر رواية حبيب وضعفها بقوله: وقد قال قوم من أهل الأثر أيضا إنه ينزل أمره وتنزل رحمته وروى ذلك عن حبيب كاتب ملك وغيره وأنكره منهم آخرون وقالوا هذا ليس بشيء لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدا في الليل والنهار وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرا قال له كن فيكون في أي وقت شاء ويختص برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال^(٤).

وقال الذهبي عن رواية حبيب: لا أعرف صالحا، وحبيب مشهور،

(١) السير ١٠٥/٨.

(٢) التمهيد ١٤٣/٧.

(٣) حبيب بن أبي حبيب إبراهيم ويقال: مرزوق الحنفي أبو محمد المصري كاتب مالك قال عنه أبو داود: كان من أكذب الناس، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان يدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم، وقال أحاديثه كلها موضوعة، وقال لا يحتشم في وضع الحديث على الثقات، وقال: متروك، أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره، مات سنة ٢١٨ هـ. انظر: التهذيب ١٨١/١ - ١٨٢، التقريب ١٤٩/١.

(٤) التمهيد ١٤٣/٧.

والمحفوظ عن مالك رحمته الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: "أمرها كما جاءت بلا تفسير" فيكون للإمام في ذلك قولان إن صحت رواية حبيب^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك، رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل لا يقبل أحد منه نقله عن مالك»^(٢).

وأما الرواية الثانية: فرويت من طريق محمد بن علي الجبلي عن الجامع بن سودة ومحمد بن علي الجبلي قيل: إنه كان رافضيا شديدا الرفض^(٣). أما جامع بن سودة فضعيف^(٤).

وقال شيخ الإسلام عن هذه الرواية: ورويت من طريق أخرى ذكرها بان عبدالبر وفي إسنادها من لا نعرفه^(٥).

وقال ابن القيم عن هاتين الروايتين: وهذه الرواية لها إسنادان: أحدهما: من طريق حبيب كاتبه، وحبيب هذا غير حبيب، بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله. والإسناد الثاني: فيه مجهول لا يعرف حاله، فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية ومنهم من لم يثبتها، لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئا من

(١) السير ١٠٥/٨، وكيف تصح رواية حبيب وهو مشهور بالكذب؟

(٢) شرح حديث النزول، مجموع الفتاوى ٤٠٢/٥.

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجبلي الشاعر، مدح أبا العلاء المعري فجأوبه بأبيات قال الخطيب كان رافضيا شديدا الرفض وكان ضريرا مات سنة تسع وثلاثين وأربع مائة. انظر: اللسان ٢٠٣/٥، الميزان ٦٥٧/٣.

(٤) جامع بن سودة ذكره ابن حجر في لسان الميزان وقال: جامع ضعيف، انظر: اللسان ٩٣/٢.

(٥) شرح حديث النزول، مجموع الفتاوى ٤٠٢/٥.

ذلك^(١).

٢ / رد تأويل النزول بنزول الرحمة والأمر:

١ / يقال: هذه الرحمة إما أنت كون عينا قائمة بنفسها، وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها، فإن كان عينا وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يمكن أن تقول من يدعوني فأستجيب له؟ كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك. وإن كانت صفة من الصفات، فهي لا تقوم بنفسها، بل لا بد لها من محل. ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها. ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا، فأى منفعة لنا في ذلك؟ فنزول الرحمة التي هي الصفة مستلزم لنزول الذات ومجيئها قطعاً.

٢ / وإن قال: بل الرحمة ما ينزله على قلوب قوأم الليل في تلك الساعة، من حلاوة المناجاة والعبادة، وطيب الدعاء والمعرفة، وما يحصل في القلوب من مزيد المعرفة بالله والإيمان به وذكره وتجليه لقلوب أوليائه، فإن هذا أمر معروف يعرفه قوأم الليل.

قيل له: حصول هذا في القلوب حق، لكن هذا ينزل إلى الأرض إلى قلوب عباده لا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يصعد بعد نزوله، وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر، لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب، هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته - سبحانه وتعالى^(٢).

٣ / أنه قال: ((ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر))^(٣)، ومعلوم أنه لا يجب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤاله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك.

٤ / نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه، وحينئذ يقتضي أن يكون هو

(١) مختصر الصواعق ٢٩١، وانظر في هذه المسألة منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، سعود الدعجان ٢٥١ - ٢٥٥.

(٢) شرح حديث النزول، مجموع الفتاوى ٢٧٢/٥ - ٢٧٣ بتصرف واختصار.

(٣) سيأتي تخريجه ص ٢٢٧.

فوق العالم ، فنفس تأويله يبطل مذهبه ، ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين: ينزل أمره ورحمته ، فقال له المثبت: فممن ينزل؟ ما عندك فوق شيء ، فلا ينزل منه لا أمر ولا رحمة ولا غير ذلك^(١).

٥ / أن نزول رحمته وأمره لا يختص بالثلث الأخير ولا بوقت دون وقت ينزله أمره ورحمته فلا تنقطع رحمته ولا أمره عن العالم العلوي والسفلي طرفة عين^(٢).

٣ - رد تأويل النزول بنزول الملائكة: من وجوه:

١ / أن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض كما قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ وَعَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾^(٤).

٢ / أنه قال ما نصه: ((من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفري فأغفر له؟)) وهذه العبارة لا يجوز أ ، يقولها ملك عن الله. بل الذي يقول الملك: ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبُهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ))^(٥).

(١) شرح حديث النزول ، مجموع الفتاوى ٤١٦/٥ باختصار.

(٢) انظر: مختصر الصواعق ٣٩٠.

(٣) سورة النحل ، الآية: ٢.

(٤) سورة مريم ، الآية: ٦٤.

(٥) رواه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة الصحيح ١١٤/٩ ، عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ)) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدا أمر جبريل فأحبه وأحبه أهل السماء ١٨٣/١٦ - ١٨٤ ، عن أبي هريرة نحو مع زيادة ((وإذا أبغض عبدا دعا جبريل...)) ،

فالمك إذا نادى عن الله لا يتلكم بصيغة المخاطب بل يقول: إن الله أمر بكذا وقال: كذا، وهكذا إذا أمر السلطان مناديا ينادي فإنه يقول: يا معشر الناس أمر السلطان بكذا ونهى عن كذا ورسم كذا، لا يقول أمرت بكذا، ونهيت عن كذا، بل لو قال ذلك بودر إلى عقوبته.

وهذا تأويل من التأويلات القديمة للجهمية فإنهم تأولوا تكليم الله لموسى عليه السلام بأنه أمر ملكا فكلمه، فقال لهم أهل السنة: لو كلمة ملك لم يقل: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(١)، بل كان يقول كما قال المسيح عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٢).

فالملائكة رسل الله إلى الأنبياء تقول كما كان جبريل عليه السلام يقول لمحمد عليه السلام: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ وَمَا يَنْ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٣)، ويقول: إن الله يأمرك بكذا ويقول: كذا لا يمكن أن يقول ملك من الملائكة: ((إنني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني)) ولا يقول: ((من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))^(٤) ويقول: لا يسأل عن عبادي

والترمذي، كتاب التفسير، سورة مريم ٢١٧/٥ - ٢١٨، عن أبي هريرة نحو، وأحمد ٢٦٧/٢

عن أبي هريرة بنحوه.

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل ١٢٨/١١ - ١٢٩، عن أبي هريرة

عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: ((يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى

ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر

له))، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة

من آخر الليل ٣٦/٦، عن أبي هريرة عليه السلام: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء

الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن

يستغفرني فأغفر له)). وروى عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث أخرى بنفس الكتاب والباب بنحو

غيري^(١) (٢).

سادسا: الرؤية:

إن رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى هي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، وهذه المسألة هي من أشرف المسائل وأجلها وأعلاها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون، وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون^(٣).

وهي ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة، قال الإمام أبو سعيد الدارمي رحمته الله بعدما روى جملة من النصوص في إثبات الروية، قال: فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا.

ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ويؤمنون بها، لا يستكرونها ولا

هذا اللفظ ٣٦/٦ - ٣٩، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الرؤية ٢٣٤/٤، عن أبي هريرة مثله، والترمذي في أبواب الصلاة، باب في نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة ٢٧٧/١، عن أبي هريرة نحوه ومثله ١٨٨/٥، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ٤٣٥/١، عن أبي هريرة نحوه.

(١) رواه الإمام أحمد ١٦/٤، عن رفاعة الجهني في حديث طويل فيه: ((إذا مضى نصف الليل أو قال: ثلث الليل يتنزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عبادي أحدا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له، من ذا يدعوني استجيب له، من ذا يسألني أعطيه حتى ينفجر الصباح.

(٢) شرح حديث النزول، مجموع الفتاوى ٣٦٩/٥ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ باختصار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٤٨٥/٦، وحادي الأرواح ٢٢٦، عقيدة أهل السلف وأصحاب الحديث

ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة^(١).

والإمام النووي رحمه الله لم يتعرض لمسألة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة فحسب، بل ناقش في الرؤية المسائل الآتية:

١ / رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء.

٢ / رؤية الله تعالى في الدنيا هل هي جائزة وهل تقع لأحد من الخلق؟ ورؤيته في المنام.

٣ / رؤية الله غزل وجل في الموقف يوم القيامة.

٤ / رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

١ / رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء: يرى الإمام النووي رحمه الله أن النبي

ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء بعين رأسه، وقد نقل أقوال العلماء في هذه المسألة والخلاف فيها ثم رجح أنه ﷺ رآه ليلة الإسراء.

في شرحه لقول أبي هريرة: ((ولقد رآه نزلة أخرى قال: رأى جبريل)).

وقول ابن عباس: ((رآه بقلبه)).

وقوله أيضاً: ((ولقد رآه نزلة أخرى قال: بفؤاده مرتين))^(٢).

وقول عائشة رضي الله عنها لمسروق: يا أبا عائشة من تكلم بواحدة منهم فقد

أعظم على الله الفرية، قلت ما هن قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد

أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين

أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل "ولقد رآه بالأفق اليمين" ولقد رآه

نزلة أخرى" فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال إنما

(١) الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: "ولقد رآه نزلة أخرى" ٤/٣ - ٧.

هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ﴾ ، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ ، قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ (١).

قال: قال القاضي عياض رحمته الله: اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة رضي الله عنها كما وقع هنا في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمته الله وكان يحلق على ذلم وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز (٢).

وبعد ما ساق كلام القاضي بتمامه نقل كلامه صاحب التحرير، قال: وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤيته سبحانه وتعالى ٨/٣، ٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٣، وانظر كلام القاضي في: الإكمال ١/١ ق ٥٢ ب.

قال: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة، ولكننا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم)).

وعن عكرمة: سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال: نعم. وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه، وكان الحسن يحلق لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه.

والأصل في هذا الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في العضلات، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهما في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه، فأخبره أنه رآه.

ولا يقدر في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(١)، ولقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢).

والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد.

وقد قال معمر بن راشد^(٣) حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) هو: معمر بن راشد الأزدي الحداني مولا هم أبو عروة بن أبي عمرو البصري روى عن ثابت البناني والزهري وغيرهما وعنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما، كان من أطلب أهل زمانه للعلم، وقال ابن معين أثبت الناس في الزهري مالك ومعمر ثم عد جماعة كان ثقة ثبنا

عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس.

ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير.

قال النووي: فالحاصل أن الراجح عند أكثر أهل العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيرها مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسمع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه^(١).

ثم أجاب عن استدلال عائشة رضي الله عنها بقوله: ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تتف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستتباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة، وأما احتجاجها رضي الله عنها بقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ الآية: فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يرزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام.

الثاني: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة،

فاضلاً، مات سنة ١٥٤هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة، انظر: التهذيب ١/٢١٨ - ٢٢٠، التقريب ٢/٢٦٦.

(١) شرح صحيح مسلم ٥/٣ ولقد رجح النووي رحمته الله أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء في كتابه الفتاوى ٢٧، وبستان العارفين ٩٠.

وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملا ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا^(١).

وفي شرحه لقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى جبريل له ستمائة جناح^(٢).

قال: هذا الذي قاله عبدالله رضي الله عنه هو مذهبه في هذه الآية وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى ثم اختلف هؤلاء: فذهب جماعة إلى أنه رضي الله عنه رأى ربه بفؤاده دون عينيه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينيه^(٣).

وهذا الذي رجحه النووي رحمه الله في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء رأى مرجوح، فإن أهم ما ورد في هذه المسألة إنكار عائشة رضي الله عنها للرؤية ليلة الإسراء وإثبات ابن عباس رضي الله عنهما لها كما تقدم في صحيح مسلم، وقد جمع شيخ الإسلام بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد ولم يثبت عن ابن عباس قول صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

(١) شرح صحيح مسلم ٥/٣ - ٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدره المنتهى ٣/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/٣.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: ((نور أنى أراه))^(١).

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٢) ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يُرَى﴾^(٣)، ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(٤) ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٥)، قال: ((هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به))^(٦).

وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه،

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٤) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٦) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ٢٠٣/٧، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس"، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس))، قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم، ولم أقف عليه في صحيح مسلم، والترمذي في أبواب التفسير، باب سورة بني إسرائيل ٣٦٣/٤ - ٣٦٤.

وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه^(١).

٢ / رؤية الله تعالى في الدنيا هل هي جائزة، وهل تقع لأحد من الخلق؟ ورؤيته تعالى في المنام، يرى الإمام النووي رحمته الله جواز رؤية الله تعالى في الدنيا وحكى الخلاف في وقوعها في الدنيا فقال: «وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا^(٢) إنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا، وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما: وقوعها، والثاني: لا تقع^(٣)».

وفي شرحه لقوله رحمته الله: ((تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت))^(٤).

قال: قال القاضي: ومذهب أهل الحق أنها غير مستحيلة في الدنيا بل ممكنة ثم اختلفوا في وقوعها ومن منعه تمسك بهذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، على مذهب من تأوله في الدنيا^(٥).

وقد بين شيخ الإسلام رحمته الله أن هذه المسألة مما يقع فيه الغلط لكثير من

(١) مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ - ٥١٠.

(٢) في الموضوع نفسه قال في أول شرحه للباب: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، شرح صحيح مسلم ١٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥/٣، وانظر المصدر نفسه ٤/٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ٥٥/١٨ - ٥٦، عن بعض أصحاب رسول الله

ﷺ أنه قال يوم حذر الناس الدجال: ((إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله،

أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: تعلمون أنه لا يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت))، ورواه

الترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء في الدجال ٢٤٥/٣ عن ابن عمر نحوه.

(٥) شرح صحيح مسلم ٥٦/١٨، وانظر: كلام القاضي في الإكمال ٦/ق ١٢٠ أ.

الناس، قال ﷺ: «وهذا الموضع مما يقع الغلط فيه لكثير من السالكين، يشهدون أشياء بقلوبهم فيظنون أنها موجودة في الخارج هكذا، حتى إن فيهم خلقاً منهم من المتقدمين والمتأخرين يظنون أنهم يرون الله بعيونهم؛ لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة، يغيب بشهوده فيما حصل لقلوبهم، ويحصل لهم فناء واصطلام، فيظنون أن هذا هو أمر مشهود بعيونهم، ولا يكون ذلك إلا في القلب؛ ولهذا ظن كثير منهم أنه يرى الله بعينه في الدنيا.

وهذا مما وقع لجماعة من المتقدمين والمتأخرين، وهو غلط محض حتى أوردت مما يدعيه هؤلاء شكاً عند أهل النظر والكلام الذين يجوزون رؤية الله في الجملة، وليس لهم من المعرفة بالسنة ما يعرفون به؛ هل يقع في الدنيا أو لا يقع؟ فمنهم من يذكر في وقوعها في الدنيا قولين، ومنهم من يقول يجوز ذلك. وهذا كله ضلال؛ فإن أئمة السنة والجماعة متفقون من أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا ولم يتنازعا إلا في نبينا ﷺ خاصة.

ثم قال: وقد خطب عروة بن الزبير من عبد الله بن عمر ابنته، وهو في الطواف، فقال: أتحدثني في النساء، ونحن نترأى الله في طوافنا؟ فهذا كله وما أشبهه لم يريدوا به أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه؛ فإن هذا لا يمكن لأحد في الدنيا، ومن جوز ذلك إنما جوزة للنبي ﷺ؛ كقول ابن عباس: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، ولكن هذا التجلي يحصل بوسائط بحسب إيمان العبد ومعرفته وحبه؛ ولهذا تتنوع أحوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم لله تعالى في المنام، فيراه كل إنسان بحسب إيمانه، ويرى في صور متنوعة»^(١).

وقال في موضع آخر: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله

(١) مجموع الفتاوى ٤٨٩/٥ - ٤٩٠ - ٤٩٢.

بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعا إلا في النبي ﷺ، ثم قال: ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال، مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا والله أعلم^(١).

أما رؤية الله تعالى في المنام فيرى الإمام النووي ﷺ أنها جائزة، قال ﷺ: قال القاضي: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام لأن ذلك المرئي غير ذات الله تعالى إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال بخلاف رؤية النبي ﷺ.

قال ابن الباقلاني: رؤية الله تعالى في المنام خواطر في القلب، وهي دلالات للرائي على أمور مما كان أو يكون كسائر المرئيات والله أعلم^(٢).

وقد رآه النبي ﷺ في منامه في أحسن صورة كما في حديث اختصام الملأ الأعلى قال ﷺ: ((أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتْفَيْ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي - أَوْ قَالَ: نُحْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَّارَاتِ وَالذَّرَجَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ وَالذَّرَجَاتُ؟ قَالَ: الْمُكْتُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِبْلَغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرَكْ

(١) مجموع الفتاوى ٥١٢/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٥/١٥ - ٢٦، وانظر: الإكمال ٥/٢١٤ ق.

الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالِدَرَجَاتُ: بَدَلُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١).

قال الشيخ حمود التويجري رحمته الله: «وإذا علم أن رؤيا النبي ﷺ في المنام وحي وحق فليعلم أيضاً أنه يجب الإيمان بما أخبر به رسول الله ﷺ من رؤيته لربه تبارك وتعالى في المنام في أحسن صورة وأنه وضع كفه... إلى أن قال: وذكر البغوي في كتابه "شرح السنة" عن الإمام - وهو شيخه القاضي حسين بن محمد بن أحمد أبو علي المرورودي شيخ الشافعية في زمانه - أنه قال: رؤية الله في المنام جائزة، فإن رآه فوعد له جنة أو مغفرة أو نجاة من النار فقله حق ووعد صدق. وإن رآه ينظر إليه فهو رحمته، وإن رآه معرضاً عنه فهو تحذير من الذنوب لقله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ خَلْقٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾^(٢). وإن أعطاه شيئاً من متاع الدنيا فأخذه فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه يعظم بها أجره لا يزال يضطرب فيها حتى يؤديه إلى الرحمة وحسن العاقبة»^(٣).

٣/ رؤية الله عز وجل في الموقف يوم القيامة:

يرى الإمام النووي رحمته الله أن الرؤية في الموقف لا تكون إلا للمؤمنين أما الكفار فيرى أنهم لا يرونه، والمنافقون ذكر فيهم الخلاف ورجح أنهم لا يرونه. قال رحمته الله في شرحه لقله ﷺ: ((أما إنكم ستعرضون على ربكم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٦٨/١، عن ابن عباس باللفظ المثبت، ورواه أيضاً ٦٦/٤، عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم ذات غداة... نحوه، ورواه أيضاً ٢٤٣/٥ عن معاذ بن جبل نحوه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) كتاب الرؤيا للشيخ حمود التويجري ٣٩ - ٤٠.

فترونه كما ترون هذا القمر»^(١).

أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي والرؤية مختصة بالمؤمنين وأما الكفار فلا يرونه سبحانه وتعالى وقيل يراه منافقوا هذه الأمة وهذا ضعيف والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة أن المنافقين لا يرونه كما لا يراه باقي الكفار باتفاق العلماء^(٢).

وفي شرحه لحديث الرؤية الطويل في كتاب الإيمان، وقوله ﷺ: ((فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهر طبقة واحدة))^(٣).

قال: قال الخطابي رحمته الله: «وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله تعالى وإنما هذه للامتحان. ثم قال: ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين.

وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاها بن فورك لقوله ﷺ: ((وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى)) وهذا الذي قالوه باطل بل لا يراه المنافقون

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها ١٣٤/٥، عن جرير بن عبد الله، وروى الترمذي في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ٩٢/٤، عن جرير بن عبد الله: ((إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...)).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٤/٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ٢٥/٣ - ٢٨، عن أبي سعيد الخدري في حديث الرؤية الطويل، والبخاري في مواضع منها: كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق ٦٦٣/٨، عن أبي سعيد، وكتاب الوحيد، باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ٤٢١/١٣، والإمام أحمد ١٧/٣ عن أبي سعيد.

بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون لصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى وهذا لا يقتضى أن يراه جميعهم وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى والله أعلم^(١).

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فأما "مسألة رؤية الكفار" فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها - فيما بلغنا - بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون فاختلوا فيها على "ثلاثة أقوال" مع أنني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاحنوا ولا تهاجروا فيها؛ إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وهم أصحاب سنة. والأقوال الثلاثة في "رؤية الكفار":

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتج عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان - ثم يحتج عنهم ليعظم عذابهم ويشدد عقابهم^(٢).

فمن أثبت رؤية للكفار أو للمنافقين فينبغي أن يعلم أنها ليست رؤية نعيم كما يقع لأهل الجنة، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن تيمية في آخر كلامه.
٤ / رؤية المؤمنين لربهم في الجنة:

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨/٣ - ٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٨٦/٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨، وانظر: في الأقوال الثلاثة: حادي الأرواح ٣٢٩.

سبق وأن ذكرت أن رؤية المؤمنين لربهم في الجنة هي أعلى مراتب نعيمها، وغاية مطلوب المؤمنين، والإمام النووي رحمته الله على مذهب الأشاعرة في إثبات الرؤية بنص القرآن والسنة الصحيحة، فینعم المؤمنون برؤية ربهم تبارك وتعالى في الجنة لكن لا في جهة.

وحيث أثبت الإمام النووي رحمته الله رؤية المؤمنين لربهم، فلسنا بحاجة بعد نقل كلامه في ذلك إلى الرد على منكري الرؤية، بل الرد فقط على الأشاعرة الذين تناقضوا فأثبتوا الرؤية ونفوا الجهة لأنهم ينكرون العلو كما تقدم.

قال رحمته الله في باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم^(١).

الجواب عن هذا المذهب:

أجاب شيخ الإسلام عن هذا القول في رده على ابن فورك في قوله: إن الله يرى لا في جهة.

قال رحمته الله: قول هؤلاء: "إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة" قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة.

والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترد عليهم كقوله في الأحاديث الصحيحة: ((إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في

(١) شرح صحيح مسلم ١٥/٣ - ١٦.

رؤيته))^(١).

وقوله لما سأله الناس: ((هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل ترون الشمس صحوا ليس دونها سحب؟ قالوا: نعم. وهل ترون القمر صحوا ليس دونه سحب؟ قالوا نعم. قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر))^(٢).
 فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي فإن الكاف - حرف التشبيه - دخل على الرؤية. وفي لفظ للبخاري (يروونه عيانا).

ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانا مواجهة فيجب أن نراه كذلك. وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجهه فهذه غير متصورة في العقل فضلا عن أن تكون

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ٤١٩/١٣، عن جرير قال: ((كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا»))، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الرؤية ٢٣٣/٤ عن جرير بن عبد الله مثله، والترمذي في أبواب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ٩٢/٤، عن جرير بن عبد الله نحوه، وابن ماجه في المقدمة فيما أنكرت الجهمية ٦٣/١ عن جرير نحوه، وأحمد ٣٦٢/٤ عن جرير نحوه.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع منها، كتاب الأذان، باب فضل السجود ٢٩٣/٢، عن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب، قالوا لا، قال فإنكم ترونه كذلك... والحديث طويل، وفي كتاب التفسير، باب "إن الله لا يظلم مثقال ذرة" ٢٤٩/٨ عن أبي سعيد، وكتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم ٤٤٤/١١ عن أبي هريرة، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة..."، ٤١٩/١٣، عن أبي هريرة، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى ٢٥/٢ عن أبي سعيد بمثل رواية أبي سعيد عند البخاري في كتاب التفسير، وفي كتاب الزهد ١٠٣/١٨ عن أبي هريرة، وأبو داود، كتاب السنة، باب في الرؤية ٢٣٣/٤ عن أبي هريرة، والترمذي في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ٩٥/٤، عن أبي هريرة، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٣/١، عن أبي هريرة، والإمام أحمد ١٦/٣، عن أبي سعيد، كلهم ألفاظهم: هل تضارون، لا تضارون، هل تمارون، تضامون.

كرؤية الشمس والقمر^(١).

أما شارح الطحاوية فقال بعد ذكر حديث الرؤية: وليس تشبيهه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ومن قال يرى لا في جهة فليراجع عقله فاما أن يكون مكابرا لعقله وفي عقله شيء وإلا فاذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية وقالوا كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة^(٢).

ومن الأجوبة أيضا:

١ / أنه ﷺ أخبر أنهم ((لا يضارون في رؤيته))، وفي حديث آخر ((لا يضامون)) ونفي الضير والضميم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم إنما يسمونه رؤية وهو رؤية ما ليس بجهة من الرائي لا فوقه ولا شيء من جهاته لا يتصور منها ضير ولا ضميم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجهه الرائي ويكون فوقه فإنه قد يلحقه فيهم ضميم وضير، إما بالازدحام أو كلال البصر لخفائه كالللال وإما لجلائه كالشمس والقمر^(٣).

٢ / أن أئمة هؤلاء المتأخرين كالأشعري وغيرهم ممن يثبت الرؤية والاحتجاب والعلو وأن الله فوق العرش^(٤).

٣ / أن الأشاعرة - مع كونهم أقرب إلى الحق من المعتزلة، لأنهم أقرؤا

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٨٤ - ٨٥، وانظر: نقض التأسيس - مطبوع - ٤٠٩/٢ - ٤١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) نقض التأسيس - مطبوع - ٤١١/٢.

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/١٣٧٧، وانظر: نقض التأسيس - مطبوع - ٤٢٠/٢ - ٤٢١.

بالرؤية وإن كانوا قد نضوا العلو - بخلاف المعتزلة الذين نضوا الأمرين - إلا أنهم متناقضون، لأن إثباتهم للرؤية يقتضي إثباتهم للعلو، كما أن نفيهم يقتضي نفيهم للرؤية أيضا، فيلزمهم أحد أمرين: إما نفي الرؤية أو اللحاق بأهل السنة في إثباتهما وأحد الأمرين لازم لهم^(١).

٤ / أن بعض محققي الأشاعرة كالرازي - والغزال في بعض أقواله - رأوا أن الإلزام السابق لازم لهم، ومن ثم صرحوا بأن المقصود بالرؤية - التي أثبتوها - زيادة انكشاف بخلق مزيد من الإدراك لهم، أي أنهم فسروها بنوع من العلم، ومن ثم أقروا بأن الخلاف بينهم وبين المعتزلة لفظي أو قريب من اللفظي^(٢).

ولا شك أن هذا اعتراف منهم بفشلهم في الجمع بين نفي العلو والزعيم بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه، وبين إثبات الرؤية^(٣).

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣٧٧.

(٢) انظر: نقض التأسيس - مطبوع - ١/٣٦٠، ٢/٣٩٦، ومجموع الفتاوى ٦/٣٢، ٤١، ٨٥/١٦، ١٢/١٧٥.

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣٧٨.

الفصل الثاني

منهجه في بيان توحيد الألوهية وما يضاده

المبحث الأول

بيان توحيد الألوهية

المطلب الأول: منزلة أهل التوحيد من الدين:

توحيد الألوهية: هو توحيد العبادة المبني على إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل، والرغبة والرغبة، والدعاء لله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما^(١).

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار^(٢).

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾^(٣)، فهذا أول أمر في القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٦.

(٢) المصادر السابق ٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿١﴾^(١)، فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك.

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢).

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٣).

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤).

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ﴾^(٦).

وكما أن هذا النوع من التوحيد هو الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل

وأنزل الكتاب فهو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، قال

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٧).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٧.

المطلب الثاني: معنى لا إله إلا الله:

معنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢).

فمعنى لا إله إلا الله هو عبادة الله وترك ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له (٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) (٤).

قال ابن تيمية رحمته الله: «الإله هو الذي تأله القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاء وإجلالاً وإكراماً. والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله» (٥).

ويجتمع أهل العلم على أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله يتبين خطأ عباد القبور وأشباههم وكثير من المتكلمين الذين قالوا: إن معنى لا إله إلا الله، لا قادر على الاختراع إلا الله.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٧٢.

(٤) تفسير الطبري ٤١/١.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٦٥/١.

كذلك يتبين خطأ النحاة الذي قالوا: إن التقدير في لا إله إلا الله: لا إله في الوجود إلا الله.

١/ بيان خطأ عباد القبور وكثير من المتكلمين الذين قالوا إن معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلا الله:

بعد ما نقل الشيخ سليمان بن عبد الله^(١) رحمته الله بعض أقوال أهل العلم في معنى الإله: ولا إله إلا الله، قال: «وهو إجماع منهم إن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقد عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات، وسؤالهم قضاء الحاجات، والنذر لهم في الملمات، وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويعبدونه بأنواع من العبادات».

فليهن أبو جهل وأبو لهب ومن تبعهما بحكم عباد القبور، وليهن أيضا إخوانهم عباد ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر^(٢)، إذ جعل هؤلاء دينهم هو الإسلام المبرور.

(١) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من آل الشيخ فقيه من أهل نجد، من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية عام ١٢٠٠هـ، كان بارعا في الحديث والتفسير والفقه، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا الذي كان مستوليا على الدرعية فأحضره إبراهيم وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاطة ثم أخرجته إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا، فمزقوا جسمه عام ١٢٢٣، انظر: الأعلام ١٢٩/٣، ط/٧، دار العلم للملايين، وهدية العارفين ٤٠٨/١.

(٢) هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن يعملوا أنصابا ويسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت، انظر: البداية والنهاية ١٠٥/١.

ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجاهل، لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابته، ويلبون دعوته، إذ يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله، بمعنى: أنه لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١)، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾^(٣).

لكن القوم أهل اللسان العربي، فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس، وتكذب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الإلهية لغيره لأم الرأس فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٤)، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥)، ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾^(٦).

فتبا لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بلا إله إلا الله^(٧).

٢ / بيان خطأ النحاة الذين قالوا: إن تقدير لا إله إلا الله من ناحية الإعراب: لا إله في الوجود إلا الله:

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية: «...»

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٦) سورة ص، الآية: ٥.

(٧) تيسير العزيز الحميد ٧٦ - ٧٧.

ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبدالله المرسي^(١) من تقدير الخبر بكلمة في الوجود لا يحصل به المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه، وبطلان ما سواها لأن لقائل أن يقول: كيف تقولون "لا إله إلا الله؟" وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلُّوا عَلَيْهِمْ وَذَكَرَ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض وبيان عظمة هذه الكلمة، وأنها كلمة التوحيد المبطللة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله، إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة، وهو كلمة "حق" لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة، وتبين أن الإله الحق، والمعبود الحق هو الله وحده، كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم، منهم أبو العباس ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون رحمهم الله

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾^(٤)، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من

(١) هو: الإمام شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي ولد بمرسية، من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم (التفسير، الحديث، النحو، الفقه)، مات سنة خمس وخمسين وستمائة. سير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٢ وما بعدها، شذرات الذهب ٥/٢٦٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٢.

البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بعد ذلك أنه المعبود الحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة، وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم، لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق من غير الله سبحانه؛ ولهذا قالوا جوابا لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾^(١)، وقالوا أيضا: ﴿أَيُّنَا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾^(٢)، وما في معنى ذلك من الآيات.

وبهذا التقرير يزول جميع الإشكال، ويتضح الحق المطلوب والله ولي التوفيق^(٣)، ولم أقف للإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى كَلَامٍ حَوْلَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

(١) سورة ص، الآية: ٦.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٣٦.

(٣) حاشية شرح العقيدة الطحاوية ٧٤/١.

المطلب الثالث: أنواع العبادة:

العبادة: أصل معناها: الذل. يقال " طريق معبد إذا كان مذلا قد وطئته الأقدام"^(١).

قال شيخ الإسلام: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.^(٢)

فإخلاص الدين لله، والصبر، والرضا، والتوكل على الله، والإنابة إليه، وخوفه ورجاؤه، وشكره على نعمه، والذبح له، والنذر له، ودعاؤه من عبادته سبحانه وتعالى.

كذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والذكر من عبادته سبحانه.

وذلك أن العبادة لله هي الغية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤)، وكذلك قال هود عليه السلام وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(٦).

(١) انظر: لسان العرب ٣/ ٢٧١، والعبودية ٢٦.

(٢) العبودية، ابن تيمية ١٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٥) كما في سورة الأعراف، الآية: ٥٠ - ٨٤.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٤).

وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٥).

وبذلك وصف ملائكته وأنبيائه فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (٦) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٧).

تعريف النووي ﷺ للعبادة:

عرّف النووي ﷺ العبادة بأنها: الطاعة مع خضوع، فقال ﷺ: العبادة

هي الطاعة مع خضوع^(٧).

وقال في موضع آخر: اختلف العلماء في حد العبادة، فقال الأكثرون:

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥١ - ٥٢.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٩ - ٢٠.

(٦) العبودية ١٨ - ١٩ - ٢٠.

(٧) شرح صحيح مسلم ١/١٦٢، وانظر: صحيح البخاري ٢٤٤.

العبادة: الطاعة لله تعالى، والطاعة موافقة الأمر^(١).

وهذا التعريف وإن كان تعريفاً مجملاً إلا أنه جامع لكل ما تشمله العبادة من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، حيث إن كل ما أمر الله به فهو يحبه، فموافقة كل أمر الله به من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة هو مقتضى محبة الله تعالى، وما يحبه الله أمر به، وبهذا يتفق تعريف النووي مع ما عرفه به بعض الأئمة - كما سبق-

ويعد تعريف العبادة نعرض لبعض أنواعها وكلام النووي حولها:

١/ التوكل: من أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل فهو من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين كما سيأتي في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب. ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه.

قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

وقال: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٥).

(١) المجموع ٣١٢/١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٤.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١١، المجادلة ١٠.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٩.

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ

عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ (١) (٣).

التوكل في اللغة: قال الفيروزآبادي: وكل بالله يكل، وتوكل على الله وأوكل واتكل استسلم إليه، وكل إليه الأمر وكلا ووكولا سلمه وتركه (٣).

يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألقته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه (٤).

والتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره (٥).

حقيقة التوكل:

هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها (٦).

وقد تكلم الإمام النووي رحمته الله في مسألتين مهمتين من مسائل التوكل: المسألة الأولى: حقيقة التوكل.

المسألة الثانية: الأخذ بالأسباب ليس بقادح في التوكل.

المسألة الأولى: حقيقة التوكل:

قال رحمته الله في شرحه لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٤٦٦، ومعارج القبول ٤٤٥/٢ - ٤٤٦.

(٣) القاموس المحيط ١٣٨١، وانظر: اللسان ٧٣٤/١١.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢٢١/٥.

(٥) اللسان ٧٣٤/١١.

(٦) جامع العلوم والحكم ٣٨٠، وانظر: زاد المعاد ١٥/٤، الروح ٣٧٧ - ٣٧٨، معارج القبول

٤٤٥/٢ - ٤٤٦.

حساب^(١).

قوله عليه السلام: ((وعلى ربهم يتوكلون)) اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف في حقيقة التوكل، فحكى الإمام أبو جعفر الطبري وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا: لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى من سبع أو عدو حتى ترك السعي في طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى له رزقه، واحتجوا بما جاء في ذلك من الآثار.

وقالت طائفة: حده الثقة بالله تعالى والإيقان بأن قضاءه نافذ، واتباع سنة نبيه عليه السلام في السعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب، والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

قال القاضي عياض: وهذا المذهب هو اختيار الطبري وعامة الفقهاء والأول من مذهب بعض المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات وذهب المحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور، ولكن لا يصح عندهم اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا، والكل من الله تعالى وحده هذا كلام

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ١٦٢/١٠ - ١٦٤، بلفظ مطول من حديث ابن عباس، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول الطوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ٨٩/٢، من حديث عمران بن حصين، قال قال نبي الله عليه السلام: ((دخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب))، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»، قال: فقام رجل، فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»))، ورواه الترمذي في كتاب القيامة، باب ١٦، ٥٤٤/٤ بنحوه من حديث ابن عباس وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد عليه السلام ١٤٢٣/٢، بلفظ مختصر نحوه من حديث أبي أمامة، والإمام أحمد ٢٧١/١ بنحوه من حديث عبدالله بن عباس.

القاضي عياض^(١).

ثم نقل عن أبي القاسم القشيري قوله: إن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره. وعن سهل بن عبد الله التستري^(٢) قوله: التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد.

وعن عثمان الجيري قوله: التوكل: الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه، وقيل: التوكل أن يستوي الإكثار والتقليل^(٣).

المسألة الثانية: الأخذ بالأسباب ليس بقادح في التوكل:

تعرض النووي لهذه المسألة من خلال الكلام عن الادخار، والتحصن في الحروب، وربط البراق بالحلقة في حديث الإسراء والتداوي.

قال ﷺ في شرحه لحديث الفبي من أموال بني النضير^(٤): في هذا الحديث جواز ادخار قوت سنة وجواز الادخار للعيال وأن هذا لا يقدر في

(١) انظر: الإكمال ١/ق ٦٢ ب.

(٢) سهل بن عبد الله التستري أبو محمد الصوفي الزاهد، صحب خاله محمد بن سوار ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة روي عنه أنه يقول لأصحاب الحديث اجهدوا أو لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر، وسئل إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين، انظر: السير ٣٣٠/١٣، الشذرات ١/١٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣/٩١ - ٩٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ما أفاء الله على رسوله ٤٩٨/٨، بنحو لفظ مسلم، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب حكم الفبي ٦٩/١٢ - ٧٠، من حديث عمر قال: ((كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجب عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، عدة في سبيل الله))، ورواه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفبي، باب ما جاء في الفبي ١٨٨/٤، والنسائي كتاب قسم الفبي ١٤٩/٧ - ١٥٠، والإمام أحمد ٢٥/١، كلهم رووه عن عمر بألفاظ متقاربة.

التوكل^(١).

وفي شرحه لحديث ثوبان^(٢)، قال ﷺ: فيه تصريح بجواز ادخار لحم الأضحية فوق ثلاث وجواز التزود منه، وفيه أن الادخار والتزود في الأسفار لا يقدح في التوكل ولا يخرج صاحبه عن التوكل^(٣).

وفي شرحه لحديث جرح النبي ﷺ يوم أحد^(٤) قال: فيه استحباب لبس البيضة والدروع وغيرها من أسباب التحصين في الحرب وأنه ليس بقادح في التوكل^(٥).

وفي شرحه لحديث الإسراء^(٦) قال: في ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على

(١) شرح صحيح مسلم ٧٠/١٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء ١٣/١٣٢، عن ثوبان قال: ((ذبح رسول الله ﷺ ضحيته ثم قال: يا ثوبان أصلح لحم هذه فلم أزل أطمعه منها حتى قدم المدينة))، ورواه أبو داود، كتاب الأضاحي، باب في المسافر يضحي ٣/٣٤٣، والإمام أحمد ٥/٢٧٧ ٢٧٨، وجميعهم رووه من حديث ثوبان بألفاظ متقاربة جدا.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣/١٣٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ٧/٤٣٠، من حديث سهل بن سعد، ومسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ١٢/١٤٨ عن سهل بن سعد قال: ((جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم))، ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ٤ تفسير آل عمران ٥/٢١١، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء ٢/١٣٣٦، والإمام أحمد ٣/٩٩، كلهم عن أنس دون ذكر سكب الماء بالمجن والمعالجة.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢/١٤٨.

(٦) حديث الإسراء الحديث الطويل أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ١/٥٤٧ - ٥٤٨، بلفظ مطول لم يرد منه ربط البراق عن أنس، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ٢/٢٠٩ - ٢١٥، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((تيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه))، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال "ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل))، ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ١٨ سورة بني إسرائيل ٥/٢٨١، بنحوه من حديث بريدة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، ومسنده أحمد ٣/١٤٨ - ١٤٩ بنحوه.

اللَّهُ تعالى^(١).

وقال في شرحه لحديث السبعين ألفاً^(٢): قال الداودي^(٣): المراد بالحديث الذي يفعلونه في الصحة فإنه يكره لمن ليست به علة أ، يتخذ التمام، ويستعمل الرقي.

وأما من يستعمل ذلك ممن به مرض فهو جائز، وذهب بعضهم إلى تخصيص الرقي والكي من بين أنواع الطب لمعنى، وأن الطب غير قادح في التوكل إذ تطيب رسول الله ﷺ والفضلاء من السلف وكل سبب مقطوع به كالأكل والشرب للغذاء والري لا يقدر في التوكل عند المتكلمين في هذا الباب، ولهذا لم ينبذ عنهم التطيب ولهذا لم يجعلوا الاكتساب للقوت وعلى العيال قادحا في التوكل إذا لم يكن ثقته في رزقه باكتسابه، وكان مفوضا في ذلك كله إلى الله تعالى^(٤).

وقوله عن التمام: وأما من يستعمل ذلك ممن به مرض فهو جائز، فاعله أراد التمام من القرآن، وسيأتي عند الكلام على الشرك الأصغر في الأفعال بيان رأي النووي وبيان الراجح في ذلك.

٢ / حسن الظن:

معنى حسن الظن: الظن معروف وقد يأتي بمعنى العلم واليقين، قال الله

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٢١١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٥٩.

(٣) الداودي هو الإمام العلامة أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن أحمد بن معاذ الداودي البوشنجي سمع الصحيح ومسنده عبد بن حميد وتفسيره ومسنده الدارمي من أبي محمد بن حمويه السرخسي ببوشنج، وكان من الأئمة الكبار ثقة عابدا محققا، درس أفتى وصنف ووعظ، توفي ببوشنج في شوال سنة سبع وستين وأربع مائة. السير ١٨/٢٢٢، شذرات الذهب ٣/٣٢٧.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/٩٠ - ٩١.

عز وجل: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً﴾^(١)، أي علمت وتيقنت^(٢).

ويأتي واسطة بين الشك والعلم، أي بمعنى الشك كقوله تعالى عن الكفار ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣)، والقرائن تبين ذلك وتحده. والإمام النووي رحمه الله قد ذكر معنى حسن الظن بالله تعالى خلال شرحه لقوله عليه السلام: ((أنا عند ظن عبدي بي))^(٤).

فقال: قال القاضي: قيل: معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح^(٥).

وهذا شرح واضح لمعنى حسن الظن، وإن كان قد ذكر بعض أهل العلم معاني أخرى غير هذا كما قال ابن حجر رحمه الله: «أنا عند ظن عبدي بي، أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به»^(٦).

وهذا القول خلال ظاهر الحديث، فإن الله تعالى يفعل بعبده ما ظنه العبد أنه يفعله به من خير أو شر^(٧).

وحسن الظن يكون مع حسن العمل، وقد تشعر الإضافة في قوله ((عبدي)) بحسن العمل أي أنه عبداً لله وليس للشيطان أو للدنيا أو غيرها^(٨).

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٠.

(٢) انظر: الصحاح ٢١٦٠/٦، تهذيب اللغة ٣٦٢/١٤، وتفسير البحر المحي لأبي حيان ٣٢٥/٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٩.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٩٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢/١٧، وانظر كلام القاضي في: الإكمال ٦/٦ ق ٦٩، والترجيح من النووي.

(٦) الفتح ٣٩٧/١٣.

(٧) انظر: الجواب الكافي ٤٦.

(٨) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله الغنيمان ١/٢٦١.

أما ترجيح النووي أن معنى حسن الظن الرجاء^(١) وتأميل العفو فهذا والله أعلم باعتبار أصله فإن حسن الظن بالله يوصل إلى الرجاء، والإيمان برحمة الله وجوده وكرمه وإحسانه وعلمه وحسن اختياره يثمر حسن الظن فيرجو الإنسان ما عند الله من الخير.

وفي شرحه لقول ابن عمر لأبيه رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: ((يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا...))^(٢).

قال: فيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى وذكر آيات الرجاء وأحاديث العفو عنده وتبشيره بما أعدّها الله تعالى للمسلمين وذكر حسن أعماله عند ليحسن ظنه بالله تعالى، ويموت عليه وهذا الأدب مستحب بالاتفاق.

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله))^(٣). قال: قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة،

(١) وقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه النووي الإمام ابن القيم رحمهما الله فقال: حسن الظن هو الرجاء، الجواب الكافي ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة ١٣٦/٢ ١٣٩، عن عبد الرحمن بن شماس المهددي قال: ((حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...))، ورواه الإمام أحمد ١٩٩/٤، بنحوه كلاهما عن ابن شماس.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ٢٠٩/١٧، من حديث جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله بالظن))، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت عن جابر بن عبد الله نحو ١٨٩/٣، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب في التوكل واليقين عن جابر بنحوه ١٣٩٥/٢، والإمام أحمد في مواضع منها ٢٩٣/٣، ٣١٥، ٣٢٥، عن جابر بنحوه.

وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي))^(١). قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه. قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء. وقيل: يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمرات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له^(٢).

٣/ الرجاء:

الرجاء لغة: التوقع والأمل، والأمل: نقيض اليأس وهو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة^(٣).

الرجاء الشرعي: هو الطمع في رحمة الله ومغفرته^(٤).

وهو كما تقدم ضد اليأس، والرجاء الحقيقي المحمود لا يكون إلا مع الإتيان بالأسباب وإلا فهو غرور وأماني.

قال ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين الرجاء والتمني أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه»^(٥).

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٠٩/١٧ - ٢١٠.

(٣) انظر: اللسان ٣٠٩/١٤، مفردات الراغب ١٩٠، تهذيب اللغة ١١/١٨١.

(٤) طريق الهجرتين ٥٦٢.

(٥) الروح ٣٦٤.

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴿١﴾، جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات (٢).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣).

فبين الله تعالى في هذه الآية أن علامة الرجاء العمل الصالح وإخلاص العبادة له.

فضل الرجاء:

الرجاء أحد مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه، وهذه المقامات وهي (الحب والخوف والرجاء) عليها مدار السير إلى الله، وقد مدح الله تعالى أهله وأتسى عليهم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٤).

وقد أخبر الله تعالى عن خواص عباده - الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى - أنهم كانوا راجين له خائفين منه فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥).

يقول الله تعالى: هؤلاء الذين تدعون من دوني هم عبادي، يتقربون إلي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٢) الجواب الكافي ٧٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

بطاعتي - يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تدعونهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء^(١).

٤ / الخوف لغة: الفرع والوجل وهو توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة^(٢).

أما الخوف الشرعي: فهو خوف وعيد الله وعقابه الذي توعد به من عصاه وخالف أمره^(٣).

فضل الخوف من الله:

فرض الله عز وجل الخوف على كل أحد فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى ﴿وَإِلَىٰ فَا رَهْبُونِ﴾^(٥)، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾^(٦).

ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّسْفِقُونَ﴾^(٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِعَايَةِ رَبِّهِمْ يَوْمَنُونَ .. أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(٨).

وقد تكلم النووي رحمه الله عن الخوف أثناء شرحه لحديث الرجل الذي أسرف على نفسه وحديث المرأة التي دخلت النار في هرة وأشار إلى ضرورة

(١) المدارج ٣٦/٢ - ٤٢ - ٤٣، بتصريف يسير واختصار

(٢) انظر: اللسان ٩٩/٩، تهذيب اللغة ٧/٥٩٢ - ٥٩٣، مفردات الراغب ١٦١.

(٣) انظر: رسالة الخوف والرجاء في الكتاب والسنة لعبدالرحمن الشمسان ١٠، الجامعة الإسلامية ١٤١١هـ.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

الجمع بين الخوف والرجاء كما في كتاب الله تعالى لئلا يقنط الناس أو يتكلموا.

كما أشاروا إلى ضرورة غلبة التخويف للعلماء والوعاظ لتحريك النفوس إلى الطاعة ولأنها بطبيعتها تميل إلى الراحة والدعة والاتكال على عفو الله. ففي شرحه لحديث الرجل الذي أسرف على نفسه^(١) وحديث المرأة التي دخلت النار في هرة^(٢).

وقوله في آخر الرواية قال الزهري ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل. قال رحمته الله: «إن بن شهاب ذكر هذا الحديث ثم ذكر حديث المرأة التي

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب يريدون أن يبدلوا كلام الله عن أبي هريرة بنحو ٤٦٦/١٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه ٧١/١٧ - ٧٢، عن معمر قال: قال لي الزهري: ألا أحدثك بحديثين عجيبين؟ قال الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه به أحدا، قال ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك، يا رب - أو قال مخافتك - فغضر له بذلك" قال الزهري: وحديثي حميد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا» قال الزهري: ذلك، لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل))، رواه النسائي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين عن أبي هريرة بنحو ١١٣/١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة عن أبي هريرة بنحو ١٤٢١/٢، والإمام أحمد في مواضع منها ٦٩/٢، ٧٧، عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

(٢) حديث المرأة التي دخلت النار في هرة رواه أيضا غير مسلم، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكن فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء عن ابن عمر بنحوه ٢٥٦/٦، والنسائي كتاب الكسوف/ باب نوع آخر من صلاة الكسوف عن عبد الله بن عمر بنحوه ١٢٩/٢، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ١٤٢١/٢، عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد في مواضع منها ٣١٨/٢ عن جابر بنحوه ٢٧٤/٢ هم جابر بنحوه.

دخلت النار وعذبت بسبب هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ثم قال بن شهاب لئلا يتكل رجل ولا يبيأس رجل معناه أن بن شهاب لما ذكر الحديث الأول خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة الرحمة وعظم الرجاء فضم إليه حديث الهرة الذي فيه من التخويف ضد ذلك ليجتمع الخوف والرجاء وهذا معنى قوله لئلا يتكل ولا يبيأس وهكذا معظم آيات القرآن العزيز يجتمع فيها الخوف والرجاء وكذا قال العلماء يستحب للواعظ أن يجمع في موعظته بين الخوف والرجاء لئلا يقنط أحد ولا يتكل قالوا وليكن التخويف أكثر لأن النفوس إليه أحوج لميلها إلى الرجاء والراحة والاتكال وإهمال بعض الأعمال^(١).

٤ / الدعاء: من أنواع العبادة التي يجب أن لا تصرف إلا لله وحده سبحانه وتعالى الدعاء، فإنه من أجل العبادات وأكرمها على الله تبارك وتعالى، وإن لم يكن الإشراك فيه شركاً، فليس في الأرض شرك، فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة.

بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله، ولهذا يخلصون في الشدائد لله وينسون ما يشركون.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ فَأِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾^(٢)، وقال: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي

الْفَلَكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾^(٣) (٤).

(١) شرح صحيح مسلم ٧٢/١٧ - ٧٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ٢١٩.

ولما كان هذا شأن الدعاء فقد حث الله تعالى عليه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢) وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَقَطْمًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَ سَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤).

فلا يلتفت بعد هذا لقول طائفة من المتصوفة زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء!!

وهذا غلط فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بفضون اللغات يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية إما أن تقتضيه أولاً ثم قسم ثالثاً وهو أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه. وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب ولا توجبه مع عدمها، فإذا قدر وقوع المدعو به الدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفطرة^(١).

في شرحه لحديث استعاذته ﷺ من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل.....^(٢).

قال: «في هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى في الأمصار وزهبت طائفة من الزهاد وأهل المعارف إلى أن ترك الدعاء أفضل استسلاما للقضاء وقال آخرون منهم أن دعا للمسلمين فحسن وإن دعا لنفسه فالأولى تركه وقال آخرون منهم أن وجد في نفسه باعث للدعاء استحبه وإلا فلا ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة في الأمر بالدعاء وفعله والأخبار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»^(٣).

وفي شرحه لحديث دعاء النبي ﷺ تحويل حمى^(٤) المدينة إلى الدجة رد

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦٧٨/٢ - ٦٧٩ باختصار يسير.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب الجهاد، باب ما يتعوذ من الجبن ٣٦/٦، عن أنس بن مالك بنحوه رواية مسلم، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعوات من التعوذ ٢٩/١٧ عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات))، رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب الاستعاذة ٩٠/٢، عن أنس بن مالك بنحوه، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد ١٨٣/٥ عن أنس نحوه، والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهرم عن أنس بنحوه ٢٥٨/٨، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ عن عمر بنحوه ١٢٦٣/٢، والإمام أحمد في مواضع منها ١١٣/٣، عن أنس بنحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ بالبركة ١٥٠/٩، عن عائشة قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: ((اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت مكة وأشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها إلى الجحفة)).

على المتصوفة الذين يعتقدون أن الدعاء قدح في التوكل، والمعتزلة الذين يقولون إنه لا فائدة في الدعاء.

فقال رحمته الله: «قال القاضي: وهذا خلاف قول بعض المتصوفة أن الدعاء قدح في التوكل والرضا وأنه ينبغي تركه وخلال قول المعتزلة أنه لا فائدة في الدعاء مع سبق القدر، ومذهب العلماء كافة أن الدعاء عبادة مستقلة ولا يستجاب منه إلا ما سبق به القدر، والله أعلم»^(١).

٥ / الذبح لله: الذبح في الشرع هو النسك وهو ذبح القربان لله تعالى من الهدي والأضحية والعقيقة ونحو ذلك^(٢).

فضل هذه القرية: قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمته الله: «لا ريب أن التقرب إلى الله تعالى بالنسك من أفضل القربات وأعظم الطاعات، ومن أشرف الحسنات وأفضل النفقات التي يعظم ثوابها للمسلم إذا حسن قصده في ذلك وتجرد من الشوائب والأسباب التي توجب حبوط العمل وعدم الانتفاع به»^(٣).

ومما يدل على عظم هذه العبودية قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحَيَّيْ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَذَلِكُ أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾^(٤).

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٠/٩، وانظر كلام القاضي في الإكمال ١/ق ٣٦٥ ب.

(٢) انظر: الفتاوى ٥٢٢/١٦، زاد المعاد ٢/٢١٢، معارج القبول ٢/٤٥٣ - ٤٥٤، حاشية ثلاثة الأصول ٤٣.

(٣) هو: سعد بن محمد بن عتيق قاض من علماء نجد ولد في مدينة الأفلاج سنة ١٢٧٧هـ ورحل إلى الهند لطلب العلم فاتصل بصديق خان، وعاد إلى بلاده في فترة استيلاء ابن رشيد عليها فانكمش في داره ثم ولي القضاء والتدريس في الرياض وتوفي بها وله (نظم شرح الزاد في الفقه) ورسائل صغيرة في التوحيد والسنة والنصائح، منها رسالة في الاعتصام والانتقاء وعد التفرق. انظر: الأعلام ٣/٨٤، مشاهير نجد ٢٢٦.

(٤) مجموع رسائله (رسالة حجة التحريض على النهي عن الذبح عند المريض) ص ٤١.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢ - ١٦٣.

قال النووي رحمته الله في شرحه لقوله ﷺ: ((فليذبح على اسم الله))^(١).

أي قائلًا باسم الله هذا هو الصحيح في معناه، وقال القاضي: يحتمل أربعة أوجه أحدها: أن يكون معناه فليذبح لله والباء بمعنى اللام.

والثاني: معناه فليذبح بسنة الله.

والثالث: بتسمية الله على ذبيحته إظهارًا للإسلام ومخالفة لمن يذبح لغيره

وقمعا للشيطان.

والرابع: تبركا باسمه وتيمنا بذكره كما يقال: سر على بركة الله وسر

باسم الله^(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ فليذبح على اسم الله ٦٣٠/٩،

عن جندب بن سفيان، ورواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب وقت الأضاحي ١١٠/١٣ - ١١١،

من حديث جندب بن سفيان، قال: شهدت الأضحى مع رسول الله ﷺ فلما قضى صلاته

بالناس نظر إلى غنم قد ذبحت فقال: ((من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها، ومن لم

يكن ذبح فليذبح على اسم الله))، رواه النسائي، كتاب الضحايا - باب ذبح الضحية قبل

الإمام ٢٢٤/٧ عن جندب بن سفيان بنحوه، وابن ماجه، كتاب الأضاحي، باب النهي عن

ذبح الأضحية قبل الصلاة ١٠٥٣/٢، عن جندب بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١١١/١٣ - ١١٢، وانظر: الإكمال ٥/ق ١٣١ أ.

المبحث الثاني

ما يضاد توحيد الألوهية

المطلب الأول: الشرك الأكبر:

قسم العلماء الشرك تقسيمات مختلفة الاعتبارات، وذلك لاختلاف موارد الشرك في الكتاب والسنة، فمنهم من قسمه باعتبار أنواعه، ومنهم من قسمه باعتبار حكمه، ومنهم من قسمه باعتبار متعلقه من اللسان والقلب والجوارح، ومنهم من قسمه بالنظر إلى أنواع التوحيد، ومنهم من قسمه تقسيما عاما.

ومن هذه التقسيمات تقسيم ابن القيم رحمته الله الشرك باعتبار حكمه إلى أكبر وأصغر، فقد قسم رحمته الله الشرك في كتابه المدارج إلى قسمين: (أكبر وأصغر) فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾^(١)، مع إقرارهم بأن الله وحده خالف كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم.

أما الشرك الأصغر فيسير الرياء، والتصنع للخق والحلق بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب قائله ومقصده^(٢).

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ - ٩٨.

(٢) المدارج ١/ ٣٦٨ - ٣٧٣ باختصار، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٤٥، ومعارج القبول ٢/ ٤٧٥ -

فما في كتابه (الجواب الكافي) فقد قسم الشرك في العبادة إلى مغفور وغير مغفور وأكبر وأصغر ويشتمل: الشرك في الأفعال: كالسجود لغير الله والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

الشرك في الألفاظ: كالحلق بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وأنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك ونحو ذلك من الألفاظ. الشرك في الإرادات والنيات: فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته^(١).

من أنواع الشرك:

١/ السحر:

تعريفه: السحر في اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه ودق، واصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر عن وجهه أي صرفه^(٢)، وهو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجته^(٣) بإذن الله تعالى.

هل السحر حقيقة أو تخيل؟ ذهب إلى القول بأن السحر له حقيقة أهل السنة وجمهور علماء الأمة^(٤)، وأنكر المعتزلة من أنواع السحر ما كان له حقيقة وأثر وقالوا إنما هو خدع وتمويه وشعوذة لا حقيقة لها^(٥).

(١) الجواب الكافي ١٩٥ - ٢٠٠ باختصار.

(٢) لسان العرب ٤/٣٤٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٨٢.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/١٧٤.

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث ١٢٠، البحر المحيط ١/٣٢٧.

والتحقيق أن السحر المذموم صاحبه منه ما يكون حقيقة ومنه ما يكون تخيلاً، وهذا مقتضى دلالة النصوص الشرعية، وعلى هذا جماهير العلماء^(١). وقد ذكر النووي رحمه الله مذهب أهل السنة وأنه إثبات حقيقة السحر ورد على من أنكر حقيقته بأن الله ذكره في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وأنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، كذلك حديث سحر النبي ﷺ مصرح بإثبات حقيقته وأنه أشياء دفنت وأخرجت.

قال رحمه الله في شرحه لحديث سحر رسول الله ﷺ^(٢): «قال الإمام المازري رحمه الله مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله تعالى في

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٢٨٢، وكتاب السحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد بن ناصر الحمد ٨١، معارج القبول ٥٤٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٢٤/٦، عن عائشة رضي الله عنها، ومسلم، كتاب الآداب، باب السحر ١٧٤/١٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم قالت حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ثم دعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ما وجع الرجل؟ قال مطبوب قال من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء؟ قال في مشط ومشاطه قال وجب طلعة ذكر قال فأين هو؟ قال في بئر ذي أروان قالت فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ثم قال يا عائشة والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت فقلت يا رسول الله أفلا أحرقتة؟ قال لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمرت بها فدفنت))، رواه النسائي، كتاب التحريم، باب سحرة أهل الكتاب ١١٣/٧، وابن ماجه، كتاب الطب، باب السحر ١١٧٢/٢ عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الإمام أحمد في مواضع منها ٥٧/٦، بمثله عن عائشة رضي الله عنها.

كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه فأحالة كونه من الحقائق محال ولا يستتكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين القوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضررة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة»^(١).

سحر النبي ﷺ: أنكرت المعتزلة ومن وافقهم حديث سحر النبي ﷺ ذلك لأنهم ينفون حقيقة السحر وأثره، إضافة إلى أنهم قالوا أن إثبات حقيقة سحره ﷺ يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وقد رد الإمام النووي ﷺ على هذه الشبهة الباطلة، بأن تأثير السحر عليه ﷺ إنما كان على جسده لا على عقله وقلبه واعتقاده هذا ما دل عليه الحديث، ثم إن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه ﷺ وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، أما ما يعرض للبشر مما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يفضل من أجلها فغير بعيد أن يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وليس في ذلك طعن في الرسالة أو التبليغ.

ففي شرحه لحديث سحره ﷺ قال ﷺ: «وقد أنكروا بعض المبتدعة هذا الحديث^(٢) بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي ادعاه بعض المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة

(١) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١٤، المعلم ٩٢/٣.

(٢) حديث سحر النبي ﷺ تقدم تخريجه ص ٢٨٠.

شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل.

فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه إنما كان يتخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد.

قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده. ويكون معنى قوله في الحديث ((حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن))^(١)، ويروى: ((يخيل إليه فعل شيء لم يفعله))^(٢)، ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل يطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة» والله أعلم^(٣).

الفرق بين النبي والساحر والولي والساحر:

قال ﷺ: «فان قيل اذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر فبماذا يتميز عن النبي فالجواب أن العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر لكن النبي يتحدى بها الخلق ويستعجزهم عن مثلها ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذبا لم تنخرق العادة على يديه ولو خرقتها الله

(١) هذا اللفظ ورد في رواية من روايات هذا الحديث رواها البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله

تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان، عن عائشة رضي الله عنها، انظر: الصحيح ١٦/٨.

(٢) روى هذه اللفظة مسلم كما تقدم والبخاري، انظر تخريجه ص ٢٨٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١٤ - ١٧٥، وانظر المصدر نفسه ٩٠/١١، وإكمال المعلم ١٨٧ق/٥.

على يد كاذب لخرقها على يد المعارضين للأنبياء وأما الولي والساحر فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ولو ادعيا شيئا من ذلك لم تتخرق العادة لهما.

وأما الفرق بين الولي والساحر فمن وجهين أحدهما وهو المشهور إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على فاسق والكرامة لا تظهر على فاسق وإنما تظهر على ولي.

والثاني: (أن السحر قد يكون ناشئا بفعلها وبمزها ومعاناة وعلاج)^(١)، والكرامة لا تفتقر إلى ذلك، وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقا من غير أن يستدعيه، يشعر به. والله أعلم^(٢).

وهذا الذي ذكره النووي نقلا عن غيره جاء فيه على مذهب الأشاعرة في الفرق بين النبي والساحر.

وقد ناقشهم شيخ الإسلام في رده على القاضي أبي بكر الباقلاني في قوله إن الفرق بين معجزات الرسل وخوارق السحر هو تحدي الرسول وادعاء النبوة.

وجاء رده عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أنه على هذا لم تتميز المعجزات بوصف تختص به وإنما امتازت باقترانها بدعوة النبوة وهذا حقيقة قولهم وقد صرحوا به، فالدليل والبرهان إن استدل به كان دليلا، وإن لم يستدل به لم يكن دليلا، وإن اقتربت به الدعوى كان دليلا وإن لم تقترب به لم يكن دليلا عندهم وهذا مستدرك من وجوه: منها كون آيات الأنبياء مساوية في الحد والحقيقة بسحر

(١) في المعلم جاءت العبارة هكذا: (والساحر أيضا يكون ذلك منه عن أشياء يفعلها وقوى يمزجها ومعاناة وعلاج). المعلم ٩٤/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١٤، ١٧٥، ١٧٦، والكلام للمازري، انظر المعلم ٩٤/٣.

السحرة أمر معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل.

الوجه الثاني: أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان.

الثالث: أنه على هذا التقدير لا تبقى دلالة فإن الدليل ما يستلزم المدلول ويختص به فإذا كان مشتركا بينه وبين غيره لم يبق دليلا فهؤلاء قدحوا في آيات الأنبياء ولم يذكروا دليلا على صدقهم.

الرابع: أنه على هذا التقدير يمكن الساحر دعوى النبوة وقوله أنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر أو يأتي بمن يعارض دعوى مجردة فإن المنازع يقول: لا نسلم أنه إذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك.

الوجه الخامس: هو أن من الناس من ادعى النبوة وكان كاذبا وظهرت على يده بعض هذه الخوارق فلم يمنع منها ولم يعارضه أحد، بل عرف أن هذا الذي أتى به ليس من آيات الأنبياء وعرف كذبه بطرق متعددة.

الوجه السادس: أنه إذا كانت المعجزة هي مجموع دعوى الرسالة مع التحدي فلا حاجة إلى كونه خارقا، ويجب إذا تحدى بالمثل أن يقول: فليأت بمثل القرآن من يدعي النبوة، فإن هذا هو المعجز عندهم، وإلا فالقرآن مجردا ليس بمعجز فلا يطلب مثل القرآن إلا ممن يدعي النبوة كما في الساحر والكاهن إذا ادعى النبوة سلبه الله ذلك أو قويض له من يعارض، وغذا لم يدع النبوة جاز أن يظهر على يده مثل ما يظهر على يد النبي فكذلك يلزمهم مثل هذا في القرآن وسائر المعجزات^(١).

حكم عمل السحر وتعلمه وتعليمه:

قال ﷺ: «عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد سبق في

كتاب الإيمان أن رسول الله ﷺ عده من السبع الموبقات^(١) وسبق هناك شرحه^(٢)، ومختصر ذلك أنه قد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصيته كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر كفر وإلا فلا وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضى الكفر كفر وإلا فلا وإذا لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عزر واستتيب منه ولا يقتل عندنا فإن تاب قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق.

قال القاضي عياض: ويقول مالك قال أحمد بن حنبل وهو مروى عن جماعة من الصحابة والتابعين قال أصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره إنسانا واعترف أنه مات بسحره وأنه يقتل غالبا لزمه القصاص وإن قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا؟ فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني قال أصحابنا ولا يتصور القتل بالسحر بالبينة وإنما يتصور باعتراف الساحر والله أعلم^(٣).

(١) حديث السبع الموبقات رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما..." عن أبي هريرة بنحوه ٣٩٣/٥، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أكبر الكبائر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربوا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنان ٨٣/٢، ورواه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ١١٥/٢ عن أبي هريرة بنحوه، والنسائي، كتاب الوصايا، باب احتساب أكل مال اليتيم ٢٥٧/٦ عن أبي هريرة بمثله.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨٨/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٦/١٤، وانظر في حكم تعلم السحر: المجموع ٢٧/١، وانظر: كلام القاضي في الإكمال ٥/٨٨ب، وهو قوله: (ويقول مالك قال أحمد بن حنبل وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين).

وقد ذكر قول بعض الشافعية أن تعلمه ليس بحرام بل يجوز ليعرف ويرد على صاحبه ويميز عن الكرامة للأولياء وبين أن هؤلاء حملوا الحديث الذي عد الرسول ﷺ فيه السحر من الموبقات حملوه على فعل السحر^(١). والقول بجواز تعلمه مرجوح بل باطل وحرام كما تقدم.

النشرة: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء. وقيل: النشرة: حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر^(٢).

والنشرة نوعان: نوع جائز وهو أن يعالج المريض بالرقية في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور.

النوع الثاني: محرم وهو ما كان معلوما من النشرة التي عليها أهل الجاهلية لأنها لا تكون إلا من السحرة والاستعانة بهم للاهتداء إلى ما أخفاه السحرة، وذلك لا يتم إلا بالاستعانة بهم في الأمور السحرية الأخرى وهذه التي ورد التحذير منها والتي هي من عمل الشيطان^(٣)، والنووي رحمته الله ذكر النوعين، فقال رحمته الله: «قال القاضي: وجاء في حديث غير مسلم سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان^(٤)، قال: والنشرة معروفة مشهورة عند أهل التعزيم وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي تخلي عنه».

وقال الحسن: هي من السحر.

(١) شرح صحيح مسلم ٨٨/٢.

(٢) انظر: تيسير العزيز ٤١٦.

(٣) المصدر السابق ٤١٩.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النشرة عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: هو من عمل الشيطان ٦/٤ رقم ٢٨٦٨، والإمام أحمد ٣/٢٩٤ عن جابر بنحوه.

قال القاضي: وهذا محمول على أنها أشياء خارجة عن كتاب الله تعالى وأذكاره، وعن مداواة المعروفة التي هي من جنس المباح، وقد اختار بعض المتقدمين هذا فكره حل المعقود عن امرأته.

وقد حكى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن رجل به طب أي: ضرب من الجنون أو يؤخذ^(١) عن امرأته أيخلى عنه أو ينشر قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فلم ينه عما ينفع^(٢).

وممن أجاز النشرة الطبري وهو الصحيح^(٣)، انتهى كلامه رحمته الله.

قلت: ولعله يقصد بقوله وممن أجاز النشرة الطبري وهو الصحيح النشرة الجائزة وهي الرقي الشرعية وإتلاف السحر دون استعانة بالشياطين والسحرة لأنه قد ورد بالنص أن هذا النوع من عمل الشيطان، والله تعالى أعلم.

أما قول ابن المسيب: لا بأس إنما يريدون به الإصلاح فمحمول على نوع من النشرة لا يعلم هل هو نوع من السحر أم لا؟ أما أن يكون ابن المسيب يفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله ليعمل السحر، فلا يظن به ذلك حاشاه منه، يدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح فأبي إصلاح في السحر؟ بل كله فساد وكفر، والله أعلم^(٤).

(١) يؤخذ: بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعها معجمة: أي يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها، والأخذة بضم الهمزة هي الكلام الذي يقوله الساحر وقيل: خرزة يرقى عليها أو هي الرقية نفسه، الفتح ٢٣٣/١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر الصحيح ١١٨/٧، قال: قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب: رجل طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر، قال: لا بأس إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينفع عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٩/١٤ - ١٧٠، وانظر: الإكمال ٥/ق ١٨٩ ب - ١٩٠ أ.

(٤) انظر: تيسر العزيز الحميد ٤١٨.

٣ / الكهانة والعراف:

الكهانة: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض من الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم^(١).

تعريف الكهانة والعرافة:

قال رحمته الله في شرحه لقوله ﷺ لما قاله له معاوية بن الحكم: ((يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان، قال: فلا تأتون الكهان... الحديث))^(٢).

قال: «قال القاضي رحمته الله كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسرقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده، ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضريين وأحالوهما ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام.

الثالث: المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها، وقد يعترض بعض

(١) تيسير العزيز ٤٠٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ٢٢/٥، ورواه في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وأتيان الكهان ٢٢٣/١٤، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة ٢٤٤/١، عن معاوية بن الحكم ونحوه، والنسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة ١٤/٢، عن معاوية بنحوه، ورواه الإمام أحمد ٤٤٨/٥، عن معاوية بن الحكم مثله.

هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر^(١) والطرق^(٢) والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم^(٣).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة))^(٤).

قال: «وأما العراف فقد سبق بيانه وأنه من جملة أنواع الكهان، قال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها وان كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة... ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث فان العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلوات أربعين ليلة فوجب تأويله والله أعلم^(٥).

وقال بعض أهل العلم أن صلاته غير مجزئة، وعدم الإعادة لا يستلزم الإجزاء^(٦)، وهذا هو الأقرب إلى لفظ الحديث ونفي قبول الصلاة والله أعلم.

(١) الزجر المنع والنهي والانتهاز، والزجر للطير وغيرها التيمن بسنوحها والتشاؤم ببيروحها، وإنما سمي الكاهن زاجرا لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع الصوت وشدة، والزجر العيافة وهو ضرب من التكهن. انظر: اللسان ٣١٩/٤.

(٢) الطرق: الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، وقيل: هو الحظ في الرمل. انظر: النهاية في غريب الحديث ١٢١/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٣/١٤، وانظر: الإكمال ٥/ق ١٩٨ أ.

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٢٢٧/١٤، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ: ((من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))، والإمام أحمد ٢٨٠/٥، عن بعض أزواج النبي ﷺ بمثله.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٢٧/١٤.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد ٤٠٧.

الكهانة بعد بعثة النبي ﷺ:

في شرحه لحديث ابن عباس: ((ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رأهم انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث... الحديث))^(١).

قال ﷺ: «وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم ظاهر هذا الكلام أن هذا حدث بعد نبوة نبينا ﷺ ولم يكن قبلها ولهذا أنكرته الشياطين وارتاعت له وضربوا مشارق الأرض ومغاربها ليعرفوا خبره ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب حتى قطع بين الشياطين وبين صعود السماء واستراق السمع كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾^(٢).

وقد جاءت أشعار العرب باستغرابهم رميها لكونهم لم يعهدوه قبل النبوة وكان رميها من دلائل النبوة.

وقال جماعة من العلماء: مازالت الشهب منذ كانت الدنيا وهو قول ابن عباس والزهري وغيرهما وقد حاء ذلك في أشعار العرب وروى فيه ابن عباس

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ٤/١٦٧، وتكملته: ((...فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشده فأمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) فانزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

(٢) سورة الجن، الآية: ٩.

حديث قيل للزهري فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾^(١) ، فقال كانت الشهب قليلة فغلظ أمرها وكثرت حيث بعث نبينا ﷺ ، وقال المفسرون نحو هذا وذكروا أن الرمي بها وحراسة السماء كانت موجودة قبل النبوة ومعلومة ولكن إنما كانت تقع عند حدوث أمر عظيم من عذاب ينزل بأهل الأرض أو إرسال رسول إليهم، وعليه تأولوا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَأَنْدَرِي أَسْرَأُرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٢) .

وقيل: كانت الشهب قبل مرئية ومعلومة لكن رجم الشياطين وإحراقهم لم يكن إلى بعد نبوة نبينا ﷺ^(٣) .
حكم حلوان الكاهن:

في شرحه لحديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ ((أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن))^(٤) .

قال ﷺ: «أما حلوان الكاهن فهو ما يعطاه على كهانته يقال منه حلوته حلوانا إذا أعطيته قال الهروي وغيره أصله من الحلاوة شبه بالشيء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلا بلا كلفة ولا في مقابلة مشقة يقال حلوته اذا

(١) سورة الجن، الآية: ٩.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٧/٤ - ١٦٨.

(٤) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الطب، باب الكهانة عن ابن مسعود ٢١٦/١٠ بمثل رواية مثل، ومسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي ٢٣١/١٠، عن أبي مسعود الأنصاري، وأبو داود، كتاب البيوع، باب في حلوان الكاهن عن أبي مسعود بمثله ٢٦٧/٢، والترمذي كتاب البيوع، باب ما جاء في ثمن الكلب ٢٧٣/٢، عن أبي مسعود مثله، والنسائي، كتاب الصيد، باب النهي عن ثمن الكلب ١٨٩/٧، عن أبي مسعود مثله، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن ٧٣٠/٢، عن أبي مسعود مثله، والإمام أحمد ٢٥٠/١ عن ابن عباس بنحوه.

أطعمته الحلو كما يقال غسلته إذا أطعمته الغسل.

قال البغوي من أصحابنا والقاضي عياض: أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن لأنه عوض عن محرم ولأنه أكل المال بالباطل...^(١) قال الخطابي: وحلوان العراف حرام أيضا قال والفرق بين العراف والكاهن أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل ويدعى معرفة الأسرار. والعراف هو الذي يدعى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما من الأمور هكذا ذكره الخطابي في معالم السنن في كتاب البيوع ثم ذكره في آخر الكتاب أبسط من هذا فقال إن الكاهن هو الذي يدعى مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن قال: وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور فمنهم من يزعم أن له رفقاء من الجن وتابعة تلقى إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعى أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه وكان منهم من يسمى عرافا وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة وتتهم المرأة بالريبة فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الأمور.

ومنهم من كان يسمى المنجم كاهنا قال وحديث النهي عن إتيان الكهان يشتمل على النهي عن هؤلاء كلهم وعلى النهي عن تصديقهم والرجوع إلى قولهم^(٢).

٣/ التنجيم:

التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح

(١) انظر: كلام البغوي في كتابه شرح السنة ٢٣/٨، لم أقف على كلام القاضي في الإكمال.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٣١/١٠ - ٢٣٢، وانظر: ٢٢/٥.

ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيرا في السفليات، وأنها تجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه.

والتنجيم على ثلاثة أقسام: أحدها ما هو مفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهو قول الصابئة^(١) المنجمين الذي بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام.

الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك.

ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، وهو كفر لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه.

الثالث: تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول وهذا القسم وقع في حكمه خلاف فكره قتادة وسفيان بن عيينة وأجازه أحمد وإسحاق وغيرهما^(٢).

(١) الصابئة: هم قوم يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالق هذه الكواكب السبعة والنجوم، فهم عبدة الكواكب، ولما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة، فاستدل إبراهيم عليه السلام في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله: "لا أحب الآفلين"، وعبادة الله أحدث من عبادة الكواكب لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صورا ومثلا، فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها فظهر من هاهنا عبادة الكواكب... اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ٩٠ بتصرف.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٧ - ٤٤٨.

والإمام النووي رحمته الله قد جعل التنجيم من أنواع الكهانة كما تقدم ^(١).
وقد سئل رحمته الله عن وجه ارتباط السحر بالنجوم فقال: «إنهما اشتركا في
كونهما باطلا وخداعا وتمويهها، فإن النجوم لا فعل لها، بل الله تعالى هو
الفاعل لحركتها، وهو خالقها وخالق كل شيء سبحانه وتعالى» ^(٢).

٤/ الاستسقاء بالأنواء:

المراد بالاستسقاء بالأنواء نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء (وهي
منازل القمر) ^(٣).

المقصود بالنوء: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب فإنه مصدر ناء
النجم ينوء أي سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع، وبيان ذلك أن ثمانية
وعشرين نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر
الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاثة عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع
طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته وكان أهل الجاهلية إذا
كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، وقال الأصمعي إلى
الطالع منهما، قال أبو عبيد: ولم أسمع أحدا ينسب النوء للسقوط إلا في هذا
الموضع، ثم إن النجم نفسه قد يسمى نوء تسمية للفاعل بالمصدر.

وقال أبو إسحاق الزجاج في بعض أماليه: الساقطة في الغرب هي الأنواء
والطالعة في المشرق هي البوارح، والله أعلم ^(٤).

حكم من قال: مطرنا بنوء كذا: ذكر النووي رحمته الله خلاف أهل العلم
فيمن قال: مطرنا بنوء كذا.

(١) ص ٢٨٩.

(٢) انظر: الفتاوى للنووي ١٨٦ - ١٨٧، وانظر: ص ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦، من الكتاب نفسه.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٤٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦١/٢، وانظر: النهاية في غريب الحديث ١٢٢/٥، والفتح ٥٢٣/٢ - ٥٢٤.

في شرحه لقوله ﷺ: ((هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))^(١).

قال رحمه الله: «اختلف العلماء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا على قولين: أحدهما هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يفكر واختلفوا في كراهته، والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم.

والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقده تدبير الكوكب ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب ((أصبح من الناس

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" ٤٢٩/٧، عن زيد بن خالد بنحو رواه مسلم، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ٥٩/٢، عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ... الحديث، ورواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم ١٦/٤، والإمام أحمد ١١٧/٤ كلاهما عن زيد بن خالد بمثله.

شاكرو وكافرو))^(١).

وفي الرواية الأخرى: ((ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين))^(٢) فقلوه بها يدل على أنه كفر بالنعمة، والله أعلم^(٣).

٥/ الذبح لغير الله:

لا شك أن الذبح نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا والضحايا والفدايا، صرفها لغيره شرك أكبر ينقل عن ملة الإسلام.

حقيقة الشرك الأكبر في الذبح:

كأن يذبح باسم غير اسم الله مع قصد تعظيم المسمى، أو يأتي بأحسن ما يملك من الأنعام فينحره عند قبر متقرباً به إليه راجياً له، فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان، أو ينوي التقرب إلى صنم أو صليب أو نبي أو غير ذلك^(٤).

وقد بين النووي رحمه الله أن الشرك في الذبح يكون بأن يذبح باسم غير الله تعالى كأن يذبح لصنم أو غيره إذا قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له ففي شرحه

(١) رواها مسلم، كتاب الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بالنوء ٦١/٢ - ٦٢، عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ((أصبح من الناس شاكرو ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية: "فلا أقسم بمواقع النجوم" حتى بلغ "وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون".

(٢) رواها مسلم في الموضوع السابق ٦٠/٢ - ٦١، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((ما أنزل الله من السماء بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا)).

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٠/٢ - ٦١، وانظر: الأذكار ٢٦٤.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٥٥٨/٢، شرح الصدور، محمد بن علي الشوكاني ١١٠.

لقوله ﷺ: ((لعن الله من ذبح لغير الله))^(١)، قال: قال «أما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو ليعسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً فإن الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً»^(٢).

٦/ السجود للمشايع:

السجود أقصى مراتب العبادة ولهذا نهى الله عز وجل عن السجود لغيره، كالشمس والقمر فقال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٣)، قال بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: إن من أراد أن يكون عبد الله خالصاً فلا يسجد إلا له سبحانه ولا يسجد للشمس والقمر، نبه بهما على غيرهما من المخلوق العلوي والسفلي من الأحجار والأشجار والضرائح ونحوها بالأولى.

وقد دلت هذه الآية على أن ديننا هو أن السجود حق الخالق، فلا يسجد لمخلوق أصلاً كائناً ما كان، فإن المخلوقية يتساوى فيها الشمس والقمر

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ١٤٠/١٣ - ١٤١، عن عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال ما كان النبي ﷺ يسر إليك قال فغضب وقال ما كان النبي ﷺ يسر إلي شيئاً يكتبه الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع قال فقال ما هن يا أمير المؤمنين قال قال: ((لعن الله من لعن والده ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثاً ولعن الله من غير منار الأرض))، رواه النسائي، كتاب الضحايا، باب من ذبح لغير الله عز وجل عن علي بنحوه، والإمام أحمد في مواضع عديدة منها ١٠٨/١، عن أبي الطفيل بمثله.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤١/١٣.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

والوالي والنبى والحجر والمدر والشجر ونحوها^(١)، وإذا كان السجود لا يجوز لرسول الله ﷺ حيا ولا ميتا ولا لقبره، فكيف يجوز السجود لغيره؟ بل قد نهى النبى ﷺ عن الجلوس على القبور والصلاة إليها، كما نهى عن اتخاذها مساجد^(٢).

والنوووي ﷺ ناقش مسألة السجود بين يدي المشايخ وجزم بتحريمه وحكى الإجماع على ذلك وأجاب على استدلالهم بالآية في سورة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾، بأنها إما منسوخة بشريعة الإسلام وتحريم السجود لغير الله، أو متأولة، فقال ﷺ: ما يفعله عوام الفقراء وشبههم من سجودهم بين يدي المشايخ وربما كانوا محدثين فهو حرام بإجماع المسلمين وسواء في ذلك كان متطهرا أو غيره وسواء استقبل القبلة أم لا، وقد يتخيل كثير منهم أن ذلك تواضع وكسر للنفس، وهذا خطأ فاحش وغباوة ظاهرة، فكيف تكسر النفوس أو تتقرب إلى الله تعالى بما حرمه، وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(٣)، والآية منسوخة أو متأولة كما هو معروف في كتب العلماء، وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ﷺ عن هذا السجود الذي قدمناه فقال: هو من عظام الذنوب ونخشى أن يكون كفرا^(٤).

فقلوه ﷺ: والآية منسوخة أو متأولة كما هو معروف في كتب العلماء، يعني كلام المفسرين حول هذه الآية فقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى:

(١) الدين الخالص لصديق حسن ٥٣/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٠٢/١١، باختصار وسيأتي في وسائل الشرك والتفصيل في ذلك.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٤) المجموع ٦٧/٢، وانظر كتابه: الفتاوى ٥١.

﴿وَحَرُّوْاْ لِّلّٰهِ سُجْدًا﴾ ، كان سجودا كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيتهم، وقيل: كان انحناء كالركوع ولم يكن خرورا على الأرض وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحناء، وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء.

وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة^(١).

قال صديق حسن رحمته الله: «السجدة هي من العبادات التي اختصت به تعالى في شرعنا هذا، ولا تجوز هذه العبادة لغير الله، أي غير كان، وفي أي زمان ومكان كان»^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٥/٩، وانظر: جامع البيان للطبري ٤٤/١٣ - ٤٥.

(٢) الدين الخالص ٥٤/٢.

من أنواع الشرك الأصغر:

أولاً: الشرك الأصغر في الاعتقادات:

١ / الرياء.

٢ / الطيرة:

ثانياً: الشرك الأصغر في الألفاظ:

١ / الحلف بغير الله.

٢ / سب الدهر.

٣ / قول ما شاء الله وفلان - أعوذ بالله وبك - ولولا أنت.

٤ / التسمي بأسماء الله تعالى (الرحمن - القدوس - المهيمن) وقول:

شاهان شاه.

٥ / إطلاق لفظ (عبدي وأمتي وسيدي ورب على المخلوق).

ثالثاً: الشرك الأصغر في الأفعال:

١ / تعليق الحروز والتعاويد.

٢ / إتيان الكهان.

٣ / الرقى.

أولاً: الشرك الأصغر في الاعتقادات:

١ / الرياء:

تعريفه: الرياء مصدر رأى يرأى مرأاة ورياء، وهو أن يُري الناس أنه يعمل عملاً على صفة وهو يضمّر في قلبه صفة أخرى، فلا اعتداد ولا ثواب إلا بما خلصت فيه النية لله تعالى.

والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل

لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع^(١)
وقد ذكر النووي رحمه الله بطلان عمل المرئى وعقوبته في الآخرة من خلال
شرحه للأحاديث في ذلك ففي شرحه لقوله ﷺ ((قال الله تبارك وتعالى: أنا
أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته
وشركه))^(٢).

قال رحمه الله: «معناه أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئاً لي
ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرئى باطل لا ثواب
فيه ويأثم به»^(٣).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((من سمع سمع الله به ومن رأى رأى
الله به))^(٤).

قال: قال العلماء: معناه من رأى بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه،
ويعتقدوه خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه.
وقيل: معناه: من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمع
المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعيه إياه ليكون حسرة عليه،

(١) تيسير العزيز الحميد ٥٢٤، ٥٢٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب تحريم الرياء ١١٥/١٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه
معي غيري تركته وشركه"، ورواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة
١٤٠٥/١، عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد ٤٦٦/٣، بنحوه عن أبي فضالة الأنصاري.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١٥/١٨ - ١١٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب تحريم الرياء ١١٦/١٨، عن ابن عباس قال: قال رسول
الله ﷺ: ((من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به))، والترمذي، كتاب الزهد، باب
ما جاء في الرياء والسمعة عن أبي سعيد الخدري ١٨/٤، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب
الرياء والسمعة ١٤٠٧/٢، ورواه الإمام أحمد ٤٠/٣، كلهم عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

وقيل: معناه: من أراد بعمله الناس أسمعهم الله الناس وكان ذلك حظه منه^(١).

٢/ الطيرة:

الطيرة بكسر الطاء وفتح الباء على وزن العنبة هذا هو الصحيح المعروف

في رواية الحديث وكتب اللغة والغريب، وهي مصدر تطير طيرة^(٢).

قال ابن فارس رحمته الله: فأما قولهم تطير من الشيء فاشتقاقه من الطير

كالغراب وما أشبهه^(٣).

الفرق بين التطير والطيرة: التطير هو الظن السيء الكائن في القلب

والطيرة هو الفعل المرتب على هذا الظن من فرار أو غيره وكلاهما حرام^(٤).

سبب كون الطيرة من الشرك: الطيرة زجر وهو نوع من التعلق بأسباب

يزعم المتعلق بها أنها تكلمه على الغيب وهي كلها كفر وريب وهم يستعجله

المرء إن كان حقا ولا يقدر على دفعه إن كان قدرا مقدورا ولذلك جعله

الرسول صلوات الله عليه من الشرك فإنهم يريدون أن يشركوا الله في غيبه ويساورونه

في عمله^(٥).

وقد جعل الحافظ ابن حجر سبب كون الطيرة من الشرك اعتقادهم أن

ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم أشركوه مع الله تعالى^(٦).

وقد شرح النووي رحمته الله قوله صلوات الله عليه: ((لا طيرة وخيرها الفأل)) وعرف

(١) شرح صحيح مسلم ١١٦/١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١٨/١٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٦/٣.

(٤) الفروق للقرا في ٢٣٨/٤.

(٥) عارضة الأحوذ لابن العربي ١١٦/٧، ١١٧.

(٦) انظر: الفتح ٢١٣/١٠.

الطيرة والتطير وأصلها عن العرب، وبين ﷺ سبب كونها شركا وهو اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها ثم عرف الفأل وذكر سبب حب النبي ﷺ له.

وشرح حديث ((الشؤم في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس)) وعرف التشاؤم وذكر أن هذه الثلاثة مستثناة من الطيرة، وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا طيرة وخيرها الفأل...))^(١)، قال: التطير التشاؤم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الأطباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحتهم فنفي الشرح ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضرر فهذا معنى قوله ﷺ لا طيرة، وفي حديث آخر ((الطيرة شرك))^(٢)، أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد.

وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزة وجمعه فؤول كفلس وفلوس، وقد

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، عن أبي هريرة ٢١٢/١٠، بمثل رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ٢١٨/١٤، عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا طيرة وخيرها الفأل، قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم))، ورواه الإمام أحمد في مواضع منها ٢٦٦/٢، عن أبي هريرة بمثله.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب الطيرة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: الطيرة شرك ثلاثا وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل ١٧/٤، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة ٨٤/٣، عن عبد الله بن مسعود بمثله، وابن ماجه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة ١١٧٠/٢، عن ابن مسعود بمثله، والإمام أحمد في مواضع منها ٣٨٩/١، عن ابن مسعود بمثله.

فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة.

قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء، والغالب في السرور، والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد يستعمل مجازاً في السرور. يقال: تفاءلت بكذا بالتخفيف، وتفاءلت بالتشديد، وهو الأصل، والأول مخفف منه ومقلوب عنه.

قال العلماء: وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء، فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شرك له، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء^(١).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((الشؤم في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس))^(٢).

قال: اختلف العلماء في هذا الحديث فقال مالك وطائفة هو على ظاهره، وأن الدار قد يجعل الله تعالى سبباً للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة.

ثم قال: «قال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة أي

(١) شرح صحيح مسلم ٢١٨/١٤ - ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة ٢١٢/١٠، عن ابن عمر بمثل رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ٢٢٠/١٤، عن ابن عمر باللفظ المتقدم، وأبو داود، كتاب الطب، باب في الطير ١٩/٤، عن سعد بن مالك بنحوه والترمذي في أبواب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في الشؤم عن عبد الله بن عمر ٢٠٨/٤، ولفظه الشرم في ثلاثة في المرأة والمسكن والدابة، والنسائي، كتاب الخير، باب شؤم الخيل ٢٢٠/٦، عن ابن عمر بنحوه، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب ما يكون فيه اليمن والشؤم عن عبد الله بن عمر بنحوه ٣٦٨/١ رقم ٢٠٤، والإمام أحمد في مواضع منها ٨/٢ عن ابن عمر بنحوه.

الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه، وطلاق المرأة.

وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلطنة لسانها، وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يغزي عليها، وقيل: حرانها، وغلاء ثمنها. وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فرض إليها وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة، واعترض بعض الملاحدة بحديث لا طيرة على هذا فأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث ((لا طيرة)) إلا في هذه الثلاثة.

قال القاضي: قال بعض العلماء الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام: أحدها: ما لم يقع الضرر به ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت إليه وأنكر الشرع الالتفات إليه وهو الطيرة. والثاني: ما يقع عنده الضرر عموماً ما لا يخصه ونادراً لا متكرراً كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه.

والثالث: ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة فهذا يباح الفرار منه، والله أعلم^(١).

ولزيد إيضاح لتعلق التشاؤم بهذه الأمور الثلاثة أقول: الشؤم ضد اليمن وهو عدم البركة والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقرة التي لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبدرة بما زوجها شفاهة ونحو ذلك.

وكذا الدار الجذبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرأ أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك.

وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/١٤ - ٢٢١ - ٢٢٢، وانظر: ١٦/١٣ - ١٧، ٩٠٩.

في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر آخر عن من يعتقد ليس من هذا، لأنهم يعتقدون أنها نجس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها، فيعتقدون أنه إن كان غنيا أفتقر ليس بتبذيرها بل لنجاستها عليه، وإنه أن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس^(١).

ثانياً: الشرك الأصغر في الألفاظ:

١/ الحلف بغير الله:

لا يصح القسم إلا بالله عز وجل أو بصفة من صفاته، وذلك لأن الحلف تعظيم للمحلوف به، وهو لا ينبغي إلا لله، وفيه معنى إشهاد المحلوف به على صدق الحالف، وذلك الإشهاد لا يصح إلا بالنسبة لمن يعلم صدق الشيء المحلوف عليه أو كذبه وليس ذلك إلا لله عز وجل وحده كما أن المحلوف به يجب أن يكون ممن يملك عقاب الحالف به والانتقام منه إذا حلف به كاذباً وذلك هو الله عز وجل وحده^(٢).

والنووي رحمه الله ذكر الحكمة من النهي عن الحلف بغير الله وأن الحلف تعظيم للمحلوف به وذلك مختص بالله تعالى وأجاب عن قوله عليه السلام: ((أفلح وأبيه إن صدق))، بأجوبة ذكرها أهل العلم ففي شرحه لقوله عليه السلام: ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت))^(٣).

(١) معارج القبول ٩٩٢/٣.

(٢) انظر: دعوة التوحيد، د. محمد خليل هراس ٥٥.

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم بمثل رواية مسلم عن عمر بن الخطاب، ورواه مسلم، كتاب الإيمان ١١/١٥٥، عن عمر بن الخطاب، والترمذي في أبواب النذور، باب في كراهية الحلف بغير الله ٣/٤٥، عن عمر بمثله، والنسائي، كتاب الإيمان والنذور، باب التشديد في الحلف بغير الله ٧/٤ عن عمر بنحوه، والإمام أحمد في مواضع عديدة منها ٧/٢ عن عمر بنحوه.

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختص بالله تعالى فلا يضاهاه به غيره.

فإن قيل: الحديث مخالف لقوله ﷺ: ((أفلق وأبيه إن صدق))^(١)، فجوابه أن هذه كلمة تجري على اللسان لا تقصد بها اليمين»^(٢).

وقال: «في هذا الحديث إباحة الحلف بالله تعالى وصفاته كلها، وهذا مجمع عليه، وفيه النهي عن الحلف بغير أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته وهو عند أصحابنا مكروه وليس بحرام»^(٣).

أما عن انعقاد اليمين بغير الله ففي شرحه لقوله ﷺ: ((من حلف منكم

(١) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها: كتاب الأيمان، باب الزكاة من الإسلام وقوله: «أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة...» ١٠٦/١، عن طلحة بن عبيدالله ونصه: ((أفلق إن صدق))، ورواه مسلم، كتاب الأيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ١٦٦/١ - ١٦٨، من حديث طلحة بن عبيدالله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس، نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم، والليل» فقال: هل علي غيرهن؟ قال: «لا، إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان»، فقال: هل علي غيره؟ فقال: «لا، إلا أن تطوع»، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله، لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلق إن صدق»، ورواه أبو داود، كتاب الصلاة بدون عنوان ١٠٧/١ رقم ٣٩٢، عن طلحة بن عبيدالله بمثله، والنسائي، كتاب الصلاة، باب كم فرضت في اليوم والليلة ٢٢٨/٢، عن طلحة بن عبيدالله ونصه: ((أفلق إن صدق))، والإمام أحمد ١٦٢/١ عن طلحة ونصه: ((قد أفلق إن صدق)).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٥/١١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٦/١١، وانظر: الأذكار ٥٢٦.

فقال حلفه بالللات فليقل لا إله إلا الله...»^(١) .

قال رحمته الله: «إنما أمر بقول لا إله إلا الله لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها.

قال أصحابنا: قال أصحابنا إذا حلف بالللات والعزى وغيرهما من الأصنام أو قال إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام أو بريء من النبي ﷺ أو نحو ذلك لم تتعد يمينه بل عليه أن يستغفر الله تعالى ويقول لا إله إلا الله ولا كفارة عليه سواء فعله أم لا هذا مذهب الشافعي ومالك وجماهير العلماء وقال أبو حنيفة تجب الكفارة في كل ذلك إلا في قوله أنا مبتدع أو بريء من النبي ﷺ أو واليهودية واحتج بأن الله تعالى أوجب على المظاهر الكفارة لأنه منكر من القول وزور والحلف بهذه الأشياء منكر وزور واحتج أصحابنا والجمهور بظاهر هذا الحديث فإنه ﷺ إنما أمره يقول لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة ولأن الأصل عدمها حتى يثبت فيها شرع»^(٢) .

وبعد أن تقرر عندنا النهي عن الحلف بغير الله كما ورد في النصوص الصحيحة، فكيف يكون الجواب عن ما ورد عن رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم وغيره.

(١) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها: كتاب الاستئذان، باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك ٩١/١١، عن أبي هريرة بنحو رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله ١٠٦/١١، ١٠٧، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ((من حلف منكم فقال في حلقه بالللات فليقل: لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليصدق))، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأنداد ٢٢٢/٣، عن أبي هريرة بنحوه، والترمذي، كتاب النذور، بدون ذكر باب ٥١/٣ رقم ١٥٨٥، عن أبي هريرة بنحوه، والنسائي، كتاب الأيمان، باب الحلف بالللات والعزى عن أبي هريرة بمثله ٧/٧، والإمام أحمد ٣٠٩/٢ عن أبي هريرة بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٧/١١، وانظر: ١٢٥ - ١٢٦.

أجاب النووي رحمته الله عن قوله رحمته الله: ((أفلق وأبيه إن صدق))^(١)، بقوله: «قوله رحمته الله: أفلق وأبيه ليس هو حلفا إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى فهذا هو الجواب المرضي وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى»^(٢).

فالنووي رحمته الله اختصر الأجوبة عن هذا الحديث واكتفى بذكر أقوى الأجوبة وهو أن النبي رحمته الله لم يقصد بها حقيقة الحلف أو أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله سبحانه وتعالى.

أما ابن حجر رحمته الله فقد ذكر أجوبة كثيرة أجاب بها أهل العلم لا حاجة إلى ذكرها^(٣).

٢/ سب الدهر:

هو شتمه كأن يقال: قبح الله الدهر الذي شئت شملنا ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا كذا^(٤)، ويا خيبة الدهر، وبؤسا الدهر.

في شرحه لقوله رحمته الله: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر))^(٥).

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/١٦٨، وانظر: ١٦/١٠٣، وشرحه لصحيح البخاري ٢٣٤.

(٣) انظر: الفتح ١/١٠٧، ١٠٨، ١١/٥٣٣، ٥٣٤.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٢/٤٩٣.

(٥) رواه البخاري في مواضع عديدة منها: كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر ١٠/٥٦٤، عن أبي هريرة بنحو رواية مسلم، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر ٢/١٥، عن أبي هريرة أن رسول الله رحمته الله قال: قال الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار"، ورواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يسب الدهر ٤/٣٦٩ عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد في مواضع عديدة منها ٢/٢٣٨ عن أبي هريرة بمثله.

قال رحمته الله: قول الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم"، فمعناه أن يعاملني معاملة توجب الأذى في حقكم^(١).

ثم قال: قال العلماء: وهو مجاز^(٢) وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون: يا خيبة الدهر ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر فقال النبي ﷺ: ((لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر))، أي لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها. وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، ومعنى ((فإن الله هو الدهر))، أي فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم^(٣).

فالعرب كانوا في الجاهلية إذا أصابتهم المصائب نسبوها للدهر وذمموه، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور فيقع السب على الله تعالى لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها والدهر مخلوق له هو الذي يقبله ويصرفه^(٤). ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان، فإنه سبحانه قد بين في الحديث أنه هو الخالق للزمان الذي هو الليل والنهار بقوله: ﴿أَقْلَبَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، فالحديث ورد لرد قول أهل الجاهلية وما أشبهه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

(١) شرح صحيح مسلم ٢/١٥.

(٢) كلام النووي هنا جيد يوافق قول جمهور السلف، إلا أن تعبيره بكلمة (مجاز) من مثل النووي يفهم منه أنه قاعدة في الصفات المؤولة كالمحبة والغضب والمجيء والنزول.

(٣) المصدر السابق ٣/١٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/٣٩٣، والتمهيد لابن عبد البر ١٨/١٥٤.

أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةَ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٣﴾^(١)، وغيرها من الآيات.

حكم سب الدهر:

سب الدهر كما ورد في الحديث إيذاء لله تبارك وتعالى وهو من شعار أهل الجاهلية أما حكمه فيختلف حسب مقصد قائله.

• فإن سب الدهر قاصدا ما يقصده أهل الجاهلية من تأثيره وفعله

من دون الله كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٢)، فهذا

شرك أكبر.

ولولا أن سبهم للدهر كتضمن إضافة شيء من التدبير إلى الدهر ما صح

أن يقول الله عز وجل (بيدي الأمر...).

فتبين أن ألفاظ سب الدهر فيها منازعة لله في ربوبيته فصارت شركا من

هذا الوجه إضافة إلى أنها ذريعة للشرك الأكبر^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر

وينفع^(٤).

والظاهر أن سب الدهر نوعان:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك فهؤلاء هم الدهرية.

الثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن

يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث فيضيفون ذلك إليه

من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل لذلك.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: رسالة الشرك الأصغر، عبد الله السليم ٢٠٢.

(٤) زاد المعاد ٢/٣٥٥.

والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقا، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك كما يقع كثيرا ممن يعتقد الإسلام^(١).

أما وصف الدهر والزمن بما هو فيه فلا يدخل في النهي كقوله تعالى: ﴿فِي آيَاتٍ مَّحْسَاتٍ﴾^(٢)، وقولهم سنة قحط ويوم حار أ. بارد ونحوها.
٣/ قول ما شاء الله وفلان - أعوذ بالله وبك - لولا الله وأنت:

من جملة الألفاظ التي تعتبر من الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشاء فلان وأعوذ بالله وبك ولولا الله وأنت ونحوها، لما فيها من التشريك بالعطف بالواو التي تقتضي مطلق الجمع، وقد تكلم النووي رحمته الله عن هذه المسألة وهي وجوب العطف بثم لأنها تفيد الترتيب، قال رحمته الله: معلقا على قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان))^(٣).

قال الخطابي رحمته الله وغيره: «هذا إرشاد إلى الأدب، وذلك أن الواو للجمع والتشريك، و"ثم" للعطف مع الترتيب والتراخي، فأرشدهم (صلى الله عليه وسلم) إلى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه، وجاء عن إبراهيم النخعي^(٤) أنه كان يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول:

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٠٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٦.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي ٢٩٥/٤ عن حذيفة: ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان))، والإمام أحمد في مسنده في مواضع عديدة منها ٣٨٤/٥، عن حذيفة ولفظه: ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)).

(٤) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني الكوفي أبو عمران الحافظ فقيه العراق وأحد الأعلام كان ذكيا صاحب سنة واسع الرواية كثير المحاسن ت عام ٩٥هـ. انظر: السير ٥٢٠/٤ - ٥٢٩، الشذرات ١/١١١.

أعوذ بالله ثم بك، قالوا: ويقول: لولا الله ثم فلان لفعلت كذا، ولا يقول: لولا الله وفلان»^(١).

٤/ التسمي بأسماء الله تعالى: (الرحمن - القدوس - المهيمن) وقول:

شاهان شاه:

في شرحه لقوله ﷺ: ((إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك)) وقول سفيان: ((مثل شاهان شاه))^(٢).

قال ﷺ: قالوا شاه الملك وشاهان الملوك.

ثم قال: واعلم أن التسمي بهذا الاسم حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن والقدوس والمهيمن، وخالق الخلق ونحوها^(٣).

فالنووي ﷺ يرى تحريم التسمي بهذه الأسماء لأنها في الحقيقة لا يستحقها إلا الله تعالى لأنه أفاض تقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى دون غيره، فلا يجوز أن يعظم المخلوق بما تشبه ما يعظم به الخالق، وما كان مثل ذلك من الأسماء فلا يصلح أن يسمى به المخلوق^{(٤)(٥)}.

قال ابن القيم ﷺ: ومن المحرم التسمية بملك الملوك وسلطان

(١) الأذكار ٥١٣ - ٥١٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله عن أبي هريرة بلفظ: ((أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الملوك)) ٥٨٨/١٠، ومسلم، كتاب الأدب، باب الأسماء المحرمة ١٢١/١٤ عن أبي هريرة، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ٢٩٠/٤، عن أبي هريرة: ((أخنع اسم عند الله تباك وتعالى يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك))، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء ما يكره من الأسماء ٢١٣/٤ عن أبي هريرة بلفظ أبي داود وأحمد ٢٤٤/٢ عن أبي هريرة بمثل رواية أبي داود.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢٢/١٤.

(٤) انظر: قرة عيون الموحدين، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ٢١٣.

(٥) تحفة المودود ٧٣.

السلطين، وشاه شاه.

٥ / إطلاق لفظ عبدي وأمتي وسيدي وربّي على المخلوق:

نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل: عبدي وأمتي، أو أسق ربك وأطعم ربك لما في ذلك من إبهام المشاركة في الربوبية، فنهى عن ذلك أدبا مع جناب الربوبية، وحماية لجناب التوحيد، ولأن الإنسان مريب معبد بإخلاص التوحيد لله تعالى، وترك الإشراك به، فترك المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد.

وأما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات، فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله: رب الدار والثوب^(١).

وقد تكلم الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن حكم إطلاق هذه الألفاظ في شرحه لأحاديث النهي عن إطلاقها في صحيح مسلم، وفي كتاب الأذكار كما سيأتي.

قال رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ في شرحه لقوله ﷺ: ((لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاتي وفتاتي))^(٢).

وقوله ﷺ: ((ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي))^(٣).

وفي رواية: ((لا يقولن أحدكم أسق ربك وأطعم ربك ورضي ربك ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاتي

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٦٥٣، فتح الباري ١٧٩/٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد ١٥ / ٥، ٦، عن أبي هريرة، وأحمد ٤٩٦/٢، عن أبي هريرة بنحوه.

(٣) هذه الرواية رواها مسلم في الكتاب والباب السابقين ٦/١٥ عن أبي هريرة.

غلامي))^(١).

قال: قال العلماء مقصود الأحاديث شيئان: أحدهما: نهي المملوك أن يقول لسيده ربي لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء، ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى.

فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ في أشرط الساعة: ((أن تلد الأمة ربثها أو ربها))^(٢)، فالجواب من وجهين: أحدهما: أن الحديث الثاني لبيان الجواز وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه ولا للتحريم، والثاني: أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ولم ينه عن إطلاقها في نادر من الأحوال، واختار القاضي هذا الجواب^(٣).

ولا نهي في قول المملوك: سيدي لقوله ﷺ: ((ليقل سيدي))^(٤) لأن لفظه السيد غير مختصة بالله تعالى اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها حتى نقل القاضي عن مالك أنه كره الدعاء بسيدي، ولم يأت تسمية الله تعالى بالسيد في القرآن ولا في حديث متواتر، وقد قال النبي ﷺ: ((إن ابني هذا سيد))^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب العتق، باب كراهية المتناول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي ١٧٧/٥، عن أبي هريرة ونحوه، رواه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظه العبد والأمة والمولى والسيد ٦/١٥، ٧، عن أبي هريرة، وأبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي ٢٩٤/٤، عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد ٢/٣١٦، عن أبي هريرة بنحوه.

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله في أشرط الساعة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/١٥.

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: أن ابني هذا سيد... ٢٠٦/٥، ٣٠٧، عن أبي بكره رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))، وأبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٢١٦/٤، عن أبي بكره، والترمذي في المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ٢٢٣/٥، عن أبي بكره، والنسائي، كتاب الجمعة، باب مخاطبة الإمام ورعيته وهو على المنبر ٣/١٠٧، عن أبي بكره.

و((قوموا إلى سيدكم))^(١)، يعني سعد بن معاذ، وفي الحديث الآخر:
 ((اسمعوا ما يقول سيدكم))^(٢)، يعني سعد بن عباد، فليس في قول العبد
 سيدي إشكال ولا لبس، لأنه يستعمله غير العبد والأمة، ولا بأس أيضا بقول
 العبد لسيد مولاي، فإن المولى وقع على ستة عشر معنى سبق بيانها منها:
 الناصر والمالك...^(٣).

ثم قال: الثاني: يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدي وأمتي بل يقول:
 غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى
 ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالخلق استعماله لنفسه، وقد بين النبي ﷺ
 العلة في ذلك فقال: (كلكم عبيد الله، فنهى عن التناول في اللفظ كما
 نهى عن التناول في الأفعال، وفي إسبال الإزار وغيره وأما: غلامي وجاريتي
 وفتاي وفتاتي فليست دالة على الملك كدلالة عبدي مع أنها تطلق على الحر
 والمملوك، وإنما هي للاختصاص قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾^(٤)،
 و﴿وَقَالَ لِفَتَانِهِ﴾^(٥)، و﴿وَقَالَ لِفَتِيهِ﴾^(٦)، و﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ﴾^(٧).

وأما استعمال الجارية في الحرة الصغيرة فمشهور معروف في الجاهلية

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول النبي ﷺ: قوموا إلى سيدكم ٤٩/١١، عن أبي سعيد، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام ٣٥٥/٤ عن أبي سعيد الخدري، وأحمد في مواضع ٢٢/٣ عن أبي سعيد.

(٢) رواه مسلم، كتاب اللعان، بدون عنوان ١٣١/١٠، عن أبي هريرة، ورواه أبو داود، كتاب الديات، باب في من وجد مع أهله رجلا يقتله ١٨١/٤، عن أبي هريرة، وابن ماجه، كتاب الحدود، باب الرجل يجد مع امرأته رجلا ٨٦٨/٢ عن أبي هريرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/١٥ - ٧.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٢.

(٦) على إحدى القراءتين، انظر: إبراز المعاني لأبي شامة ٣٦٠.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

والإسلام والظاهر أن المراد بالنهي من استعمله على جهة التعاضم والارتفاع لا للوصف والتعريف، والله أعلم^(١).

وقال رحمته الله في كتاب الأذكار: «اعلم أن السيد يطلق على الذي يفوق قومه، ويرتفع قدره عليهم، ويطلق على الزعيم والفاضل، ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه، ويطلق على الكريم، وعلى المالك وعلى الزوج، وقد جاءت أحاديث كثيرة بإطلاق سيد على أهل الفضل.

من ذلك ما روينا في "صحيح البخاري" عن أبي بكر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم سعد بالحسن بن علي رضي الله عنه المنبر فقال: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين))^(٢).

وروينا في "صحيح البخاري ومسلم" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأنصار لما أقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه: "قوموا إلى سيدكم" أو "خيركم" كذا في بعض الروايات "سيدكم أو خيركم" وفي بعضها "سيدكم" بغير شك^(٣).

وروينا في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: "يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقته... الحديث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظروا إلى ما يقول سيدكم"^(٤).

وأما ما ورد في النهي، فما رويناه بالإسناد الصحيح في "سنن أبي داود" عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن

(١) شرح صحيح مسلم ٧/١٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٢٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٢٢.

يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل" (١).

قلت: والجمع بين هذه الأحاديث أنه لا بأس بإطلاق فلان سيد، ويا سيدي وشبه ذلك إذا كان المسود فاضلا خيرا، إما بعلم وإما بإصلاح وإما بغير ذلك. وإن كان فاسقا أو متهما في دينه، أو نحو ذلك كره له أن يقال: (سيد...) (٢) اه كلامه. هذا ما ذكره عن إطلاق لفظ السيد.

أما قول المملوك لمالكه: ربي وقول المالك عبدي وأمتي فقال بِسْمِ اللَّهِ: «يكره أن يقول المملوك لمالكه: ربي، بل يقول: سيدي، وإن شاء قال: مولاي، ويكره للمالك أن يقول: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي أو غلامي». ثم ذكر الأحاديث المتقدمة في النهي عن ذلك وقال: «قال العلماء: لا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله تعالى خاصة، فأما مع الإضافة فيقال: رب المال، ورب الدار وغير ذلك، ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((حتى يهم رب المال من يقبل صدقته)) (٣).

وقول عمر رضي الله عنه في الصحيح: ((رب الصريمة والغنيمة)) (٤)، ونظائره في

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي ٢٢٣/١٢، عن بريدة باللفظ المثبت.

(٢) الأذكار ٥١٨ - ٥١٩، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط/٥، دار الهدى.

(٣) جز من حديث رواه البخاري، كتاب الفتن ٨٨/١٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه ضمن حديث طويل في الفتن وأشرط الساعة وفيه: ((... وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به...))، ومسلم، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة ٩٧/٧، من حديث أبي هريرة بنحوه، وأحمد ٣١٢/٢، ٥٣٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم ١٧٥/٦، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال: يا هنيا اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المسلمين فإن دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة...، والصريمة: بالمهملة مصغر وكذا الغنيمة أي صاحب القطعة القليلة من الإبل والغنم. الفتح ١٧٦/٦.

الحديث كثيرة مشهورة.

وأما استعمال حملة الشرع ذلك فأمر مشهور معروف، قال العلماء: وإنما كره للمملوك أن يقول لمالكه: ربي لأن في لفظه مشاركة لله تعالى في الربوبية وأما حديث: ((حتى يلقاها ربها))^(١)، و((رب الصريمة))، وما في معناهما، فإنما استعمل لأنها غير مكلفة، فهي كالدار والمال، ولا شك أنه لا كراهة في قول: رب الدار، ورب المال، وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿أذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٢)، فعنه جوابان:

أحدهما: أنه خاطبه بما يعرفه، وجاز هذا الاستعمال للضرورة، كما قال موسى عليه السلام للسامري: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾^(٣)، أي الذي اتخذته إلها. والجواب الثاني: أن هذا شرع من قبلنا لا يكون شرعا لنا إذا ورد شرعنا بخلافه، وهذا لا خلاف عليه^(٤)، اه كلامه.

وكلام الإمام في هذه المسألة عمدة، فإن النهي متجه للمالك والمملوك، أما المملوك فنهي أن يقول لسيدته ربي وقد بين النووي رحمه الله أن ذلك مكروه كراهة تنزيه لأن حقيقة الربوبية لله تعالى.

أما استخدام المملوك للفظ (سيدي) فلا كراهة فيه لأن لفظ السيد غير

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره ١٨٦/١، من حديث زيد بن خالد الجهني لما سئل عليه السلام عن ضالة الإبل قال: ((... ومالك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر فذرهما حتى يلقاها ربها))، ومسلم، كتاب اللقطة، بدون عنوان ٢٠/١٢، عن زيد بن خالد، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب ضالة الإبل والبقر والغنم ٧٤/٢، عن زيد بن خالد بنحوه.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٩٧.

(٤) الأذكار ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١.

مختصة بالله تعالى اختصاص الرب، وبين أنه لم يأت تسمية الله تعالى بالسيد، وقد استخدم الرسول ﷺ لفظة السيد وأطلقها على من يستحقها كسعد بن معاذ رضي الله عنه. كذلك استعمال المملوك للفظ (مولاي).

وأما والمالك فهد نهى أن يقول لمملوكه عبدي وأمتي، وقد ذكر الإمام النووي أن هذه الألفاظ أيضا مكروهة كراهة تنزيه لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه.

والمختار للمالك أن يقول: فتاي وفتاتي وغلامي وجاريتي، وأجاب عن بعض النصوص الواردة بإطلاق لفظ رب مضافا على المخلوق وكذلك قول يوسف عليه السلام (اذكرني عند ربك)، أجاب بأجوبة قوية تقدمت.

ومن الأجوبة عن قول يوسف عليه السلام، وحديث: ((أن تلد الأمة ربتها))، ما ذكره الشيخ سليمان بن عبدالله رحمته الله قال: «فأما الآية ففيها جوابان: أحدهما وهو الأظهر: أن هذا جائز في شرع ما قبلنا، وقد ورد شرعنا بخلافه.

والثاني: أنه ورد لبيان الجواز، والنهي للأدب والتنزيه دون التحريم وأما الحديث: فليس من هذا الباب للتأنيث والنهي عنه أن يقول ذلك للذكر لما فيه من إيهام المشاركة وهو معدوم في الأنثى، أو يقال: محمله على الكراهة في الأنثى أيضا لورود الحديث بذلك دون الذكر، لأنه لم يرد فيه إلا النهي، ويقال وهو أظهر: أن هذا ليس فيه إلا وصفها بذلك لا دعاؤها به، وتسميتها به، وفرق بين الدعاء والتسمية، وبين الوصف كما تقول: زيد فاضل، فنصفه بذلك ولا نسميه به ولا تدعوه به»^(١).

ثالثاً: الشرك الأصغر في الأفعال:

١/ تعليق الحروز والتعاويد والتمايم:

الحرز: قال في القاموس: الحرز بالكسر العوذة^(١).

أما التميمة: فهي خرزة رقطاع تنظم في السير ثم يعقد في العنق وهي التمايم، والتميم وقيل: هي قلادة يجعل فيها سيور وعوذ. والتميمة: عوذة تعلق على الإنسان، وربما جعلت العوذة التي تعلق في أعناق الصبيان.

قال أبو منصور: التمايم واحدها تميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم فأبطله الإسلام^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: التمايم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات^(٣).

وقد ذكر النووي رحمه الله أنه يكره للمحدث حمل التعاويد (أي الحروز)، ونقل عن ابن الصلاح أن كتابة الحروز واستعمالها مكروه وترك تعليقها هو المختار.

ونقل عنه في فتوى أخرى: جواز تعليق الحروز التي فيها قرآن على النساء والصبيان والرجال ويجعل عليها شمع ونحوه، ويستوثق من النساء وشبههن بالتحذير من دخول الخلاء بها، والمختار أنه لا يكره إذا جعل عليه شمع ونحوه لأنه لم يرد فيه نهي.

قال: ونقل ابن جرير الطبري عن مالك نحو هذا فقال مالك: لا بأس بما

(١) القاموس المحيط ٦٥٣.

(٢) لسان العرب ٦٩/١٢، ٧٠.

(٣) الفتح ١٠/١٩٦.

يعلق على النساء الحيض والصبيان من القرآن إذا جعل في كن كقصبه حديد أو جلد يخر عليه^(١).

ومن هذه التعريفات في اللغة يتبين أن التميمة تستعمل لغرضين:
الغرض الأول: دفع الشر من مرض أو عين قبل أن يحصل وهذا فيما يعلق على الصبيان والفرس والمساكن ونحو ذلك.
الغرض الثاني: دفع الشر الذي وقع بالفعل وهذا ظاهر فيما يتعلقه المرضى بالواهنة وغيرها.

أما ما جاء في تعريف التميمة بأنها خرزة رقطاع فهذا من باب التعريف بالمثال وليست التميمة مقتصرة على الخرزة بل كانت العرب تستعمل أنواعا من التمائم غير الخرز.

وعلى هذا فكل ما علق لأجل الغرضين السابقين فهو تميمة سواء كان من الخرز أو الخشب أو الأعشاب أو الأوراق أو المعادن ما دام أن صاحبه علقه لأجل دفع شر حاصل أو متوقع فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء^(٢).

حكم تعليق التمائم: تعليق التمائم من باب شرك الأسباب، وهذا الشرك قد يكون من الشرك الأكبر، وقد يكون من الأصغر حسب حال صاحبه، فالأجل ذلك لا يقال: إن تعليق التمائم شرك أكبر، ولا يقال: أصغر بإطلاق وإنما ينظر في حال المتعلق وفي حال المعلق، فإن علق صنما أو رقية شركية فيها استغاثة بغير الله وطلب الشفا من غير الله أو صليبا فهذا من الشرك الأكبر.

وكذلك لو اعتمد على ما يعلقه من الخرز والخيوط اعتمادا كلياً وظن

(١) المجموع ٧٠/٢ - ٧١، وانظر: المجموع ٧٢/٢ - ٧٤.

(٢) انظر: كتاب التمائم في ميزان العقيدة، د. علي العلياني ٨، ٩.

أنه هو الدافع للبلاء بنفسه لهذا أيضا شرك أكبر وإلا فشرك أصغر^(١).

أما تعليق التمائم من القرآن والأدعية النبوية فقد وقع خلاف بين أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم في حكمه: منهم من يرى أنه يجوز وأنه ليس من التمائم وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي جعفر الباقر ورواية عن أحمد، وقول مالك وابن عبدالبر وظاهر قول ابن تيمية وابن القيم وغيرهم. وقال طائفة: لا يجوز وبه قال ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم وإبراهيم النخعي ورواية عن أحمد اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون^(٢).

والنووي رحمته الله لا يرى بأسا في تعليق الحروز والتعاويد التي فيها قرآن بشرط عدم إهانتها بدخول الخلاء بها لعدم ورود النهي عنها. والذي يترجح المنع لأنها ذريعة إلى غيرها من التمائم المحرمة، ولعدم ورودها ولما يحصل بسببها أحيانا من إهانة القرآن.

٢/ إتيان الكهان: قد تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل تعريف الكهانة وحكم من أتى كاهنا أو عرافا، كما جاءت النصوص الشرعية الصحيحة والكلام هنا عن سبب النهي عن إتيان الكهان والحكمة منه: ففي شرحه لحديث: ((إن منا رجالا يأتون الكهان، قال: فلا تأتهم))^(٣).

قال رحمته الله: قال العلماء إنما نهي عن إتيان الكهان لأنهم يتكلمون في

(١) المصدر السابق ٣٣.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ١٦٧، ١٦٨، التمائم، د. العلياني ٤٣.

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ٢١/٥، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة ٢٤٤/١، والنسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة ١٥/٣، وأحمد ٤٤٨/٥ كلهم عن معاوية بن الحكم السلمي.

مغيبات قد يصادف بعضها الإصابة فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك لأنهم يلبسون على الناس كثيرا من أمر الشرائع وقد تظاهرت الاحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون.

ونقل قول الخطابي: كان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور فمنهم من يزعم أن له رثيا^(١) من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يدعي استدراك ذلك بفهم أعطيه ومنهم من يسمى عرافا وهو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسباب استدل بها كعرفة من سرق الشيء الفلاني ومعرفة من يتهم به المرأة ونحو ذلك، ومنهم من يسمى المنجم كاهنا قال والحديث على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم، والرجوع إلى قولهم وتصديقهم فيما يدعون.

قال: هذا كلام الخطابي وهو نفيس^(٢)، وهو كما قال رحمته الله.

٣/ الرقية: الرقية بالضم العوذة^(٣):

وهي التي تسمى العزائم، والرقية مشروعة بالإجماع عند اجتماع ثلاثة شروط:

١/ أن لا يكون فيها شرك.

٢/ أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣/ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بأمر ذات الله تعالى^(٤)، وهذا قد

أشار إليه النووي رحمته الله في شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا رقية إلا من عين أو

(١) الرثي: المس، انظر: الصحاح ٢٣٤٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢/٥.

(٣) القاموس المحيط ١٦٦٤.

(٤) انظر: فتح الباري ١٠/١٩٥.

حمة))^(١) .

قال رحمته الله: «قال الخطابي ومعنى الحديث لا رقيه أشفي وأولى من رقية العين وذي الحمة وقد رقي النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بها فاذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهي مباحة وإنما جاءت الكراهة منها لما كان بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرا أو قولاً يدخله الشرك قال ويحتمل أن يكون الذي كرهه من الرقية ما كان منها على مذاهب الجاهلية في العوذ التي كانوا يتعاطونها ويزعمون أنها تدفع عنهم الآفات ويعتقدون أنها من قبل الجن ومعونتهم»^(٢) .

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو ١٥٥/١٠ عن عمران بن حصين بمثل رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ٦٣/٢، عن بريدة الأسلمي ((لا رقية إلا من عين أو حمة))، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرخصة في ذلك ٢٦٦/٣ عن عمران بمثله، وأبو داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى ١١/٤ عن أنس بنحوه، والإمام أحمد في مواضع منها ١١٨/٣، عن أنس بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩٣/٣، وانظر: ٩٠/٣، وكلام الخطابي هذا نقله الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد لنفسه، انظر ١٦٥، ١٦٦.

المطلب الثالث: وسائل الشرك:

سد النبي ﷺ كل باب من أبواب الشرك حماية الجناب التوحيد فحذر وأنذر وأبدأ وأعاد، وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله به، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع في العمل.

فقد حمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور، حتى نهى عن جعله عيداً ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد^(١)، كما نهى ﷺ عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، حتى لا تحصل المبالغة في تعظيمها ومن ثم الافتتان بها وعبادتها، كذلك نهى عن بعض الألفاظ التي فيها إيهام المشاركة في الربوبية كقول: عدي وأمتي واسق ريك وأطعم ريك وما شابه ذلك مما سيأتي مفصلاً في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

والنووي رحمه الله تكلم عن هذه المسائل وذكر أقوال أهل العلم وكان كلامه في بعض المظان عمدة لمن جاء بعده إلا أنه توسع في مسألة السفر لزيارة قبر رسول الله ﷺ والدعاء عنده والتبرك بالصالحين وآثارهم وقاسمهم على رسول الله ﷺ وهذا خطأ ظاهر كما سيأتي إن شاء الله في ثانياً هذا المطلب.

١/ زيارة قبر الرسول ﷺ والدعاء عنده والتوسل به:

كان النبي ﷺ قد نهى عن زيارة القبور سدا لذريعة الشرك، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ليتذكروا برؤية القبور الموت والآخرة.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٤٧، ٣٤٨.

سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا^(١).

والإمام النووي رحمه الله تكلم عن هذه المسألة في عدة مواضع من مؤلفاته، وملخص كلامه أنه لا يرى بزيارة قبر الرسول ﷺ وشد الرحل إليه والدعاء عنده والتوسل به لا يرى بذلك بأساً بل يراه من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات.

قال رحمه الله في كتاب الأذكار: « فصل في زيارة قبر رسول الله ﷺ وأذكارها: اعلم أنه ينبغي لكل من حج أن يتوجه إلى زيارة رسول الله ﷺ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن، فإن زيارته ﷺ من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات، فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها، زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ﷺ وأن يسعده بها في الدارين، وليقل: اللهم افتح علي أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة قبر نبيك ﷺ ما رزقته أوليائك وأهل طاعتك، واغفر لي وارحمني يا خير مسؤل.

وإن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله ﷺ قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، ثم يتأخر قدر ذراع إلى جهة يمينه فيسلم على أبي بكر، ثم يتأخر ذراعاً آخر فسلام على عمر رضي الله عنهما، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به في حق نفسه، ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومن أحسن إليه وسائر المسلمين، وأن يجتهد في إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف

(١) تيسير العزيز الحميد ٧٠٧.

الشريف ويحمد الله تعالى ويسبحه ويكبره ويهلله، ويصلي على رسول الله ﷺ ويكثر من الدعاء فيها»^(١).

وهذا الكلام للنووي رحمته الله عليه الملاحظات التالية:

١ / جعله السفر قصدا لزيارة قبر الرسول ﷺ من أهم القربات وأريح المساعي وأفضل الطلبات.

٢ / تخصيص دعاء معين لم يرد فيه نص.

٣ / توصيل سلام من أوسى الزائر بالسلام على رسول الله ﷺ بالصيغة المذكورة.

٤ / الوقوف قبالة وجه رسول الله ﷺ والتوسل به في حق نفسه والاستشفاع به إلى الله بعد موته.

٥ / الدعاء عند القبر واعتقاد أن الدعاء في ذلك الموقف أحرى بالإجابة.

٦ / القول بأن الروضة بين القبر والمنبر.

١ - مسألة زيارة قبر الرسول ﷺ من المسائل التي كثر فيها النزاع وتكلم فيها كثير من أهل العلم، وألف فيها رسائل، وزيارة قبره ﷺ كزيارة غيره من القبور مشروعة، بل لا خلاف بين أهل العلم في استحباب زيارة قبره ﷺ بدون شد رحل^(٢).

فإنه لا يجوز شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد الرسول ﷺ هذا هو الراجح وقد وقع خلاف بين أهل العلم في حكم شد الرحل لقصد زيارة القبر فقط دون المسجد كما قال النووي

(١) الأذكار ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧، وانظر: شرح صحيح مسلم ١٧٧/٢، والمجموع ١/٢٢٤ - ٢٧٣.

(٢) انظر: الدين الخالص ٥٨٨/٢، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهبواني ٧٣.

ﷺ

قال ابن تيمية رحمته الله مبينا ذلك: «إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي ﷺ، دون الصلاة في مسجده فهذه المسألة فيها خلاف، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع، ولا مأمور به لقوله ﷺ: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد))^(١).

ولهذا لم يذكر العلماء أن مثل هذا السفر إذا نذره يجب الوفاء به، بخلاف السفر إلى المساجد الثلاثة»^(٢).

وقال: الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة، لم يخرج أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة.

والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها، كتاب الصوم، باب صوم يوم النحر عن أبي سعيد الخدري بنحو رواية مسلم ٢٤١/٤، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة ١٦٧/٩ عن أبي هريرة يبلغ به النبي ((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، مسجدي هذا ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى))، وأبو داود، كتاب المناسك، باب في إتيان المدينة عن أبي هريرة بنحوه ٢١٦/٢، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أي المساجد أفضل ٢٠٥/١، عن أبي سعيد الخدري بنحوه، والنسائي، كتاب المساجد، باب ما تشد الرحال إليه من المساجد ٣٧/٢، عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد في مواضع منها ٧/٣، عن أبي سعيد بنحوه.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٢٦، ٢٧

((ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روي حتى أرد عليه السلام))^(١) (٢) .
والقول بشرعية شد الرحال لزيارة قبره ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيداً وهو
مما نهى عنه ﷺ^(٣)، ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو
والإطراء كما قد وقع الكثير من الناس في ذلك بسبب اعتقادهم شرعية شد
الرحال لزيارة قبره ﷺ^(٤) .

٢ - ٣ - تخصيص دعاء معين يقال عن القبر وتوصيل سلام من أوصى
الزائر بالسلام على رسول الله ﷺ على الصيغة التي ذكرها النووي ﷺ
لم يرد فيه نص ولا توقيف ولا فعله أحد من الصحابة ولو كان ثابتاً لكان
الصحابة ﷺ أسبق الناس إليه عملاً ودعوة فيه، فهم أحرص الناس على
الخير وأكثر الناس حبا للنبي ﷺ .

٤ - الوقوف قبالة وجه رسول الله ﷺ والتوصل والاستشفاع به إلى الله
بعد موته من البدع المنكرة والتوصل غير المشروع، فإن التوصل المشروع ما
كان توسلاً بدعائه في حياته وشفاعته يوم القيامة للمؤمنين أما أن يقول عند
قبره: يا رسول الله ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي، سل الله لي أن

(١) الرد على الأخطائي ٤٥.

(٢) رواه الإمام أحمد ٥٢٧/٢ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل إلي روي حتى أرد عليه السلام))، ورواه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢١٨/٢، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روي حتى أرد عليه السلام)).

(٣) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢١٨/٢، عن أبي هريرة: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم))، والإمام أحمد ٣٦٧/٢ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: ((لا تتخذوا قبوري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني)).

(٤) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ٦٩.

يغفر لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني، فقد كان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجذب، وتارة بنقص الرزق وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر رسول الله ﷺ ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جذب الزمان أو قوة العدو أو كثرة الذنوب، ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثه التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين، وكل بدعة ليست بواجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلالة باتفاق المسلمين^(١). أما استقبال القبر حال الدعاء فهو بدعة منكرة.

قال ابن تيمية رحمته الله: «المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه، بل إنما يستقبل القبر عند السلام على النبي ﷺ والدعاء له هذا قول أكثر العلماء كمالك في إحدى الروايتين والشافعي وأحمد وغيرهم»^(٢).

ونص الإمام أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والسلام عليه، فظاهر هذا أنه يقف للدعاء بعد السلام وذكر أصحاب مالك أنه يدعو مستقبلاً القبلة يولييه ظهره وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر^(٣).

٥ - الدعاء عند القبر واعتقاد أن الدعاء في ذلك الموقف أحرى بالإجابة:

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ بتصريف واختصار.

(٢) المصدر السابق ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٥٨ - ٣٥٩ بتصريف يسير.

الدعاء عند قبره عليه السلام غير مشروع بل هو مما نهى عنه عليه السلام بقوله: ((لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني))^(١).

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه، فإن هذه بدعة، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عند القبر يدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده»^(٢).

وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذا كانت عائشة فيها، وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم^(٣).

٦ - القول بأن الروضة بين القبر والمنبر: الثابت عنه عليه السلام أنه قال: ((ما

بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))^(٤). هذا هو الثابت في الصحيح.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣١.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤٠٨/٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٥٧.

(٤) رواه البخاري في عدة مواضع منها، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي عليه السلام وحصد على اتفاق أهل العلم، وما اجتمع عليه الحرمان والمدينة وما كان بهما من مشاهد النبي عليه السلام والمهاجرين والأنصار ومصلى النبي عليه السلام والمنبر والقبر ٣٠٤/١٣، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي))، ومسلم، كتاب الحج، باب ما بين قبره عليه السلام ومنبره ١٦١/٩، عن عبد الله بن زيد المازني وأبي هريرة بزيادة: (ومنبري على حوضي) وبدونها، والترمذي، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة ٣٧٦/٥ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))، والنسائي، كتاب المساجد، باب فضل مسجد النبي عليه السلام والصلاة فيه عن عبد الله بن زيد، قال: قال رسول الله عليه السلام: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)) ٣٥/٢، والإمام أحمد ٤/٣، عن أبي هريرة وأبي سعيد مع زيادة: (ومنبري على حوضي)).

لكن بعضهم رواه بالمعنى فقال: ((قبري)) وهو ﷺ حين قال هذا القول لم يكن قد قبر بعد صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا لم يحتج بهذا أحد من الصحابة لما تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان نصا في محل النزاع، ولكن دفن في حجرة عائشة في الموضع الذي مات فيه ^(١).

٢/ التبرك بآثار الرسول ﷺ، والتبرك بالصالحين وآثارهم:

أولا: التبرك بآثار الرسول ﷺ:

إن الله عز وجل قد أكرم نبينا محمدا ﷺ بأن جعله مباركا في ذاته وأفعاله كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بذاته وآثاره الحسية وكان ﷺ يقرهم لى ذلك ولا ينكر عليهم.

ثم أنهم رضي الله عنهم تبركوا ومن بعدهم من سلف هذه الأمة الصالح بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته، مما يدل على مشروعية هذا التبرك ^(٢).

ولم يكن يصاحب هذا التبرك من جهة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح شيء يعارض أو يناقض الألوهية أو الربوبية، وإلا لنبه الرسول ﷺ على ذلك وهى عنه.

والأحاديث الدالة على تبرك الصحابة بذاته ﷺ وآثاره كثيرة جدا شرحها النووي رحمته الله وبيّن ما فيها من فوائد، ووجه دلالتها على التبرك بآثاره ﷺ ففي شرحه لحديث أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فرما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها)) ^(٣).

قال رحمته الله: «فيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه

(١) قاعدة جليلة في التوصل والوسيلة ١٤١.

(٢) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب قربه ﷺ من الناس وتبركهم به وتواضعه لهم ٨٢/١٥،

والإمام أحمد ١٣٧/٣ عن أنس بمثله.

من التبرك بآثاره ﷺ وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية وتبركهم بشعره الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه»^(١).

وفي شرحه لحديث النهي عن اختناث^(٢) الأسقية^(٣)، قال ﷺ: قد روى الترمذي وغيره عن كبشة بنت ثابت وهي أخت حسان بن ثابت رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من قربة معلقة قائما فقممت إلي فيها فقطعته، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح^(٤).

وقطعها لقم القربة لوجهين: أحدهما أن تصون موضعا أصابه فم رسول الله ﷺ عن أن يبتذل ويمسه كل أحد.

والثاني: أن تحفظه للتبرك به والاستسقاء والله أعلم^(٥).

وفي شرحه لحديث سهل بن سعد وسقيه النبي ﷺ وقوله في الحديث: ((فأخرج لنا سعد ذلك القدح فشرينا فيه، قال: ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبدالعزيز فوهبه له))^(٦).

(١) شرح صحيح مسلم ٨٢/١٥.

(٢) الاختناث: بخاء معجمة ثم تاء مثاة ثم نون ثم ألف ثم مثلثة هو أن يقلب رأس السقاء ثم يشرب منه، انظر: شرح صحيح مسلم ١٣/١٩٤.

(٣) والحديث رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية ٨٩/١٠، عن أبي سعيد بمثله، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ١٣/١٩٤ عن أبي سعيد، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية ٣/٢٠١، عن أبي سعيد، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية ٢/١١٣١، عن أبي سعيد بنحوه، ورواه أحمد ٦/٣، عن أبي سعيد بمثله. (٤) رواه الترمذي في أبواب الأشربة، باب الرخصة في ذلك ٣/٢٠٤، عن كبشة ورواه الإمام أحمد في مواضع منها ٣/١١٩، عن أنس رضي الله عنه.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣/١٩٤.

(٦) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وأنيته ١٠/٩٨، عن سهل بن سعد بمثله، ورواه مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ الذي لم يشتره ولم يصر مسكرا ١٣/١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ عن سهل.

قال ﷺ: هذا فيه التبرك بآثار النبي ﷺ وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة، ودخول الغار الذي دخله ﷺ وغير ذلك، ومن هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس^(١)، وإعطاؤه ﷺ حقوه لتكفين فيه بنته ﷺ^(٢)، وجعله الجريدتين على القبرين^(٣).

- (١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، ولفظه: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البدن فتحرها والحجام جالس فقال بيده عن رأسه فحلق شقه الأيمن مقسمه فيمن يليه ثم قال: احلق الشق الآخر، فقال: أين أبو طلحة؟ فأعطاه إياه.
- (٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز في مواضع منها: باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، ١٢٥/٣، عن أم عطية الأنصارية، ومسلم، كتاب الجنائز، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز، وغسل الميت ٤٠٥/٧، عن أم عطية قالت: (لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ: اغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا واجعلن في الخامسة كافورا أو شيئا من كافور فإذا غسلتها فأعلمنني، قال: فأعلمناه فأعطانا حقوه وقال: أشعرنا إياه)) واللفظ للبخاري ومسلم، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب كيف غسل الميت ١٩٧/٣ عن أم عطية بنحوه، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت ٢٢٩/٢، والنسائي، كتاب الجنائز، باب غسل الميت وترا ٣٠/٣، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت ٤٦٨/١، وأحمد في مواضع منها ٤٠٧/٦ كلهم عن أم عطية بنحوه.
- (٣) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ٣١٧/١، عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة - أو مكة - فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ: ((يعذبان وما يعذبان في كبير - ثم قال - بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين ووضع على كل قبر منها كسرة، ف قيل يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن تيبسا))، والنسائي، كتاب الجنائز، باب وضع الجريدة على القبر ١٠٦/٤، عن ابن عباس بمثله، وأحمد في مواضع عديدة منها ٢٢٥/١ عن ابن عباس بنحوه.

وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ (١)، وتمسحه بوضوئه ودلكوا وجوههم بنخامته ﷺ (٢)، وأشباه هذا كثيرة مشهورة في الصحيح وكل ذلك واضح لا شك فيه (٣).

وذكر في ترجمة عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازلهم ويصلي في كل مكان صلى فيه ويبرك ناقته في مبرك ناقته، ونقلوا أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس (٤).

ثانياً: التبرك بالصالحين وآثارهم:

سبق وأن ذكرت أن الله تعالى قد أكرم نبيه ﷺ بأن جعله مباركاً في ذاته وأفعاله لهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بذاته وبآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ في حياته وكان يقرهم على ذلك ولم ينكر عليهم، ثم إنهم رضي الله عنهم تبركوا ومن بعدهم من سلف هذه الأمة الصالحين بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به ٨٧/١٥، ولفظه: ((عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه قال: فجاءت ذات يوم فنام على فراشها فأثيت فقبل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستقع عرقه على أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها فضرع النبي ﷺ فقال: ما تصنعين يا أم سليم، فقالت: يا رسول الله نرجو ببركته لصبياتنا قال: أصبت))، وأحمد في مواضع عديدة منها ٢٣٠/٣ عن أنس نحوه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط جزء من حديث طويل ٣٢٩/٥ عن المسور بن مخرمة، وأحمد ٣٢٩/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٨/١٣ - ١٧٩.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١٧٣/١.

مما يدل على مشروعية هذا التبرك^(١).

والمراد بآثاره الحسية المنفصلة منه كالشعر والريق والعرق، أو الأشياء التي استعملها ﷺ وبقيت بعده كالثياب والأنية ونحوها، إذا تقرر ذلك فهل يجوز التبرك بآثار الصالحين وذواتهم؟ يرى بعض العلماء جواز ذلك قياساً على جواز التبرك بالرسول ﷺ.

وهذا خطأ واضح لوجوه منها:

١ / عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة.
٢ / عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحاباة الذين أثى الله عليهم ورسوله أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك أما غيرهم فغاية الأمر أن تظن أنهم صالحون فترجو لهم.

٣ / ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره.

٤ / ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فدل على أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

٥ / ومنها أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتته وتعجبه نفسه،

فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم^(٢).

وقد حقق هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله في تعليقه على

(١) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٨٦ بتصرف واختصار.

كلام الحافظ ابن حجر رحمته الله في ذلك فقال: التبرك بأثار الصالحين غير جائز، وإنما يجوز ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لما جعل الله في جسده وما ماسه من البركة، وأما غيره فلا يقاس عليه لوجهين:

أحدهما: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك مع غير النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان خيرا لسبقونا إليه.

الوجه الثاني: سد ذريعة الشرك، لأن جواز التبرك بأثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم، وعبادتهم من دون الله، فوجب المنع من ذلك ^(١).

والإمام النووي رحمته الله ممن يرى قياس التبرك بأثار الصالحين وذواتهم على التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذاته الكريمة كذلك ابن حجر العسقلاني في الفتح.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بأثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم ^(٢).

من ذلك في شرحه لحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه وقوله: ((أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلى رسول صلى الله عليه وسلم إني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذة مصلى... الحديث...)) ^(٣).

(١) انظر: فتح الباري ٣/١٢٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة ٦٠/٣ - ٦١ عن عتبان بن مالك الأنصاري، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٢/١، والنسائي، كتاب الإمامة، باب الجماعة للنافلة ١٠٥/٢، عن عتبان بن مالك مختصرا، وابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المساجد في الدور ٢٤٩/١ عن عتبان بن مالك مختصرا.

قال رحمته الله: «في هذا الحديث أنواع من العلم تقدم كثير منها ففيه التبرك بأثار الصالحين»^(١).

وفي شرحه للحديث نفسه في كتاب المسجد قال في عد فوائد الحديث: منها: التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة في المواضع التي صلوا فيها^(٢). وفي شرحه لحديث أنس بن مالك قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرز لحاجته فأتيه بالماء فيغتسل به))^(٣).

قال: وفيها خدمة الصالحين وأهل الفضل والتبرك بذلك^(٤). وفي شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال عليه...))^(٥). قال: فيه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل للتبرك بهم^(٦). وفي شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((يلعقها أو يلعقها))^(٧).

(١) شرح صحيح مسلم ٢٤٤/١، وانظر: في التبرك بأثار الصالحين عموما المصدر السابق ٢٣٧/٩، ٣٦/١١، ٨٢/١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦١/٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول ٣٢١/١، عن أنس بن مالك بنحو رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب كراهة التبرز في الطريق عن أنس ١٦٢/٢، والإمام أحمد ١١٢/٣ عن أنس بن مالك بنحوه.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٢/٣.

(٥) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله ١٩٣/٣، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه ٣٢٨/٤، والإمام أحمد في مسنده ٢١٢/٦ عن عائشة رضي الله عنها..

(٦) شرح صحيح مسلم ١٩٤/٢.

(٧) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع قبل أن تمسح بالمنديل ٥٧٧/٩ عن ابن عباس يمثل رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة ٢٠٣/١٣، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسه يده حتى يلعقها أو يلعقها، وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب في المنديل ٣٣٦/٣ عن ابن عباس بنحوه، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في لعق الأصابع ١٦٧/٣ عن أبي هريرة بنحوه، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع عن ابن عباس بمثله ٢٤٢/١، والإمام أحمد في مواضع كثيرة منها ٢٢١/١، عن ابن عباس بمثله.

قال: معناه - والله أعلم - لا يمسح يده حتى يلعقها فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر كزوجة وجارية وولد وخادم يحبون ويتلذذون بذلك ولا يتقذرون، وكذا من كان في معناهم كتلميذ يعتقد بركته ويود التبرك بلعقها.... (١).

وفي شرحه لحديث تحنيك الرسول ﷺ لولد أم سليم (٢) ذكر فوائد منها: حمل المولود عند ولادته إلى واحد من أهل الصلاح والفضل يحنكه بتمرة ليكون أول ما يدخل في جوفه ريق الصالحين فيتبرك به (٣).

وعن التبرك بفضل طعامهم وشرابهم قال في شرحه لحديث جابر بن عبد الله: ((مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي علي فتوضأ ثم صب علي من وضوئه فأفقت... الحديث)) (٤): وفيه التبرك بآثار الصالحين وفضل طعامهم وشرابهم ونحوهما وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك (٥).

(١) شرح صحيح مسلم ٢٠٦/١٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء ٢٧٩/١٠، عن أنس بنحو رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب جواز وسم الحيوان غير الأدمي في غير الوجه ٨٩/١٤، عن أنس قال: لما ولدت أم سليم قالت: يا أنس انظر هذا الغلام فلا يصبن شيئاً حتى تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه، قال: فعدوت فإذا هو في الحائط وعليه خميصة جونية وهو بسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٠/١٤، وانظر كلامه ١٢٣/١٤، ١٢٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة المغمى عليه ١١٤/١٠، عن جابر بن عبد الله بنحو رواية مسلم، ومسلم، كتاب الفرائض ٥٤/١١ - ٥٥، عن جابر بن عبد الله، وأبو داود، كتاب الفرائض، باب من كان ليس له ولد وله أخوان ١١٩/٢، عن جابر بنحوه، وابن ماجه، كتاب الفرائض، باب الكلالة ٩١١/٢ عن جابر بنحوه.

(٥) شرح صحيح مسلم ٥٥/١١.

وفي شرحه لحديث أبي أيوب الأنصاري: ((كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام أكل منه وبعث بفضله إلي... الحديث)) (١).

قال: «قال العلماء: في هذا أنه يستحب للأكل والشارب أن يفضل مما كان ويشرب فضلة ليواسي بها من بعده لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته» (٢).

وفي شرحه لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وقولها: ((هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت إلي جبة طيالة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجها مكفوفين بالديباج فقال: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها)) (٣).

قال رحمته الله: «في هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم» (٤). وما ذهب إليه النووي لا يصح من عدة وجوه - كما سبق -.

٢ / البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها وتجسيصها والقعود عليها والصلاة إليها: نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والصلاة إليها واتخاذها عيداً، وأمر بتسويتها وعدم رفعها عن الأرض كالبيت، كما نهى عن تجسيص القبر، والقعود عليه، كل ذلك سد لذريعة الشرك.

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم ٩/١٤، عن جابر بن سمرة عن أبي أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام أكل منه وبعث بفضله إلي وإنه بعث إلي يوماً بفضله ولم يأكل منها لأن فيها ثوماً فسألته أحرام هو؟ قال: لا ولكني أكرهه من أجل ريحه فإنني أكره ما كرهت، ورواه أحمد في عدة مواضع منها ٩٤/٥ عن جابر بن سمرة بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩/١٤، وانظر ١١/١٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم الذهب والحزير على الرجال وإباحته للنساء ٤٢/١٤، والإمام أحمد ٣٤٨/٤ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بنحوه.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٤/١٤، وانظر ٦٧/١٤.

ومن عظم القبور وبنى عليها المساجد إلى غير ذلك مما تقدم فهو مناقض لما أمر به رسول الله ﷺ، محاد لما جاء به، لأن ذلك من الكبائر. وقد تعرض النووي لأحكام القبور في شرحه لأحاديث النهي عن البناء عليها وتخصيصها والقعود عليها والصلاة إليها... وما إلى ذلك وبين ﷺ أن ذلك مخافة الفتنة والمبالغة في التعظيم المفضية إلى الشرك.

فقال ﷺ في شرحه لحديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجال الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))^(١).

قال: باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد^(٢).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياءهم وصالحيهم مساجد أفلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك))^(٣).

قال ﷺ: «قال العلماء إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ١١/٥، والبخاري في مواضع عديدة منها: كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر ٢٠٨/٣ عن عائشة رضي الله عنها، والنسائي، كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٤١/١، عن عائشة بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١١/٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ١٣/٥ عن جندب.

إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ولما احتاجت لصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لتلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ولهذا قال في الحديث: ((ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا))^(١) والله تعالى أعلم بالصواب»^(٢).

وفي شرحه لقول جابر: ((نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه))^(٣).

قال رحمه الله: «في هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود، والمراد بالقعود: الجلوس عليه، هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء»^(٤).

(١) جزء من حديث رواه البخاري، باب النهي عن بناء المسجد واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ١٢/٥، والإمام أحمد ٨٠/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣/٥ - ١٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه ٢٧/٧، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر ٢١٦/٣، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها ٢٥٨/٢، والنسائي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تجصيص القبور ٨٨/٤، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها ٤٩٨/١، وأحمد ٣٣٢/٣ كلهم عن جابر بنحوه.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٧/٧.

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خيره من أن يجلس على قبر))^(١).

قال ﷺ: «قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه، وأما البناء عليه فإن كان في ملك الباني فمكروه وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الإمام الشافعي والأصحاب. قال الشافعي في الأم: ورأيت الأئمة بمكة يأمرن بهدم ما بينى، ويؤيد الهدم قوله: ((ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))^(٢)»^(٣).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها))^(٤).
قال ﷺ: «فيه تصريح بالنهاي عن الصلاة إلى قبر، قال الشافعي ﷺ: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى بعده

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه ٢٧/٧، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر ٢١٧/٣ عن أبي هريرة بمثله، والنسائي، كتاب الجنائز، باب في التشديد في الجلوس على القبور ٩٥/٤ عن أبي هريرة بنحوه، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها ٤٩٩/١ عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد ٣١١/٢ عن أبي هريرة بمثله.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ٣٦/٧، عن أبي الهياج الأسدي، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر ٢١٥/٣، والترمذي في أبواب الجنائز، باب ما جاء في تسوية القبر ٢٥٦/٢ عن أبي الهياج الأسدي، والنسائي، كتاب الجنائز، باب تسوية القبور إذا رفعت ٨٩/٤، كلهم عن أبي الهياج الأسدي.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٧/٥ - ٣٨.

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز في المسجد ٣٨/٧ عن أبي مرثد الغنوي، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر ٢١٧/٣ عن أبي مرثد الغنوي بمثله، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية الوطء على القبور والجلوس عليها ٢٥٧/٢ عن أبي هريرة، والنسائي، كتاب القبلة، باب النهي عن الصلاة إلى القبر ٦٧/٢ عن أبي مرثد الغنوي بمثله، وأحمد ١٣٥/٤ عن أبي مرثد بمثله.

من الناس»^(١).

قال رحمه الله: «ولو أوصى بأن يبنى عليه في قبره مسبلة للمسلمين لم تنفذ وصيته بل ذلك حرام»^(٢).

ففي ما تقدم ذكر رحمه الله أن بناء المساجد على القبور منهي عنه، خوفا من المبالغة في تعظيم القبور بها لأن ذلك يفضي إلى الشرك كذلك بين أن تجصيص القبر مكرهه والقعود عليه محرم. وقد أصاب النووي رحمه الله في أقواله هذه.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة، أو مملوكة، إلا أنه في المملوكة أشد، ولا عبرة بمن شذ من المتأخرين فأباح ذلك، إما مطلقا وإما في المملوكة».

قال الإمام أبو محمد بن قدامة رحمه الله: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))^(٣)، يحذر مما صنعوا، ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨/٧.

(٢) الأذكار ٢٤٠.

(٣) رواه البخاري في مواضع عديدة منها: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٢٠٠/٣، عن عائشة رضي الله عنها، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ١٢/٥، عن أبي هريرة، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر ٢١٦/٣، عن أبي هريرة بنحوه، والنسائي، كتاب الجنائز، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٤٠/٢، عن ابن عباس، وأحمد في مواضع عديدة منها ٢١٨/١ عن عائشة.

تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها^(١).

ووجه النهي عن البناء والتجسيص في القبور أن ذلك مباحة واستعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبه بمن كان يعبد القبور ويعظمها، وباعتبار هذه المعاني وبظاهر هذا النص^(٢) ينبغي أن يقال: هو حرام كما قال بعض أهل العلم^(٣)، كما أنها وسيلة وذريعة إلى تعظيمها وعبادتها.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٢٢.

(٢) حديث جابر تقدم تخريجه ص ٣٤٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٣، ٣٣٤.

الباب الثالث

منهجه في سائر أصول الإيمان

وفيه فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

الفصل الثاني: الإيمان بالرسول

الفصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر

الفصل الرابع: في القدر

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيمان إلا به، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح المؤمنين بها، تصديقا لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ سُبُحَاتِهِ﴾^(١).

والإيمان بالملائكة ينتظم في معان:
أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدروا الله عليه والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعوتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم إلى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض^(٢).

الرابع: ما كلفوا به من أعمال كالنزول بالوحي، والنفخ في الصور، وقبض الأرواح...

وكلام النووي رحمته الله عن هذا الأصل من أصول الإيمان (الإيمان

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) الحبايك في أخبار الملائك للسيوطي، تحقيق: أبو هاجر بسبوني، ٩، ١٠.

بالملائكة) موافق لما عليه أهل السنة وأئمة الإسلام، وقد جاء كلامه في ذلك متفرقا على حسب ورود ذكرهم في أحاديث صحيح الإمام مسلم رحمته الله وهو لم يتعرض لمسائل خلافية فيما يتعلق بالملائكة إلا مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء، وما الذي تكتبه الملائكة؟ كما أثبت رحمته الله أنهم يرون فيراهم الأنبياء ويمكن رؤيتهم لبعض صالحي البشر كالصحابه والأولياء كما حدث في غزوة أحد.

والذي أركز عليه في هذا الفصل مسألتان:

الأولى: التفضيل بين الملائكة والأنبياء.

الثانية ما الذي تكتبه الملائكة الكتابة؟

وأشير إلى ما أشار إليه رحمته الله فيما يتعلق بالملائكة بإيجاز.

المسألة الأولى: التفضيل بين الملائكة والأنبياء:

مسألة التفضيل بين الملائكة وصالحي البشر من المسائل التي تكلم فيها الناس، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولا، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة^(١).

والتفضيل في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل لا على الأفضلية ولا نزاع في ذلك، كما أن أدلة الفريقين متكافئة^(٢).

والنووي رحمته الله ممن يقول بتفضيل الأنبياء على الملائكة، قال رحمته الله في

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤١٠/٢.

(٢) المصدر السابق ٤١٢/٢، ٤١٣.

شرحه لقوله ﷺ: ((وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء هم خير منهم))^(١).
«هذا مما استدلت به المعتزلة من وافقهم على تفضيل الملائكة على
الأنبياء ﷺ واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).
فالتقيد بالكثير احتراز من الملائكة.

ومذهب أصحابنا وغيرهم من الأنبياء أفضل لقوله تعالى في بني إسرائيل:
﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، والملائكة من العالمين ويتأول هذا الحديث على
أن الذاكرين غالبا ما يكونون طائفة لا نبي فيهم، فإذا ذكره الله تعالى في
خلائق من الملائكة كانوا خير من تلك الطائفة^(٤).

وقال في موضع آخر: «مذهب أهل السنة أن الأدميين أفضل من
الملائكة»^(٥).

ومن أدلة أصحاب هذا القول:

١ - أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم
ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾^(٦)، قال
الآخرون: إن سجد الملائكة كان امتثالا لأمر بهم، وعبادة وانقيادا وطاعة
له، وتكريما لآدم وتعظيما ولا يلزم من ذلك الأفضلية، أما امتناع إبليس،

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/١٧.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣٧/١٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه.

٢ - إن الملائكة لهم عقول، وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

قال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة، وترك الونى والفتور فيها، ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

٣ - أن الله تعالى جعل الملائكة جعل الملائكة رسلا إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم وهذا الكلام قد اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل واستدل لهم به أقوى، فإن الأنبياء والمرسلين إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول المكي يكون رسولا إلى الرسول البشري.

٤ - قالوا: إنما تكلمنا في تفضيل صالحى البشر إذاكملوا ووصلوا إلى غايتهم، وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه.

قال الآخرون: الشأن في أنهم صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سلم المدعى وإلى فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١)، وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

عليه ، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستتكف الوزير أن يكون خادماً للملك ، ولا الشرطي أو الحارس ، وإنما يقال: لن يستتكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى ، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره إذ لم يقل أحد: إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة أحسنها أو من أحسنها أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه ، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد ، وعيسى عليه السلام لا يستتكف عنها ولا من أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً ، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

٢ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ^(١) ، ومثل هذا يقال بمعنى: إنني لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتي ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: أن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَحْمِشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ ^(٢).

فأمر أن يقول لهم: إنني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب ، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

٣ - ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل قال: ((يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ

(١) سورة الأنعام ، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الفرقان ، الآية: ٧.

ذكرته في مآخِرِ مَنْهُمْ»^(١)، الحديث، وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد (خير) منه للمذكور لا الخيرية المطلقة^(٢).

وخلاصة الكلام في هذه المسألة:

- ١ - أنها مسألة لم يكثر السلف من الخوض فيها.
- ٢ - وليس في تحقيقها كبير ثمرة وفائدة.
- ٣ - ولابن تيمية رحمته الله جمع بين الأقوال خلاصته: أن الملائكة أفضل من حيث الابتداء لأي في الدنيا حيث إن العباد لهم ذنوب وهم لا يذنبون، وصالحو بني آدم أفضل من حيث الانتهاء لودلك إذا نقوا ودخلوا الجنة.

المسألة الثانية: ما الذي تكتبه الملائكة الكتبة؟

اختلف العلماء في أنه هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحاً أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟ وهل الملائكة تكتب ذكر القلب أم لا؟

والنووي رحمته الله ذكر الخلاف في هذه المسألة فقال رحمته الله: «اختلف السلف والعلماء في أنه هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحاً لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية أم لا يكتب لا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب والي الثاني ذهب بن عباس رضي الله عنهما وغيره من العلماء وعلى هذا تكون الآية مخصوصة أي ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات لئلا ينجر صاحبها إلى المحرمات أو المكروهات»^(٣).

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٤١٤/٢ إلى ٤٢٢ باختصار.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٩/٢.

وقال عن المسألة الثانية التي هي كتابة الملك لعمل القلب: «اختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقليل تكتبه ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها وقيل لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله قلت الصحيح أنهم يكتبونه وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده والله أعلم»^(١).

وتكلم رحمته الله عن رؤية البشر للملائكة فقال رحمته الله: «رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء»^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١٥/١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨/١٦، ٨٢/٦.

الفصل الثاني

الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

ومن لم يؤمن بالرسل فقد ضل وخسر ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٢).

ومن كفر بالرسل أو بيبعضهم وهو يزعم أنه يؤمن بالله فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٣) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ (٤).

قال النووي رحمه الله: «قوله تعالى: لا نفرق بين أحد من رسله: لا نفرق بينهم في الإيمان فتؤمن بيبعضهم ونكفر بيبعض كما فعله أهل الكتابين بل تؤمن بجميعهم...» (٤). وهذا الذي قاله النووي رحمه الله هو الذي عليه جميع علماء الأمة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١، وانظر: الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر ١٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٤٥/٢.

المبحث الأول

دلائل النبوة

الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى عباده يأمرونهم بطاعتهم فيما أمرهم به وترك ما نهوهم عنه وتصديقهم فيما أخبروا به، أقام الله تعالى الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدقهم في دعواهم، كي تقوم الحجة على الناس قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(١)، أي بالدلائل والآيات البينات التي تدل على صدقهم^(٢).

وأفراد في الأدلة الدالة على صدق كل رسول كثيرة متنوعة، وقد عدّ الذي ألفوا في دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ أدلة نافذة على الألف عند بعضهم، ويمكن تقسيم هذه الأدلة إلى أقسام يضم كل قسم منها مجموعة متشابهة، وترجع أفراد الأدلة إلى خمسة أمور:

الأول: الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقا لرسوله.

الثاني: بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين.

الثالث: النظر في أحوال الأنبياء.

الرابع: النظر في دعوة الرسل.

الخامس: نصر الله وتأييده لهم^(٣).

والنوي رحمه الله لم يتناول من هذه الدلائل سوى المعجزات فيسير إلى هذه المعجزات في شرحه للأحاديث المتضمنة لها وهي كثيرة جدا أذكر بعضها وأشير إلى مواقع البقية إشارة.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) انظر: الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر ١١٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ١١٩، ١٢٠.

قال رحمه الله: «ومعجزات النبي ﷺ ضربان: أحدهما: القرآن وهو منقول تواترا.

والثاني: مثل تكثير الطعام والشراب ونحو ذلك»^(١).

ويعتقد رحمه الله أن الدليل القاطع على النبوة هو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة ففي شرحه لحديث هرقل^(٢) وقوله: ((إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي)).

قال رحمه الله: «قال العلماء: هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القديمة، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات، وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة»^(٣). وهذا هو مذهب الأشاعرة.

قال الجويني: «فإن قيل هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة؟»

قلنا: ذلك غير ممكن، فإن ما يقدر دليلا على الصدق لا يخلو: إما أن يكون معتادا، وإما أن يكون خارقا للعادة، فإن كان معتادا يستوي فيه البر والفاجر، فيستحيل كونه دليلا.

وإن كان خارقا للعادة يستحيل كونه دليلا دون أن يتعلق به دعوى النبي إذا كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى، فإذا لم

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/٣٥.

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الإيمان بدون ترجمة رقم ٥١/١٢٥، عن ابن عباس، ورواه مسلم، كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ ١٢/١٠٣ - ١١٠، والإمام أحمد ١/٢٦٣، عن ابن عباس.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢/١٠٧.

يكن بد من تعلقه بالدعوى فهو المعجزة بعينها^(١).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «وقد اتفق على أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة»^(٢).

وفي شرحه لحديث انشقاق القمر^(٣) قال رحمته الله: قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا عليه السلام، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.

قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي للملكة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشار كما يفنيه ويكوره في آخر أمره.

وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كوسف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه، وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم

(١) الإرشاد ٣٣١.

(٢) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنجارات، تحقيق: د. رتشد يوسف مكارثي اليسوعي ٣٨.

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ١٧/١٤٣ عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله عليه السلام بشقتين فقال رسول الله عليه السلام: ((اشهدوا))، ورواه أحمد ١/٣٧٧ عن ابن مسعود بمثل رواية مسلم، والترمذي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة القمر ٧١/٥، عن ابن مسعود نحوه.

سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها.

قالوا: وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد، والله أعلم^(١).

الرد على الأشاعرة في زعمهم أن دليل النبوة هو المعجزة:

١ - نقول: لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة؟

٢ - الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أمورا يبين فيها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمرا أحدهما صادق والآخر كاذب لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، ولهذا قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْبَيْكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٣٣﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٥﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾﴾^(٢).

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علما يقينا أنه

ليس بشاعر ولا كاهن.

(١) شرح صحيح مسلم ١٧/١٤٣، ١٤٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١ - ٢٢٦.

٣ - أن النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟! ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه ومزحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمر تظهر على وجهه قد لا يمكن التعبير عنها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (١).

ثم قال: (ولتعرفنهم في لحن القول)، وقد قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله؟! كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!.

٤ - إن ما يحصل في القلب بمجموع أمور قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان مع شبع وري وشكر وفرح وغم بأمر مجتمعة لا يحصل ببعضها لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه إلى أن ينتهي إلى العلم حتى يتزايد ويقوى وكذلك الأدلة على الصدق والكذب.

٥ - أن الله تعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة كتواتر الطوفان وإغراق فرعون وجنوده.

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبيا بعد نبي في سورة الشعراء كقصة موسى وإبراهيم ومن بعده يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٦٧) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦٨).^(١)

٦ - أن من الرسل من لم يذكر له معجزة، كنبى الله هود - وغيره -

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

المبحث الثاني

عصمة الأنبياء

اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحاه إليه، إلا شيئاً أراد الله أن ينيه إياه قال تعالى:

﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۗ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۗ﴾ (١).

وهم معصومون في التبليغ لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة والرسول يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ﴾ (٢).

كذلك من العصمة في التبليغ أن لا ينسوا شيئاً مما أوحاه الله إليهم، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى:

﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۗ﴾، ومما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ﴾ (٣)(٤).

أما العصمة من الذنوب فقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر "أبو الحسن الأمدي

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٦ - ٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٤) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر ٩٧، ٩٨ باختصار.

«أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»^(١).

والإمام النووي رحمته الله على مذهب أهل السنة في ذلك يعتقد عصمة الأنبياء في التبليغ، وعصمتهم من الوقوع في الكبائر دون الصغائر.

قال رحمته الله: «أعلم أن النبي صلوات الله وسلامه عليه معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها»^(٢).

وقال في شرحه لقوله صلوات الله وسلامه عليه: ((لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، ووحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس...))^(٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٩/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩٠/١١.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام ١٢٣/١٥ - ١٢٥، وتاممه: ((فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتى بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأولىين فقال ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك ففعلت وأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر قال فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها مهيم قالت خيرا كف الله يد الفاجر وأخدم خادما قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بني ماء السماء)).

قال المازري: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله فالأنبياء معصومون منه سواء كثيره وقليله، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصفات كالكذبة الوحيدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف.

قال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منه أم لا وسواء قلّ الكذب أم كثر لأن منصب النبوة يرتفع عنه وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم.

ثم ذكر الجواب على كذبات إبراهيم عليه السلام فقال: «الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع وأما في نفس الأمر فليست كذبا مذموما لوجهين: أحدهما: أنه ورى بها فقال في سارة: أختي في الإسلام وهو صحيح في باطن الأمر، والوجه الثاني: أنه لو كان كذبا لا تورية فيه لكان جائزا في دفع الظالمين»^(١).

وفي موضع آخر كان أكثر تفصيلا وبيانا لهذه المسألة فقال رحمته الله: «اعلم أن العلماء من أهل الفقه والأصول وغيرهم اختلفوا في جواز المعاصي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقد لخص القاضي رحمته الله مقاصد المسألة فقال: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز، بل هم معصومون منه، واختلفوا فيه قبل النبوة، والصحيح أنه لا يجوز، وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة».

ثم قال: «وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال».

(١) شرح صحيح مسلم ١٢٤/١٥، وانظر كلام المازري في: المعلم ١٣١/٢ والقاضي في الإكمال ١/ق ١٤١ ب.

وأما ما كان طريقه الإبلاغ في الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأساً وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه.

وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة وغيرها...، وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الإسفراييني^(١)، من أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغيره من المشايخ المتصوفة، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم، وهذا هو الحق، ثم لا بد من تبييهم عليه وذكرهم إياه إما في الحين على قول جمهور المتكلمين، وإما قبل وفاتهم على قول بعضهم ليسنوا حكم ذلك ويبيئوه قبل انخرام مدتهم، وليصح تبليغه ما أنزل إليهم وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصفائر التي تزري بفاعلها وتحظ منزلته وتسقط مروءته.

واختلفوا في وقوع غيرها من الصفائر فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصفائر كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجلب عن مواقعها وعن مخالفة الله تعالى عمداً، وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها، وأن ما ذكر عنهم من ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل أو سهو من إذن الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخظة بها، وأشياء منهم قبل النبوة، وهذا المذهب هو الحق لما قدمناه، ولأنه لو صح منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم، وكثير من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك وإنما اختلاف العلماء هل ذلك على الوجوب أو على الندب أو

(١) هو: طاهر بن محمد الإسفراييني الطوسي صاحب التفسير الكبير، وكان أحد الأعلام فقيهاً أصولياً، توفي بطوس سنة إحدى وسبعين وأربع مائة. السير ٤٠١/١٨ - ٤٠٢، تبين كذب المفترى ٢٧٦.

الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب أو غيرها.

قال القاضي رحمته الله: « وقد بسطنا الكلام على هذا الباب في كتابنا الشفا^(١) ، وبلغنا فيه المبلغ الذي لا يوجد في غيره، وتكلمنا على الظواهر في ذلك بما فيه كفاية ولا يهولنك أن ينسب قوم هذا المذهب إلى الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة، إذ منزعهم فيه هو منزع آخر من التكفير بالصغير، ونحن نتبرأ إلى الله من هذا المذهب، وانظر هذه الخطايا التي ذكرت للأنبياء من أكل آدم عليه السلام من الشجرة ناسيا ومن دعوة نوح عليه السلام على قوم كفار^(٢) وقتل موسى عليه السلام لكافر لم يؤمر بقتله ومدافعة إبراهيم عليه السلام الكفار بقوله: عرض به هو فيه من وجه صادق وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى وعتب على بعضهم فيها لقدر منزلتهم من معرفة الله تعالى هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى والله أعلم^(٣) .

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض ١٤٤/١ وما بعدها.

(٢) دعاء نوح عليه السلام على قومه الكفار جعله عليه السلام من الذنوب فاعتذر عن الشفاعة يوم القيامة لمقام النبوة، ولأنه دعا على قوم لم يؤمر بالدعاء عليها نصا، وإن كان قد أعلم عواقبهم فدعا عليهم بالهلاك، قال تعالى: "إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"، انظر: تفسير القرطبي ٣١٢/١٨، ٣١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٣/٣، ٥٤، ٥٥، وله كلام مختصر في شرحه لبعض الأحاديث، انظر: المصدر السابق ٦١/١٥، ٦١، ١٥٦/١٤، ٥٧/٣، ١٥٢/١٧.

المبحث الثالث

التفضيل بينهم

أخبر الله تعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾^(١).

وقال عن الرسل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٢).

والنووي رحمه الله قد ذكر ذلك وأجاب عن بعض الأحاديث التي ظاهرها التفضيل بين الأنبياء، ففي شرحه لقوله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع))^(٣).

قال رحمه الله: هو أفضل الأدميين وغيرهم، وأما الحديث الآخر: ((لا تفضلوا بين الأنبياء))^(٤)، فجوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.
والثاني: قاله أدبا وتواضعا.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ٢٧/١٥، عن أبي هريرة، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٢١٨/٤ عن أبي هريرة نحوه، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب النبي ﷺ ٢٤٧/٥، عن أبي سعيد بنحوه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ١٤٤٠/٢ عن أبي سعيد نحوه، وأحمد ٥٤٠/٢ عن أبي هريرة نحوه.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين" ٤٥٠/٦، عن أبي هريرة بلفظ: ((لا تفضلوا بين أولياء الله))، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل موسى ﷺ ١٣٠/١٥ عن أبي هريرة، وأحمد ٤١/٣ عن أبي هريرة نحو لفظ مسلم.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.
والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور
في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها
وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال
الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَلْسُلُ فَضِّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢، وانظر: شرح صحيح مسلم ٢٧/١٥، ٢٨، ١٢١/١٥، ١٥، ١٣٢،
والفتاوى للنووي ١٩٥، ١٩٦.

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأول

الروح

تكلم النووي رحمته الله عن الروح من حيث:

- ١ - تعريفها.
- ٢ - بقاء الروح وأنها لا تقنى.
- ٣ - مستقر الأزواج بعد الموت.
- ١ / تعريفها وماهيتها:

اختلف الناس فيما يتعلق بالروح من حيث تعريفها وخلقها وبقاؤها ومستقرها وغير ذلك اختلافا كبيرا، وقد ذكر النووي كثيرا من أقوالهم في تعريفها ورجح أنها: جسم لطيف متخلل للبدن إذا فارقتة مات. فقال رحمته الله: «قال القاضي: وقد اختلف الناس في الروح ما هي اختلافا لا يكاد يحصر فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن المتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١) وغلت الفلاسفة فقالت بعدم الروح وقال جمهور الأطباء هو البخار اللطيف الساري في البدن.

وقال كثيرون من شيوخنا هو الحياة وقال آخرون هي أجسام لطيفة مشابهة للجسم يحيى لحياته أجرى الله تعالى العادة بموت الجسم عند فراقه وقيل هو بعض الجسم ولهذا وصف بالخروج والقبض وبلوغ الحلقوم وهذه صفة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

الأجسام لا المعاني وقال بعض مقدمي أئمتنا هو جسم لطيف متصور على صورة الإنسان داخل الجسم وقال بعض مشايخنا وغيرهم إنه النفس الداخل والخارج.

وقال آخرون هو الدم هذا ما نقله القاضي والأصح عند أصحابنا أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن فاذا فارقت مات»^(١).

وفي شرحه لحديث سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح^(٢): قال ﷺ: « قال المازري الكلام في الروح والنفس مما يغمض ويدق ومع هذا فأكثر الناس فيه الكلام وألفوا فيه التأليف.

قال أبو الحسن الأشعري هو النفس الداخل والخارج وقال بن الباقلاني هو متردد بين هذا الذي قاله الأشعري وبين الحياه وقيل هو جسم لطيف مشارك للأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة وقال بعضهم لا يعلم الروح إلا الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

وقال الجمهور هي معلومة واختلفوا فيها على هذه الأقوال وقيل هي الدم وقيل غير ذلك وليس في الآية دليل على أنها لا تعلم ولا أن النبي ﷺ لم يكن

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢/١٣، ٣٣، و٢٢٢/٦، وانظر: المجموع ١٤/٢.

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب العلم، باب قوله تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" ٢٢٢/١ عن ابن مسعود، ورواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، وقوله تعالى: "يسألونك عن الروح" ١٣٦/١٧، ١٣٧، عن عبد الله بن مسعود قال: ((بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقالوا ما رابكم إليه لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح قال فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه قال فقمت مكاني فلما نزل الوحي قال: "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً")، والترمذي، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل ٣٦٦/٤ عن ابن عباس، ورواه أحمد ٢٥٥/١ عن ابن عباس

يعلمها وإنما أجاب بما في الآية الكريمة لأنه كان عندهم أنه إن أجاب بتفسير الروح فليس بنبي»^(١).

فالنووي رحمه الله يختار أن الروح معلومة وأنه ليس في قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢)، ما يدل على أنها لا تعلم، وهذا صحيح - والله أعلم فيما يتعلق بذاتها وصفاتها لا باختيار تعريف لها يجب أن يكون جامعاً مانعاً.

« وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء»^(٣).

ولعل أقرب التعاريف للروح ما اختاره ابن القيم رحمه الله أنها: «جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم»^(٤).

٢/ بقاء الروح وأنها لا تفتنى:

اختار النووي رحمه الله أن الأرواح لا تفتنى بل هي باقية إما في نعيم وإما في عذاب، وموتها إنما هو انتقال وتغير حال لا فناء وإعدام.

ففي شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم عن أرواح الشهداء: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٧/١٧، ١٢٨، ١٢٩، وانظر كلام المازري في: المعلم ٢٠٢/٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٣١/٤.

(٤) الروح لابن القيم، تحقيق: السيد الجميلي ٢٧٦.

نشتهي ونحن نسرح... الحديث))^(١).

قال رحمته الله: «قال القاضي: وفيه أن الأرواح باقية لا تفتنى فينعم المحسن ويعذب المسيء وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السنة خلافا لطائفة من المبتدعة قالت: تفتنى»^(٢).

ويرى أن الموت ليس بإفناء وإعدام وإنما هو انتقال وتغير حال وإعدام الجسد دون الروح، فقال رحمته الله: «الموت ليس بإفناء وإعدام إنما هو انتقال وتغير حال وإعدام الجسد دون الروح إلا ما استثنى من عجب الذنب»^(٣). وهذا - والله أعلم - هو الحق الذي دلت عليه النصوص الصحيحة.

قال ابن القيم رحمته الله: «والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب»^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ٣١/١٣، ٣٣، وتاممه: ((ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا فضل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)) عن عبد الله بن مسعود، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة ١٥/٣ عن ابن عباس بنحوه، والترمذي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران ٢٩٩/٤، عن ابن مسعود نحوه، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر ٤٦٦/١ عن كعب بن مالك، وأحمد ٢٦٦/١ عن ابن عباس بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١/١٣، وانظر كلام الفاضلي في: الإكمال ٥/ق ١١٣ ب.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٤/٦.

(٤) الروح ٧٠، ٧١.

٣ / مستقر الأرواح بعد الموت:

ذكر النووي رحمه الله مستقر أرواح المؤمنين والكفار بعد الموت في شرحه

لحديث الإسراء (١).

فقال رحمه الله: «قد جاء أن أرواح الكفار في سجين، قيل في الأرض السابعة

وقيل تحتها، وقيل في سجن، وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة، فيحتمل أنها

تعرض على آدم أوقاتا وقت عرضها مرور النبي ﷺ، ويحتمل أن كونهم في

النار والجنة إنما هو في أوقات دون أوقات بدليل قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (٢) (٣).

وهذه المسألة مسألة مستقر الأرواح بعد الموت قد وقع فيها خلاف بين

الناس وقد جمع ابن القيم رحمه الله الكثير من الأقوال ونسبها إلى أصحابها

وذكر أدلتهم إن وجد، وردّ الأقوال البعيدة عن الصواب ثم ذكر ما دل عليه

(١) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في

الإسراء ٤٥٨/١ عن أنس، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ

وفرض الصلوات ٢١٧/٢ - ٢٢٢، عن أنس بن مالك قال: ((كان أبو ذر يحدث أن رسول الله

ﷺ قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم

ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي

ففرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل ﷺ لخازن السماء الدنيا افتح قال

من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال

فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره

أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحباً بالنبي

الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم ﷺ وهذه الأسودة عن يمينه

وعن شماله نسمة بنو فاهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار...

(الحديث))، ورواه أحمد ١٤٨/٣ عن أنس.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢١٩/٢، وانظر: ٣٢/١٣.

الكتاب والسنة فقال رحمته الله: «فإن قيل: فقد ذكرت أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده؟
 قيل: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت. فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم.
 ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره.
 ومنهم: من يكون محبوبا في الأرض لم تزل روحه إلى الملاء الأعلى فإنها كانت روحا سفلية أرضية.
 ومنها: أرواح تكون في تنور الزنا والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.
 فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض»^(١).

(١) الروح لابن القيم ١٨٧، ١٨٨ باختصار.

المبحث الثاني

أشراط الساعة

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١ - أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد كقبض العلم وظهور الجهل وشرب الخمر والتناول في البنيان ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحبا للأشراط الكبرى أو بعدها.

٢ - أشراط كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها^(١).

والنووي رحمه الله تكلم عن بعض الأشراط الصغرى وكذلك بعض الكبرى على حسب ما يرد في الأحاديث، وأشار إلى نقطة مهمة وهي أنه ليس كل ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم على أنه من علامات الساعة يكون محرما فقال: «ليس كل ما أخبر صلى الله عليه وسلم بكونه من علامات الساعة يكون محرما أو مذموما فإن تناول الرعاء في البنيان وفشو المال وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد ليس بحرام بلا شك وإنما هذه علامات والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك بل تكون بالخير والشر والمباح والمحرم والواجب وغيره والله أعلم»^(٢).

ففي شرحه لحديث جبريل وقوله: ((فأخبرني عن أماراتها قال: إن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان))^(٣).

(١) أشراط الساعة ليوسف الوابل ٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٨/١، ١٥٩، وانظر شرحه لصحيح البخاري ٢٤٧ - ٢٤٩.

(٣) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة عن أبي هريرة ١١٤/١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أمارات الساعة ١٥٠/١ - ١٦٠، عن عمر، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر ٢٢٣/٤، عن ابن عمر، والنسائي، كتاب الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام عن أبي هريرة وأبي ذر ١٠١/٨، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان عن أبي هريرة ٢٥/١، وأحمد ٣١٨/١ عن ابن عباس كلهم بنحو رواية مسلم.

قال رحمته الله: الأمانة والأمار بإثبات الهاء وحذفها هي العلامة، كما عرف الأشراف في رواية: ((ولكن سأحدثك عن أشرافها))^(١).

قال: هي بفتح الهمزة واحدها شرط بفتح الشين والراء، والأشراط العلامات، وقيل: مقدماتها، وقيل: صغار أمورها قبل تمامها وكله متقارب^(٢). وقال في معنى قوله عليه السلام: ((أن تلد الأمة ربتها))، قال الأكثرون من العلماء هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين إما بتصريح أبيه له بالإذن وإما يعلمه بقريضة الحال أو عرف الاستعمال.

وقيل: معناه أن الإمام يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته.

وقيل: معناه أن تصد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان فيكثر ترددها في أيدي المشتريين حتى يشتريها ابنها ولا يدري.

ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور في غيرهن؛ فإن الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة في صورتين صحيحا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد. وقيل في معناه غير ما ذكرناه ولكنها أقوال ضعيفة جدا أو فاسدة.

وقوله عليه السلام: ((وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان)) وأما العالة فهم الفقراء، والعائل الفقير، والعيلة الفقير، وعال الرجل

(١) رواها مسلم، كتاب الإيمان، باب أمارات الساعة عن أبي هرير ١/١٦١.

(٢) شرح صحيح ١/١٦٢.

يعيل عيلة أي افتقر، والرعاء بكسر الراء وبالمد، ويقال فيهم رعاة بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد، ومعناه أن أهل البادية وأشباهم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم في الدنيا حتى يتباهون في البنيان، والله أعلم^(١).

من علامات الساعة الصغرى:

١ - رفع العلم وانتشار الجهل وشرب الخمر وظهور الزنا:

شرح رحمته الله قوله عليه السلام: ((من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل

ويشرب الخمر ويظهر الزنا))^(٢).

وفي رواية: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو

الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)).

فقال: في معنى يثبت الجهل أي ينشر ويشيع، ومعنى تشرب الخمر شربا

فاشيا ويظهر الزنا أي يفشو وينتشر كما صرح به في الرواية الثانية، لوأشراط

الساعة علاماتها، واحدها شرط بفتح الشين والراء، ويقل الرجال بسبب

القتل، وتكثر النساء، فلهذا يكثر الجهل والفساد ويظهر الزنا والخمر

ويتقارب الزان أي يقرب من القيامة ويلقى الشح^(٣)، هو بإسكان اللام

وتخفيف القاف أي يوضع في القلوب، ورواه بعضهم يلقي بفتح اللام وتشديد

(١) المصدر السابق ١٥٩/١.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل ١٧٨/١ عن أنس، ورواه مسلم،

كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٢٢١/١٦، عن أنس

عليه السلام، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة ٢٢٢/٢ عن أنس بنحوه،

وأحمد ١٥١/٣ عن أنس.

(٣) رواية عند مسلم عن أبي هريرة في الموضع السابق ٢٢٢/١٦، بلفظ: ((يتقارب الزمان ويقبض

العلم وتظهر الفتن ويلقى الشيخ ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج قال: القتل)).

القاف، أي يعطى والشح هو البخل بأداء الحقوق والحرص على ما ليس له (١).
ثبوت الجهل وانتشاره وشيوعه لقلّة العلم وذهابه، وذهاب العلم بذهاب
العلماء كما ورد في الحديث الصحيح (٢).

وظهور الزنا وانتشار الخمر لضعف الإيمان، وفساد الناس، أما تقارب
الزمان فقال النووي رحمه الله (يقرب من القيامة) وهذا كلام مجمل.
وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في معنى تقارب الزمان أقوالاً
كثيراً (٣).

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله في معنى تقارب الزمان أن ذلك إشارة
إلى ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية والجوية والآلات الكهربائية التي
قربت كل بعيد.

والمعنى على هذا، يتقارب أهل الزمان كقوله تعالى إخباراً عن إخوة
يوسف أنهم قالوا لأبيهم: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ (٤)،
يعني وأسأل أهل القرية وأصحاب العير (٥).

٢ - الريح التي تكون قرب القيامة تقبض المؤمنين:

في شرحه لقوله ﷺ: ((إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢١/١٦، ٢٢٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١٩٤/١، عن عمرو بن العاص، ومسلم،
كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٢٢٣/١٦ ولفظه:
(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد لكن يقبض العلم بقبض العلماء...)).

(٣) انظر: الفتح ١٩/١٣ ط، الريان.

(٤) شرح صحيح

(٥) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة للشيخ حمود التويجري ١٩٥/٢.

تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته))^(١).

قال: أما معنى الحديث فقد جاءت في هذا النوع أحاديث منها: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله))^(٢).
ومنها: ((لا تقوم على أحد يقول الله الله))^(٣)، ومنها: ((لا تقوم إلا على شرار الخلق))^(٤).

وهذه كلها وما في معناها عل ظاهرها، وأما الحديث الآخر: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة))^(٥)، فليس مخالفا لهذه الأحاديث لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراتها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراتها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم^(٦).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان عن أبي هريرة ١٣٢/٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان ١٧٧/٢، ١٧٨، عن أنس، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في أشرار الساعة ٣٣٣/٣ عن أنس بمثله.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان ١٧٨/٢ عن أنس بمثله.

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدة الزمان ١٣٤٠/٢ عن أنس، وأحمد ٣٩٤/١ عن ابن مسعود.

(٥) رواه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ٢٩٣/١٣ عن المغيرة، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي...)) ٦٦/١٣ عن جابر وغيره، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٧/٤ عن ثوبان، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في أهل الشام ٣٢٨/٣ عن قره، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ٤/١ عن قره، وأحمد ٣٤/٥ عن قره كلهم نحوه.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٣٢/٢، وانظر ١٧٨/٢.

٣ - النار: والمقصود بها النار التي تخرج من أرض الحجاز تضيء أعناق

الإبل ببصرى:

قال في شرحه لحديث حذيفة بن أسيد: وفي رواية نار تخرج من قعر عدن^(١)... وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرح به في الحديث، أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى))^(٢)، فقد جعلها القاضي عياض حاشرة، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن، ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز هذا كلام القاضي وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة، وقد خرجت في زماننا بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة^(٣).

فالنووي رحمته الله يرى أنهما ناران إحداهما من الأشراف الصغرى وقد مضت كما ذكر سنة أربع وخمسين وستمائة، والأخرى التي تسوق الناس إلى محشرهم آخر الزمان وهذا هو الحق^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة عن حذيفة بن أسيد في آخر الرواية: ((ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس)) ٢٨/١٨، ٢٩، وسيأتي تخريجه كاملا ص .

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار ٧٨/١٣ عن أبي هريرة، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة عن أبي هريرة ٣٠/١٨ بدون عنوان عن أبي هريرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٨/١٨، وانظر: ١٩٤/١٧، ١٩٥، والنهاية لابن كثير ١٢/١.

(٤) انظر: الفتح ٨٥/١٣، ط الريان، وإتحاف الجماعة ٢/٢٦٨، ٢٦٩.

أشراط الساعة الكبرى:

أما الأشراط الكبرى: فقد تكلم عن الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج والنار، في شرحه للأحاديث الواردة في صحيح مسلم. والذي أركز عليه هنا ما ذكره من مخالفة أهل البدع في هذه العلامات، أو الخلاف بين أهل السنة، ولن أذكر كل ما قاله في شرحه التفصيلي للأحاديث، إذ لا حاجة إلى ذلك.

١/ الدجال: ففي شرحه لأحاديث ذكر الدجال^(١) قال رحمته الله: «في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدرات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهره واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تثبت فتثبت فيقع كل ذلك بقدره الله تعالى ومشيتته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعى مخارف وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور

(١) رواها مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٥٨/١٨ وما بعدها عن ابن عمر وأنس وحذيفة وغيرهم.

الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتربه الارعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفاً من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الأبواب مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه^(١) والنقص فيصدق من صدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله»^(٢).

قال القرطبي رحمته الله في التذكرة: «الإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافاً لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على إثباته بعض الجهمية وغيرهم، لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل قالوا لأنها لو كانت أموراً صحيحة لكان ذلك إلباساً الكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون الفرق بين النبي والمنتنبى وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه، فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعي النبوة وليس كذلك فإنه إنما ادعى الإلهية»^(٣).

وقد نقل ابن كثير رحمته الله عن ابن حزم والطحاوي رحمته الله أنهما يقولان بأنه لا حقيقة لما مع الدجال من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات، كذلك نقل عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة أنه لا يجوز أن يكون حقيقة

(١) هذه مسحة كلامية عند النووي أخذها من المتكلمين القائلين بدليل حدوث الأجسام المشهور، وهو دليل باطل.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٨/١٨، ٥٩، انظر: الإكمال ٦/ق ١١٩ أ ب.

(٣) التذكرة ٧٥١.

لئلا يشبه خارق الساحر بخارق النبي.

وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنما يدعي الألوهية وذلك مناف لبشريته فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه والحالة هذه^(١).
فالنووي رحمته الله في النقول السابقة ذكر لمسألة خوارق الدجال وأنها تؤدي إلى اختلاط النبي الصادق بالكاذب. ثم أجابوا بأن الدجال يدعي الألوهية ولا يدعي النبوة.

أقول: هذا جواب صحيح لكنه ناقص:

١ / صحيح لأنه يدعي الألوهية لا النبوة.

٢ - وناقص: لأنه حتى لو ادعى النبوة هو أو غيره وجاء ببعض الخوارق فإنه لا يختلط بالنبي الصادق إلا عند المتكلمين الذين حصروا دلائل النبوة بالمعجزة كما ذكرته في تعليقي على مسألة النبوة والمعجزات.

أما عند جمهور أهل السنة فدلائل النبوة متعددة، كما أن دلائل كذب مدعي النبوة متعددة، فمثلاً قد يأتي الكاذب بخارق، لكن يأتي معه بقول أو فعل يدل على صراحة كذبه.

والدليل الواقعي خير شاهد على ذلك فكم من مدعٍ للنبوة منذ عهد النبوة وإلى الآن ولا يلتبس أمره إلا على قلة من اتبعوه لهوى أو لمصالح.. أما جمهور المسلمين فسرعان ما يتبين لهم كذبه ويفضح أمره.

٢ / نزول عيسى عليه السلام:

قال رحمته الله: قال القاضي رحمته الله نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك في بعض المعتزلة والجهمية ومن

(١) النهاية لابن كثير ١/١٠٢، وجواب القاضي في الإكمال ٦/ق ١١٩ ب.

وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَوَاتَمَّ النَّبِيُّ﴾^(١)،
 وبقوله ﷺ: ((لا نبي بعدي))^(٢)، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا
 ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تتسخ، وهذا استدلال فاسد لأنه
 ليس المراد بنزول عيسى ﷺ أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه
 الأحاديث ولا في غيرها أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ويحيي من
 أمور شرعنا ما هجره الناس^(٣).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن
 مريم ﷺ حكما مقسطا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
 ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))^(٤).

قال رحمه الله: (حكما): أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة
 مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة.
 (فيكسر الصليب): معناه يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من
 تعظيمه.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ١١٢/٨ عن سعد ولفظه:
 ((إلا أنه ليس نبي بعدي))، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب
 ﷺ ١٧٥/١٥، بلفظ: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون وموسى غير أنه لا نبي
 بعدي))، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة ٩٨٥/٢ عن أبي هريرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٧٥/١٨، ٧٦، وانظر: الإكمال ٦/٦ ق ١٢٣ أ..

(٤) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير ٤١٤/٤ عن أبي هريرة، ورواه مسلم، كتاب
 الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم ﷺ حاكما ١٨٩/٢، ١٩٠ عن أبي هريرة ﷺ،
 واللفظ له، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم ٣٤٤/٣ عن أبي
 هريرة مثله، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج
 يأجوج ومأجوج ١٣٦٣/١ عن أبي هريرة نحوه، وأحمد ٢٤٠/٢ عن أبي هريرة نحوه.

وأما قوله: (يضع الجزية) فالصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفارة إلى الإسلام، ومن بذلك منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل...

وحكى القاضي عياض رحمته الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية - وهو ضربها على جميع الكفرة - فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام، وإما بإلقاء يد فيضع عليها لجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي، وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام.

وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١).

وكلام النووي هنا قوي ومتمين في أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، وإذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان نزل مجددا لشريعة الإسلام حاكما بها، وهذا يبين كذب بعض النصارى فيما يدعون من أن عيسى هو الخاتم، مما أحدث فتنة عند بعض المسلمين في بعض البلاد الإسلامية وخلص الردود على هذه الدعوى:

١ / أن الرسول الذي ذكر دلائل ختم نبوته هو الذي أخبر عن نزول عيسى

(١) شرح صحيح مسلم ٢/١٩٠، وانظر كلام القاضي في: الإكمال ٦/١٢٣ أ.

في آخر الزمان.

٢ / أن عيسى إذا نزل يحكم بالقرآن وشريعة محمد ﷺ ويحج ويعتمر أي يحكم بالإسلام.

٣ / ومدعوه النصارى يكذبهم بكسر الصليب، ووضع الجزية حيث لا يقبل منهم إلا الإسلام، وقتل الخنزير ودعوتهم إلى الإسلام المحمدي. فنزول عيسى من دلائل نبوة محمد ومن دلائل ختم نبوته أيضا.

وفي شرحه لإحدى روايات الحديث السابق وزيادة ((وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (١) الآية)) (٢).

قال ﷺ: « ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة في الآية أن الضمير في موته يعود على عيسى ﷺ ومعناها وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى ﷺ إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وبن أمته وهذا مذهب جماعة من المفسرين وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابي ومعناها وما من أهل الكتاب احد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وانه عبد الله وبن امته ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه في حضرة الموت وحالة النزع وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها فلا يصح فيها إسلام ولا كفر ولا وصية ولا بيع ولا عتق ولا غير ذلك من الأقوال لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ﴾ (٣) وهذا المذهب أظهر فان الأول يخص

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٢) رواه مسلم في الموضع السابق ١٩١/٢ عن أبي هريرة.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.

الكتاب، وظاهر القرآن عمومه لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزله ويؤيد هذا قراءة من قرأ: (قبل موتهم) وقيل إن الهاء في (به) يعود على نبينا محمد ﷺ والهاء في موته تعود على الكتابي، والله أعلم»^(١).

ولعل الأرجح أن المراد بالآية: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ﷺ، قال ابن جرير الطبري في تفسيره بعدما ذكر الأقوال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى^(٢).

فإنه قد روى في تفسيره عن ابن عباس: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال: قبل موت عيسى بن مريم^(٣).

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح^(٤).

ثم قال ابن كثير: وقد روي عن ابن عباس وغيره أنه أعاد الضمير في قوله: (قبل موته) على الكتابي، وذلك لو صح لما كان منافيا لهذا، ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه^(٥).

٣ / يأجوج ومأجوج:

لم يتعرض النووي ﷺ لما يتعلق بيأجوج ومأجوج في شرح أحاديث أشرطة الساعة، إنما سئل في كتاب الفتاوى: يأجوج ومأجوج هل هم من أولاد حواء؟ وكم صح في قدر أعمارهم؟

(١) شرح صحيح مسلم ٢/١٩١، ١٩٢.

(٢) جامع البيان ٦/١٦٦.

(٣) شرح صحيح

(٤) النهاية ١/١١٨.

(٥) المصدر السابق والجزء والصفحة.

فقال رحمته الله: هم من ولد آدم من حواء عند عن جماهير العلماء، وقيل: إنهم من بني آدم لا من حواء، فيكنون إخوتنا لأب، ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء، وذكر المفسرون وأهل التاريخ في ذلك أشياء لا تثبت^(١).

وفي موضع آخر قال: وأما يأجوج ومأجوج فهما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أجيح النار وهو صوتها وشررها شهبوا به لكثرتهم وشدتهم واضطرابهم بعضهم في بعض.

قال وهب بن منبه^(٢) ومقاتل بن سليمان^(٣) هم من ولد يافث بن نوح. قال الضحاك^(٤): هم جيل من الترك.

وقال كعب^(٥): هم بادرة من ولد آدم من غير حواء، قال: وذلك أن آدم عليه السلام احتلم، فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج،

(١) فتاوى الإمام النووي ١١٦.

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سيج ذي كبار الأنباري الصنعاني الإمام العلامة الإخباري القصصي التابعي الثقة، ولي قضاء صنعاء وكان ذا عبادة وزهد وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، توفي سنة ١١٠هـ. انظر ترجمته في: السير ٥٤٤/٤ - ٥٧٧، البداية والنهاية ٢٧٦/٩.

(٣) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي من المفسرين، قال ابن المبارك عنه: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقد أجمعوا على تركه، ورمي بالتجسيم، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. انظر: السير ٢٠١/٧، ٢٠٢، الشذرات ٢٢٥/١، التقريب ٢٧٢/٢.

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان يعلم الصبيان دون أجره، توفي سنة ١٠٢هـ وقيل بعدها. انظر: السير ٥٩٨/٤ - ٦٠٠، البداية والنهاية ٢٢٣/٩، الشذرات ١٢٤/١، ١٢٥.

(٥) كعب بن مانع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار، كان يهوديا ثم أسلم في خلافة عمر، وكان في اليمن جالس الصحابة، وكان مع عمر عندما دخل بيت المقدس، كان قصاصا، توفي بحمص في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: الإصابة ٣/٣١٥، البداية والنهاية ٥٦/٧، ط دار المعارف، التهذيب ٤٣٨/٨، السير ٤٨٩.

والله أعلم^(١).

فكلامه ﷺ عن أصلهم فقط وكما ذكر فإن في أصلهم أقوالا للعلماء والصحيح أن أصلهم من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، من ذرية يافث أبي الترك ويافث من ولد نوح عليه السلام^(٢).

أما قول كعب الأحبار: إن آدم عليه السلام احتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج فهو مما لا دليل عليه ولم يرد عن يافث قبول قوله، والله أعلم^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «ووقع في "فتاوى الشيخ محيي الدين" يأجوج ومأجوج من أولاد آدم لا من حواء عند جماهير العلماء، فيكون إخواننا لأب كذا قال، ولم نر هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار، ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعاً»^(٤).

ولعل النسخة التي نقل منها الحافظ كلام النووي وقع فيها تحريف؛ لأن النووي نقل عن الجمهور قولهم: إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم من حواء كما تقدم، ثم حكى عن كعب الأحبار قوله: إنهم من ولد آدم من غير حواء. فالقول أنهم من ولد آدم من غير حواء قول كعب الأحبار، وليس قولاً للنووي، والله أعلم.

٤ / الدخان:

الدخان من الآيات التي دل على وقوعها الكتاب والسنة فمن القرآن قوله

(١) شرح صحيح مسلم ٩٨/٣.

(٢) انظر: النهاية لابن كثير ١٣٠/١، وأشراف الساعة ليوסף الوابل ٢٨٦.

(٣) النهاية لابن كثير ١٣٠/١.

(٤) فتح الباري ١٠٧/١٣.

تعالى: ﴿فَأَرْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

ومن السنة الحديث الذي سيأتي تعليق النووي عليه، أما المراد بالدخان وهل وقع؟ أو هو من الآيات المرتقبة؟ فالعلماء فيه قولان:

الأول: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليه النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان. وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود وتبعه جماعة من السلف

الثاني: أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تجيء بعد وسيقع قرب قيام الساعة، وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين (٢).

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار كما فعل النووي ﷺ فقال: إنما دخانان ظهر أحدهما وبقيت الآية الكبرى التي ستقع في آخر الزمان، أما التي ظهرت فهي ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة الكبرى.

قال القرطبي ﷺ في التذكرة: «قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه» (٣)، وسأذكر ما نقله النووي ﷺ عن ابن مسعود ﷺ أن الدخان في الآية هو ما أصاحب المشركين لما دعا النبي ﷺ عليهم وقد مضى.

أما الآية الكبرى التي هي من جملة الأشراط تظهر قرب قيام الساعة فقد

(١) سورة الدخان، الآية: ١٠.

(٢) انظر: أشراط الساعة ليوסף الوابل ٢٩٩ - ٣٠١.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله القرطبي ٧٤١.

تحدث عنها النووي في شرحه لحديث أشراف الساعة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

روى مسلم عن مسروق قال: ((كنا عند عبد الله جلوسا وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ، إن رسول ﷺ لما رأى من الناس إدبارا فقال اللهم سبع كسيع يوسف قال فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ... يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ ، إلى قوله: ﴿إنكم عائدون﴾ قال أفيكشف عذاب الآخرة؟ ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ ، فالبطشة يوم بدر وقد مضت آية الدخان والبطشة والالزام وآية الروم))^(١).

قال ﷺ: «(أفيكشف عذاب الآخرة)، هذا استفهام إنكار على من يقول: إن الدخان يكون يوم القيامة كما صرح به في الرواية الثانية^(٢)، فقال

(١) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب آية الدخان ١٧/١٤٠، ١٤١.

(٢) رواها مسلم في الموضع السابق عن مسروق قال: جاء إلى عبد الله رجال فقال: تركت في المسجد رجلا يفسر القرآن رأيه يفسر هذه الآية: "يوم تأتي السماء بدخان مبين" قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام... الحديث،

ابن مسعود: هذا قول باطل لأن الله تعالى قال: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون)، ومعلوم أن كشف العذاب ثم عودهم لا يكون في الآخرة إنما هو في الدنيا»^(١).

أما الدخان الذي هو من أشراط الساعة الكبرى فقد ورد في الحديث عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ((طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))^(٢).

قال ﷺ: هذا الحديث يؤيد قول من قال: إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهية الزكام، وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريبا من قيام الساعة.

وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا وإنكار ابن مسعود عليه وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشا من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهية الدخان، وقد وافق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار^(٣)، والله تعالى أعلم.

(١) شرح صحيح مسلم ١٧/١٤١، ١٤٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢٧/١٨، ٢٨، والترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في الخسف ٣/٣٢٣، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة ٤/١١٤، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الآيات ٢/١٣٤٧، وأحمد ٤/٦ كلهم عن حذيفة، نحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨/٢٧.

٥ / الدابة:

ظهور دابة من الأرض من علامات قرب الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (١)، فإذا وقع القول على الناس ووجب الوعيد عليهم لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان وإعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها والنزول على حكمها، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجع معه فيه موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل: فإذا صاروا كذاك ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ (٢) أي دابة تعقل وتتطق، وذلك - والله أعلم - ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل (٣).

وقد ذكر النووي رحمته الله أنها تخرج من صدع في الصفا وذكر عن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال. فقال رحمته الله في شرحه لحديث أسيد المتقدم: ((وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (٤).

قال المفسرون: هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا، وعن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال (٥).

(١) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٣) انظر: التذكرة ٧٨٥.

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٧، ١٨، ٢٨، وانظر: تفسير القرطبي ٢٣٦/١٣، وتفسير ابن كثير

فأما قوله: إنها تخرج من صدع في الصفا فقد ذكره القرطبي ونسبه إلى ابن عمر^(١)، وليس في حديث تميم الداري ما يدل على أن الجساسة هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان، والله تعالى أعلم.

٦ / النار:

والمقصود بها النار التي تحشر الناس، والتي تخرج من قعرة عدن، وليست النار التي أخبر النبي ﷺ أنها تخرج من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى، لأنها قد خرجت سنة أربع وخمسين وستمائة كما ذكر النووي رحمته الله.

أما القول بأنهما ناران يجتمعان لحشر الناس فهو قول ضعيف، كما تقدم، وقد تقدم ضمن الأشراف الصغرى ذكر الدليل عليها والله أعلم.

(١) انظر: التذكرة ٧٨٧، وإتحاف الجماعة ١٧٨/٣، وانظر: تفسير القرطبي ٢٣٦/١٣.

المبحث الثالث

عذاب القبر ونعيمه

دلت أدلة القرآن الكريم كما تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، وأن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كلفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كلفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول^(١)، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، هذا ما اتفق عليه أهل السنة.

وقد ذكر ذلك الإمام النووي رحمته الله، بكلام قوي متين، ورد على منكريه من الخوارج وبعض المعتزلة ومن وافقهم.

١ / ثبوت عذاب القبر بالكتاب والسنة:

قال رحمته الله: اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر^(٢)، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية^(٣).

وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٢/٢٠٢، ٢/١٣٩، ٥/٨٥، ٦/٢٠٦.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٦.

إلى أن قال: والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافا للخوارج ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة نفوا ذلك، ثم المعذب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه وخالف فيه محمد بن جرير وعبدالله بن كرام وطائفة فقالوا لا يشترط إعادة الروح، قال أصحابنا: هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي.

قال أصحابنا: ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، كما نشاهد في العادة، أو أكلته السباع، أو حيطان البحر أو نحو ذلك، فكما أن الله تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان.

فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر.

فالجواب: أن ذلك غير ممتع بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلما لا نحسن نحن شيئا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلما لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يشاهد ذلك جليسه منه.

وكذا كان جبريل يأتي النبي ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي.

قال أصحابنا: وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أن يكون مختصا بالمقبور دون المنبوذ ومن أكلته السباع والحيتان.

وأما ضربه بالمطارق فلا يمتع أن يوسع له في قبره فيقعد ويضرب، والله أعلم^(١).

(١) شرح صحيح مسلم ٢٠٠/١٧، ٢٠١.

٢ / سماع الموتى:

يرى الإمام النووي أن الموتى يسمعون في الوقت الذي يريد الله تعالى حسب ما ورد في الأحاديث الصحيحة.

ففي شرحه لقوله ﷺ عن قتلى المشركين في بدر: ((ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئاً))^(١).

قال ﷺ: قال المازري: قال بعض الناس: الميت يسمع عملاً بظاهر هذا الحديث ثم أنكره المازري وادعى أن هذا خاص في هؤلاء، ورد عليه القاضي عياض وقال: يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى من أحاديث عذاب القبر وفتته التي لا مدفع لها وذلك بإحيائهم، أو إحياء جزء منهم يعقلون ويسمعون في الوقت الذي يريد الله، هذا كلام القاضي وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور، والله أعلم^(٢).

والذي اختاره النووي ﷺ هو ما قال به بعض العلماء، فإن الأموات يسمعون متى أراد الله ذلك لكنه ليس سماعاً ينتفع به، إنما هو إدراك الصوت ورد السلام حين سلام المسلم.

أما الكفار قتلى بدر فإن الله تعالى أحياهم حتى سمعهم توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وتنديماً.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «قال قتادة: أحياهم الله حتى سمعهم توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وتنديماً...، وليس في القرآن ما ينفي ذلك فإن قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾^(٣)، إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه فإن هذا

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٢٢٢/٣ عن ابن عمر، ورواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٠٥/١٧، ٢٠٦ عن أنس، والنسائي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين ١٠٩/٤ عن عمر بنحوه، وأحمد ١٣١/٢، عن ابن عمر نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٠٦/١٧، ٢٠٧، وانظر كلام المازري في: المعلم ٢٠٧/٣، وكلام القاضي في الإكمال ٦/ق ١١٠.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٠.

مثل ضرب للكفار والكفار تسمع الصوت لكن لا تسمع سماع قبول بفقته واتباع»^(١).

٣/ مسألة تعذيب الميت ببكاء أهله عليه:

ذكر الإمام النووي رحمته الله أقوال أهل العلم في المراد بقوله رحمته الله: ((إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه))^(٢).

قال رحمته الله: اختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه.

قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى: ﴿أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزَّٰةً وَّرَزَّٰةً﴾^(٣).

قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا مت فإنيني بما أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد^(٤)
قالوا: فخرج الحديث مطلقا حملا على ما كان معتادا لهم، وقالت طائفة: هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوص بتركهما، فمن

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٢٩٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت ١٦١/٣ عن عمر، ورواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٢٢٨/٦ عن عبد الله بن عمر أن حفصة بكت على عمر فقال: مهلا يا بنية ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه))، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت ٢٣٥/٢، عن عمر نحوه، والنسائي، كتاب الجنائز، باب النياحة على الميت ١٧/٣ عن ابن عمر، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الميت يعذب بما نوح عليه ٥٠٨/١ عن أبي موسى نحوه، وأحمد ٣١/١ عن ابن عمر نحوه.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٨.

(٤) هو بيت معلقته المشهورة، انظر: شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص ٢٢٣، تحقيق:

عبد السلام هارون، ط دار المعارف بمصر.

أوصى بهما أو أهمل الوصية بتركهما يعذب بهما لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما ، فأما من وصى بتركهما فلا يعذب بهما إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما ، ومن أهملهما عذب بهما.

وقالت طائفة: معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبون به بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم ، وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون: يا مؤيم النسوان ومؤتم الولدان ومخرب العمران ومفرك الأخدان ونحو ذلك مما يروونه شجاعة وفخرا وهو حرام شرعا.

وقالت طائفة: معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم ، وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره^(١).

وقال القاضي عياض وهو أولى الأقوال ، واحتجوا بحديث فيه أن النبي ﷺ زجر امرأة عن البكاء على أبيها وقال: ((إن أحدكم إذا بكى استعبر صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم))^(٢).

وقال عائشة رضي الله عنها: معنى الحديث أن الكافر أو غيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببيكائهم.

والصحيح من هذه الأقوال ما قدمناه عن الجمهور ، وأجمعوا كلهم على

(١) كابن تيمية وابن القيم. انظر: مجموعة الرسائل المنيرية ٢/٢٠٩ ، تهذيب سنن أبي داود ٤/٢٩٣ لابن القيم. قال شيخ الإسلام: "وأما تعذيب الميت : فهو لم يقل : إن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه ، بل قال : " يعذب " والعذاب أعم من العقاب فإن العذاب هو الألم وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقابا له على ذلك السبب... والإنسان يعذب بالأمر المكروهة التي يشعر بها مثل الأصوات الهائلة والأرواح الخبيثة والصور القبيحة فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا ورؤية هذا ولم يكن ذلك عملا له عوقب عليه فكيف ينكر أن يعذب الميت بالنياحة وإن لم تكن النياحة عملا له يعاقب عليه". مجموع الفتاوى ٢٤/٣٧٤.

(٢) لم أقف عليه.

اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا بصوت ونياحه لا مجرد دمع العين وهو الراجح ^(١) لدلالة النصوص عليه.

(١) شرح صحيح مسلم ٦/٢٢٨، ٢٢٩، وانظر: الإكمال ٢/٢٨٢ + ب.

المبحث الرابع الشفاعة

أثبت النووي رحمته الله الشفاعة يوم القيامة، ورد على من أنكرها من الخوارج والمعتزلة ثم ذكر أنواعها التي أثبتها أهل السنة، وما ذكره من أنواع الشفاعة نقلا عن القاضي عياض ^(١).

قال رحمته الله: قال القاضي عياض رحمته الله: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ رِقُولًا﴾ ^(٢)، وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْضَى﴾ ^(٣)، وأمثالها ويخبر الصادق عليه السلام، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين وأجمعاً لسلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَتَفَعَّلُونَ شَفَاعَةَ الشَّافِعِينَ﴾ ^(٤)، وبقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ^(٥)، وهذه الآيات في الكفار.

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار لكن الشفاعة خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا عليه السلام وهي الإراحة من

(١) انظر في أنواع الشفاعة: شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٩، ٢٣٣.

(٢) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٨.

هول الموقف وتعجيل الحساب (١).

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضا لنبينا ﷺ وقد ذكرها مسلم رحمته الله.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى...

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاءت في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضا شفاعَةَ الحشر الأول.

قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رحمته الله شفاعَةَ نبينا محمد ﷺ، وغربتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعَةَ محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات.

ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتمد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. هذا آخر كلام القاضي رحمته الله، والله أعلم (٢).

(١) انظر في الشفاعة العظمى ٥٦/٣، ٤/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٥/٣، ٣٦، ٥٧، ٥٨، وانظر كلام القاضي في الإكمال ١/٣٩م.

أما الشفاعة لتخفيف العذاب فلم يذكرها ضمن الأقسام المتقدمة لكنه أفرد بابا شرح فيه حديث شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب^(١).
 فقال: باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه^(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب كنية المشرك ٥٩٢/١٠ عن العباس، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب... ٨٤/٣ عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: ((نعم في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))، وأحمد ٢٠٦/١.
 (٢) سورة غافر، الآية: ١٨ شرح صحيح مسلم ٨٤/٣.

المبحث الخامس

الحوض

الحوض الذي أكرم الله به نبينا محمدا ﷺ غياثا لأمته حق يجب الإيمان به، والأحاديث الواردة في ذكره بلغت حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا^(١)، ولقد استقصى طرقها ابن كثير ﷺ في كتاب النهاية.

قال ﷺ: «ذكر في الحوض النبوي المحمدي - سقانا الله منه يوم القيامة - من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتظافرة، وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها»^(٢). ثم شرع في سرد الروايات في ذكر الحوض، وقد أثبت النووي ﷺ الحوض وذكر أن حديثه متواتر، وذكر الأقوال في الذين يذاون عن الحوض، فقال ﷺ:

١/ الأحاديث الواردة في الحوض متواترة:

قال ﷺ: «قال القاضي عياض ﷺ أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه.

قال القاضي: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية بن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وبين مسعود

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٧.

(٢) النهاية لابن كثير ٣/٢

وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبله وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر وخولة بنت قيس وغيرهم.

قلت^(١): ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمر وآخرين وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيد وطرقه المتكاثرات قال القاضي وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا^(٢).

٢ / من الذين يذاذون عن الحوض؟

وردت الأحاديث الصحيحة في أن أقواما يذاذون عن الحوض، وهؤلاء هم كل من ارتد عن دين الإسلام أو أحدث فيهم ما لم يأذن به الله، والظلمة، والمعلنون بالكبائر، لكن العلماء اختلفوا في المراد بمن يذاذ عن الحوض في حديث إطالة الغرة والتججيل وأن النبي ﷺ يعرف أمته يوم القيامة وعند الحوض بهذه السيمة (الغرة والتججيل) من آثار الوضوء فيذاذ عنه أقوام ويقال هل تدري ما أحدثوا بعدك؟^(٣) وقد حكى الخلاف النووي رحمته الله في شرحه

(١) النووي.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٣/١٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقرية أحق بمائه ٤٣/٥، عن ابن عباس مختصرا، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء ٣٥/٢، ١٣٦، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله أتعرفنا؟ قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الحوض ٤٤٩/٢ عن حذيفة بنحوه، وأحمد ٣٠٠/٢ عن أبي هريرة نحوه.

للحديث وذكر الاحتمالات الواردة في هذا الحديث.

فقال رحمته الله: هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغة والتحجيل فيناديهم النبي صلوات الله عليه للسيما التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم أن هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي صلوات الله عليه ثم ارتد بعده فيناديه النبي صلوات الله عليه وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كما يعرفه صلوات الله عليه في حياته من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذي لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذي يذادون بالنار بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي صلوات الله عليه وبعده لكن عرفهم بالسيما.

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر رحمته الله: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر. قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم^(١).

قال القرطبي رحمته الله في التذكرة: « قال علماؤنا - رحمة الله عليهم أجمعين - : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله و لم

(١) شرح صحيح مسلم ٤/١٣٦، ١٣٧، وانظر: ص ١٩، ١٢٩.

يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه و أشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين و فارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها و المعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون.

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور و الظلم و تطميس الحق و قتل أهله و إذلالهم و المعلنون بالكبائر المستحفون بالمعاصي.

وجماعة أهل الزيغ والأهواء و البدع ثم البعد قد يكون في حال و يقرئون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال و لم يكن في العقائد و على هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقا و إن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان و يسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقا سحقا و لا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»^(١).

المبحث السادس

الصراط

أثبت الإمام رحمته الله الصراط وأنه جسر منصوب على ظهر جهنم يمر عليه الناس فينجو المؤمن ويسقط غيره، وأثبت صفاته: وأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة.

كما يعتقد أن تفسير الورود في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١)، المرور على الصراط، وهو الصحيح.

فقال رحمته الله في شرحه لحديث الرؤية الطويل وقوله رحمته الله: ((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم))^(٢)، في هذا إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم - أي منازلهم - والآخرين يسقطون فيها أعادنا الله الكريم منها.

وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: «إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف»^(٣).

وفي معنى الورود المذكور في الآية قال رحمته الله: «اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٠/٣، وانظر: ٢٩/٣، ووصف الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ٣٤/٣، قال أبو سعيد رحمته الله: ((بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف)).

جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته.

والموفق الذي لم يبطل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورد، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعادنا الله منها ومن سائر المكروه^(١).

وهذا الذي ذكره ﷺ هو الصحيح في صفاته، وفي معنى الورد في الآية^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ٢١٧/١، وانظر: ٥٨/١٦، ١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٤١٥، ٤١٦، وانظر الأقوال في معنى الورد في: التذكرة ٢٨٦

المبحث السابع الجنة والنار

أهم المسائل المتعلقة بالجنة والنار هي هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتا الآن؟ وهل تفتيان؟ وهل الجنة التي أهبط منها آدم هي جنة الخلد؟ والإمام النووي رحمته الله على مذهب أهل السنة في ذلك فقد ذكر في غير ما موضع من شرحه لصحيح مسلم أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتا لا تفتيان وأن نعيم الجنة دائم، وعذاب أهل النار دائم.

١/ الجنة والنار مخلوقتان:

فقال رحمته الله في شرحه لحديث الإسراء وقوله ﷺ: ((ثم أدخلت الجنة...))^(١).

«في هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان»^(٢).

وفي موضع آخر قال: «الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة هذا إجماع أهل السنة، وقال المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم: إنها ليست موجودة وإنما توجد بعد البعث في القيامة»^(٣).

٢/ لا تفتيان:

قال رحمته الله مثبتا ذلك: «الفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها كما قال الله تعالى:

(١) تقدم تخريجه ص ٢٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/٣، وانظر: ١٥١/٤، ٢٠٠/١٦، ١٢٠/٥، ٢٠٢/٦، ٢٠٧، ١٧٧/١٧، فقد أشار إلى خلق الجنة والنار بإيجاز.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣١/١٣، وانظر: نونية ابن القيم مع شرحها للشيخ هراس ٣٥/١.

﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَ مَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾^(٢)، وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم^(٣).

وهذا الذي ذكره رحمته الله هو مذهب أهل السنة، قال شارح الطحاوية: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وقال: لا تفتيان أبدا ولا تبيدان، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف^(٤).

٣/ الجنة التي أهبط منها آدم هي جنة الخلد:

هذا الصواب، وقد اختاره النووي رحمته الله، قال رحمته الله: «الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة، هذا إجماع أهل السنة، وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم: إنها ليست موجودة وإنما توجد بعد البعث في القيامة، قالوا: والجنة التي أخرج منها آدم غيرها وظاهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق»^(٥).

القول بأن الجنة التي أهبط منها آدم هي جنة الخلد هو الصحيح، قال ابن تيمية رحمته الله: «الجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد»^(٦).

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣/٣٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦١٤ - ٦٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣/٣١، وانظر الإشارة إلى ذلك ٦/١٤٢.

(٦) مجموع الفتاوى ٤/٣٤٧، وانظر في تقدير ذلك: مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٣، حادي

الفصل الرابع في القدر المبحث الأول الإيمان بالقدر ومراتبه

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان المرء إلا بالإيمان بها، وقد وردت الأدلة واضحة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بهذه الأركان.

وهناك آيات جمعت بين خمسة من أركان الإيمان، ما عدا الإيمان بالقدر منها قوله تعالى: ﴿ءَأْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَأَنْفِرَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأْمَنُوا ءَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَلْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَأَلْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾^(٢).

أما القدر فقد ورد الإخبار عنه في كتاب الله من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾^(٣).

ولقد تكلم النووي رحمته الله عن وجوب إثبات القدر وحكى مذهب أهل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

السنة والجماعة فيه ورد على القدرية النفاة وذلك من خلال شرحه لبعض الأحاديث في صحيح مسلم.

من ذلك قوله ﷺ: «اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عند سبحانه وتعالى على صفة مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى.

وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة أي إنما يعلمها سبحانه، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت الفرقة قدرية لإنكارهم القدر.

قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى عن قولهم.

وقد أبو محمد بن قتيبة في كتابه (غريب الحديث)، وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه (الإرشاد في أصول الدين) أن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر»^(١).

قال ابن قتيبة والإمام: هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتوافق فإن أهل الحق يفرضون أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى ويضيفون القدر والأفعال إلى الله سبحانه وتعالى.

(١) قد قال ذلك القاضي عبد الجبار في كتاب شرح الأصول الخمسة ٧٧٢ - ٧٧٧، وانظر: الإرشاد ٢٥٦.

وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقد له غيره وينفيه عن نفسه^(١).

ثم حكى مذهب القدرية في خلق الأفعال وسيأتي في المرتبة الرابعة. ثم قال: «وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى. وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه ومن أحسن المصنفات فيه وأكثرها فوائد كتاب الحافظ الفقيه أبي بكر البيهقي رحمته الله وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية»^(٢).

مراتب القدر:

وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها^(٣).

وكل هذه المراتب قد أثبتها النووي رحمته الله في مواضع متفرقة في شرحه لصحيح مسلم، ففي إثبات مرتبة العلم قال رحمته الله: «اللَّهُ تعالى أعلم بما كان وبما يكون وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون»^(٤).

وقال في موضع آخر: «الأشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع إلى على

(١) شرح صحيح مسلم ١/١٥٤، وانظر في إثبات القدر ١٦/١٩٥، ١٩٦، والإرشاد ٢٥٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/١٥٥، وانظر المصدر نفسه ١٤/١٧٤.

(٣) شفاء العليل لابن القيم ٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥/١٤٦.

حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه»^(١).

وكان أكثر تفصيلاً في أول شرحه للصحيح حيث أثبت القدر، ومرتبة العلم، وحكى مذهب القدرية وأنكره. فقال ﷺ: «اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى.

وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم»^(٢).

٢ / مرتبة الكتابة:

المقصود بالكتابة: الكتابة في اللوح المحفوظ والأدلة عليها كثيرة منها قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٤)، وغيرها

(١) المصدر السابق ١٤/١٧٤، وانظر: المصدر نفسه ١٧/١٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/١٥٤، وانظر: حكاية مذهب القدرية نفاة تقدم علم الله تعالى بالكائنات، المصدر نفسه ١/١٥٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

كثيرة.

وقد أثبت النووي رحمته الله هذه المرتبة في شرحه لحديث الإسراء الطويل عند قوله رحمته الله: ((حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام))^(١).

قال رحمته الله: « صريف الأقلام بالصاد المهملة تصويتها حال الكتابة قال الخطابي هو صوت ما تكتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد من أمره وتدييره.

قال القاضي في هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله تعالى والاحاديث الصحيحة»^(٢).

٣/ المرتبة الثالثة: مرتبة الإرادة والمشية:

أي أن كل ما يجري في هذا الكون فهو مشيئة الله سبحانه وتعالى فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن فلا يخرج عن إرادته شيء^(٣).

والإمام النووي رحمته الله أثبت هذه المرتبة من مراتب القدر ورد على المعتزلة الذين يزعمون أنه سبحانه أراد إيمان الكافر ولم يرد كفره. فقال رحمته الله: «يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع ومذهب أهل الحق أن

(١) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن النبي رحمته الله قال: ((.... الحديث)) ٤٥٨/١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله رحمته الله وفرض الصلوات عن أنس أن أبا ذر كان يحدث... الحديث ٢١٧/٢، وأحمد ١٤٤/٥ عن أنس.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢١/٢، وانظر ١٦/١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣.

(٣) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود ٥٢.

الله تعالى مرید لجميع الكائنات خیرها وشرها، ومنها الإيمان والكفر فهو سبحانه وتعالى مرید لإيمان المؤمن ومرید لكفر الكافر خلافا للمعتزلة في قولهم: إنه أراد إيمان الكافر ولم يرد كفره تعالى الله عن قولهم الباطل فإنه يلزم من قولهم إثبات العجز في حقه سبحانه وأنه وقع في مله ما لم يرده»^(١).

٤ / مرتبة الخلق:

أي أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، وهذه المرتبة هي محل النزاع الطويل بين أهل السنة ومن خالفهم من المعتزلة القدرية^(٢).

ومن الأدلة على هذه المرتبة الآيات الدالة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣).

والنووي رحمته الله أثبت هذه المرتبة، كما أثبت خلق لأفعال العباد فقال رحمته الله في شرحه لحديث أبي موسى الأشعري: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعريين نستحمه فقال: (والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه) قال فلبثنا ما شاء الله ثم أتى بإبل فأمر لنا بثلاث ذود غر الذرى فلما انطلقنا قلنا (أو قال بعضنا لبعض) لا يبارك الله لنا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نستحمه فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا فأتوه فأخبروه فقال (ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منها إلا

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٧/١٧ - ١٤٨، وانظر: ١٩٢/١٦، ٢٠١.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ٢٢٣، قال: "أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها".

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٦، الزمر، الآية: ٦٢.

كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير))^(١).

قال: ((ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم)) ترجم البخاري لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وأراد أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة^(٣).

وفي أول شرحه لصحيح مسلم قال بِسْمِ اللَّهِ: «... القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئة الله فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا»^(٤).

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" ٥١٧/١١، عن أبي موسى بنحوه، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها ١٠٩/١١ - ١١٠، واللفظ له، وأبو داود، كتاب الإيمان، باب الحنث إذا كان خيراً. انظر السنن مع عون المعبود ٩٥/٩، عن أبي موسى مختصراً، والنسائي، كتاب الإيمان، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ٩/٧، عن أبي موسى مختصراً، وأحمد ٣٩٨/٤، عن أبي موسى بنحوه..

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١٠/١١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥٤/١.

المبحث الثاني الهدى والضلال

ذكر النووي رحمه الله نوعي الهداية: الدلالة والإرشاد، والتوفيق والعصمة، وبين أن النوع الأول (الدلالة والإرشاد) هو المضاف إلى الرسل والقرآن والعباد.

قال رحمه الله: «قال العلماء: لفظ الهدى له معنيان: أحدهما: بمعنى الدلالة والإرشاد وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، و﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢)، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^(٤)، أي بينا لهم الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(٥)، و﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٦).

والثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد، وهو الذي تفرّد به، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٧).

وقالت القدرية: حيث جاء الهدى فهو للبيان بناء على أصلهم الفاسد في إنكار القدر، ورد عليهم أصحابنا وغيرهم من أهل الحق مثبتي القدر لله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٦) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٨) سورة يونس، الآية: ٢٥.

ففرق بين الدعاء والهداية»^(١).

وقال في موضع آخر: «... مذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله وبهدى الله اهتدى وبإرادة الله تعالى وذلك أنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون ولم يرد هداية الآخرين، ولو أرادها لاهتدوا خلافا للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع جل الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد»^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٤/٦، وانظر: المصدر نفسه ١٤٤/٦، و١٧٣/١، و١٤٥/١٥، والمجموع ٧٤/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٢/١٦، ١٣٣، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ٦٣٦/٢، ٣١/١.

المبحث الثالث

الأرزاق والآجال

قول الإمام النووي رحمه الله أن الآجال والأرزاق مقدره لا تزيد ولا تنقص والآجال لا تتغير والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها.

فقال رحمه الله: الأجل لا يتغير والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها ولا بد من وقوع المقدرات^(١).

وفي شرحه لقول صلى الله عليه وسلم: ((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه))^(٢).

قال رحمه الله: « ينسأ مهموز أي يؤخر والأثر الأجل لأنه تابع للحياة في أثرها وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدره لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

وأجاب العلماء بأجوبة: الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله

(١) شرح صحيح مسلم ١٤/١٩١.

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق ٤/٣٠١ عن أنس، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم ١٦/١١٤ عن أنس.

تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) ويثبت فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث.

والثالث: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت حكاه القاضي وهو ضعيف أو باطل والله اعلم^(٢).

وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيمية القول الثاني قال رحمته الله: «إن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أن لا لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر»^(٣).

وفي شرحه لحديث أم حبيبة لما قالت: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قد سألت الله لأجال مضروبة وأيام معدودات وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرا وأفضل))^(٤).

قال النووي رحمته الله: هذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدره لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك.

وأما ما ورد في حديث صلة الرحم تزيد في العمر ونظائره فقد سبق تأويله

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ١١٤/١٦ - ١١٥، وانظر: الإكمال ٦/ق ٤٢ أ.

(٣) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٤) رواه مسلم، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ٢١٢/١٦ - ٢١٣، عن عبد الله بن مسعود، وأحمد ١/٣٩٠ عن عبد الله بن مسعود.

في باب صلة الأرحام واضحا، قال المازري: هنا قد تقرر بالدلائل القطعية أن الله تعالى أعلم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه، فإذا علم الله تعالى أن زيدا يموت سنة خمسمائة استحال أم يموت قبلها أو بعدها لئلا ينقلب العلم جهلا، فاستحال أن الآجال التي علمها الله تعالى تزيد وتنقص فيتعين تأويل الزيادة أنها بالنسبة إلى ملك الموت أ. غيره ممن وكله الله بقبض الأرواح، وأمره فيها بآجال ممدودة فإنه بعد أن يأمره بذلك أو يثبته في اللوح المحفوظ ينقص منه ويزيد على حسب ما سبق به علمه في الأزل وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ ، وعلى ما ذكرناه يحمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (١).

واعلم أن مذهب أهل الحق أن المقتول مات بأجله وقالت المعتزلة: قطع أجله، والله أعلم (٢).

القول بأن المقتول قطع عليه أجله قول لبعض المعتزلة، قال ابن تيمية رحمته الله: «لو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية إنه كان يعيش» (٣). والصواب أن المقتول مات بأجله.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢، وانظر كلام المازري في المعلم ٣/١٨٤، ١٨٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/٢١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٥١٧، وانظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ٧٨٢،

المبحث الرابع الاحتجاج بالقدر وحكمه

لم يطل الإمام النووي الكلام على هذه المسألة، وقد كان من مظان التفصيل في هذه المسألة حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام، لكن غاية ما قال: قوله عليه السلام: ((فحج آدم موسى))^(١): هكذا الرواية في جميع كتب الحديث باتفاق الناقلية والرواة والشرح وأهل الغريب فحج آدم وموسى برفع آدم وهو فاعل أي غلبه بالحجة وظهر عليه بها ومعنى كلام آدم أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق وقد ر علي فلا بد من وقوعه ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلم تلومني على ذلك ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي وإذ تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم فمن لومه كان محجوج بالشرع^(٢).

والاحتجاج بالقدر في المصائب لا في الذنوب، والله - عز وجل - أمر بالصبر والتقوى فهذا المصير لا في التقوى، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ اللَّهِ وَاعْبُدْ اللَّهَ﴾

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد ٤٤١/٦، عن أبي هريرة بنحوه، ومسلم كتاب القدر، باب حجج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٠/١٦، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى))، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر ٢٢٦/٤، والترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر ٣٠٠/٣، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر ٣١/١، وأحمد ٢٤٨/٢ كلهم عن أبي هريرة، بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٠١/١٦ - ٢٠٢.

حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ ﴿١﴾، فأمر بالصر على المصائب والاستغفار من المعائب. والصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل، لا لأجل تارك الأمر مذنب عاص، ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يقل: لماذا خالفت الأمر؟ ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر، وشهود الربوبية.

وما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحذور ويصبر على المقدر، وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي. فلو أن رجلاً أنفق ماله في المعاصي حتى مات، ولم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس بظلم صاروا لأجله يبغضون أولاده، ويحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان هذا مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب.

فإذا قال أحدهم لأبيه: أنت فعلت بنا هذا، قيل للابن: هذا كان مقدورا عليكم وأنتم مأمورون بالصبر على ما يصيبكم، والأب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير، ملوم على ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق. فإن كان الأب قد تاب توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومع بحال لا من جهة حق الله، فإن الله قد غفر له، ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره بفعله إذا لم يكن هو ظالما لأولئك، فإن كل كانت مقدرة عليهم.

وهذا مثال (قصة آدم) فإن آدم لم يظلم أولاده، بل إنما ولدوا بعد هبوطه من الجنة، وإنما هبط آدم وحواء، ولم يكن معهما ولد حتى يقال إن ذنبهما تعدى إلى ولهما، ثم بعد هبوطهما إلى الأرض جاءت الأولاد، فلم يكن آدم ظلم

أولاده ظلما يستحقون به ملامه، وكونهم صاروا في الدنيا دون الجنة أمر
كان مقدورا عليهم لا يستحقون به لوم آدم، وذنوب آدم كان قد تاب منه^(١).

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٣/٨، ٣٠٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١ باختصار.

المبحث الخامس

التعليل في أفعال الله

تعليل أفعال الله من المسائل التي اختلف الناس فيها على أقوال: القول الأول: أن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إن تعالى فعل ذلك لمحض المشيئة، وهو قول الأشعري وأصحابه^(١).

وذكر شيخ الإسلام أنه يقول بهذا القول: «كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم، وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه وقول كثير من نقاة القياس الظاهرية كابن حوم وأمثاله»^(٢).

القول الثاني: أن الله تعالى فعل المفعولات وخلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه، لا ترجع إليه، وذهب هؤلاء إلى وجوب تعليلها وهذا قول المعتزلة والشيعة ومن وافقهم^(٣).

القول الثالث: إثبات حكمة وغاية بذاته سبحانه وتعالى ولكنهم يجعلونها غير مقارنة للمفعول، فهم يزعمون أن الله تعالى لم يزل راضيا عمّن علم أنه سيموت مؤمنا، وإن كان أكثر عمره كافرا، ولم يزل ساخطا على من علم أنه سيموت كافرا، وإن كان أكثر عمره مؤمنا، ويزعمون أن محبته ورضاه

(١) انظر: رسالة الإرادة والأمر لشيخ الإسلام ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٣٢٦، ومجموع

الفتاوى ٨/٨٣، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ١٥٥.

(٢) الإرادة والأمر لابن تيمية ١/٣٢٦، ٣٢٧، ومجموع الفتاوى ٨/٨٣.

(٣) انظر: الإرادة والأمر ١/٣٣١، ٣٣٢، ومجموع الفتاوى ٨/٨٨، ٨٩.

وسخطه وإرادته كل ذلك قديم^(١).

القول الرابع: قول جمهور أهل السنة، وهو قول سائل الطوائف من الذين يقولون بالعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم وهو أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو، وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك^(٢).

والنووي رحمته الله على مذهب الأشاعرة في ذلك حيث يعتقد أن أفعال الله تعالى لا تعلل، فقال رحمته الله: «... جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها، وقد سبق في أول كتاب الإيمان قطعة صالحة من هذا، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣)، فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا على لأفعاله»^(٤).

وشبهتهم:

أ / أن ذلك يستلزم التسلسل فإنه إذا فعل لعله فتلك العلة أيضا حادثة فتفتقر إلى علة وهكذا إلى غير نهاية وهو باطل.

وقد رشد سيخ الإسلام على هذه الحجة، من وجوه:

١ / يقال لهم في الحكمة ما يقولونه هم في الفعل وذلك بأن يقال لهم: لا يخلو إما أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع، جاز في الحكمة التي

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢ انظر: ابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس ١٨٧، ومجموع الفتاوى ١٤٧/٨.

(٢) انظر: مجموع الرسائل الكبرى ٣٣٥/١، وانظر في عرض الخلاف والأقوال كتاب: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ د. عبدالرحمن المحمود ١٦٦، ١٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦/١٩٥، ١٩٦.

يكون الفعل لأجلها أن تكون قديمة العين أو قديمة النوع... وإن لم يمكن أن يكون الفعل لا قديم العين ولا قديم النوع، فيقال: إذا كان فعله حادث العين والنوع كانت حكمته كذلك.

٢ / يقال لهم في الحكمة ما يقال في الأسباب، فإذا كان تعالى خلق شيئاً بسبب، وخلق السبب بسبب آخر حتى ينتهي إلى أسباب لا أسباب فوقها فكذلك خلق لحكمة والحكمة لحكمة حتى ينتهي إلى حكمة لا حكمة فوقها^(١).

ب/ حجتهم الثانية على نفي الحكمة والتعليل: هي حجة الكمال والنقصان، ومعناها - عندهم - أن الله لو خلق العلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء، أو يكون وجودها أولى به، فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملاً بها، فيكون قبلها ناقصاً^(٢).

والجواب عنها من وجوه:

١ / أن هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فما كان جواباً في المفعولات كان جواباً عن هذا، ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكملاً بفعله^(٣).

٢ / أن قولهم: مستكمل بغيره باطل فإن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجاً إلى غيره، وإذا قيل كمل بفعله

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣١٢، ١٣١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٨٣.

(٣) المصدر السابق ٨/١٤٦.

الذي لا يحتاج فيه إلى غيره كان كما لو قيل كمل بصفاته أو كمل بذاته^(١).

٣ / أن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلا لا لحكمة فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها فيه، فكيف يجوز أن يقال فعله لحكمة يستلزم النقص وفعله لا لحكمة لا نقص فيه^(٢).

(١) المصدر السابق ١٤٦/٨.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣١٤ نقلا عن شرح الأصفهانية، تحقيق: السعوي، ولم أقف عليه في شرح الأصفهانية، تحقيق: حسنين مخلوف.

المبحث السادس

حكم أطفال المشركين

ذكر الإمام النووي رحمته الله ثلاثة مذاهب في أطفال المشركين، واختار أنهم في الجنة وذكر أدلة على ذلك، قال رحمته الله: «أما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الأكثرون هم في النار تبعاً لأبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم عليه السلام حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحواله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال: وأولاد المشركين، رواه البخاري في صحيحه»^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢)، ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه، والله أعلم^(٣). وقد ذكر ابن القيم رحمته الله أن أطفال المشركين فيهم ثمانية مذاهب: أحدها: الوقف فيهم، وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار، بل يوكل علمهم إلى الله تعالى.

المذهب الثاني: أنهم في النار، وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير، وأحد الوجهين لأصحاب أحمد. المذهب الثالث: أنهم في الجنة، وهذا قول طائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم.

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ٤٣٨/١٢، عن سمرة بن جندب في حديث طويل.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٠٧/١٦، ٢٠٨، وانظر: ٥٠/١٢، من المصدر نفسه و١٤٥/١٥.

المذهب الرابع: أنهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار فإنهم ليس لهم إيمان يدخلون به الجنة ولا لأبائهم فوز يلحق بهم أطفالهم تكميلاً لثوابهم وزيادة في نعيمهم، وليس لهم من الأعمال ما يستحقون به دخول النار، وهذا قول طائفة من المفسرين.

المذهب الخامس: أنهم تحت مشيئة الله تعالى، يجوز أن يعذبهم بعذابه وأن يعمهم برحمته وأن يرحم بعضاً ويعذب بعضاً بمحض الإرادة والمشيئة، وهذا قول الجبرية نفاة الحكمة والتعليل، وقول كثير من مثبتي القدر وغيرهم.

المذهب السادس: أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم.

المذهب السابع: أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة، والفرق بين هذا المذهب ومذهب من يقول: هم في النار أن صاحب هذا المذهب يجعلهم معهم تبعاً لهم حتى لو أسلم الأبواب بعد موت أطفالهما لم يحكم لأفراطهما بالنار.

المذهب الثامن: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها^(١).

والقول بأنهم يمتحنون هو الراجح كما قرره الأئمة المحققون، وبه تجتمع الأدلة كما ذكر ذلك ابن القيم.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٦٢٤ - ٦٥٢.

الباب الرابع في مسائل الإيمان

وفيه فصول:

الأول: مسمى الإيمان

الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

الثالث: الاستثناء في الإيمان

الرابع: العلاقة بين الإسلام والإيمان

الخامس: الولاية وكرامات الأولياء

السادس: الكبيرة وحكم مرتكبها

السابع: التكفير

الفصل الأول

مسمى الإيمان

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا:

أولاً: مذهب جمهور السلف من الأئمة الثلاث: مالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية والإمام البخاري وسائر أهل الحديث، وأهل الظاهر ووافقهم الخوارج والمعتزلة أن الإيمان الشرعي: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح:

ثانياً: أقوال المرجئة:

القول الأول: القول بأن الإيمان (قول واعتقاد) وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء^(١).

القول الثاني: القول بأن الإيمان: التصديق، قال به بعض الأشاعرة والماتريدية، مع أن من الأشاعرة من وافق أبا حنيفة في إدخال القول في الإيمان، والأول لمحقي الأشاعرة والماتريدية وغيرهم^(٢).
قال صاحب الجوهره مبيناً الخلاف:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق^(٣)
فالأشاعرة كما قال صاحب الجوهره، مختلفون فيما بينهم، على قولين:
القول الأول: قول جمهورهم: وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري في قوله
الأول إن الإيمان: هو تصديق القلب فقط.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٩٤/٧.

(٢) انظر: شرح جوهره التوحيد، البيجوري ص ٤٢ وما بعدها، وتأويلات أهل السنة، الماتريدي ٤٦، فقد صرح بأن الإيمان: التصديق بالقلب لا غيره.

(٣) جوهره التوحيد مع شرحها تحفة المريد ص ٤٢.

وبهذا قال: البغدادي^(١)، والجويني^(٢)، والباقلاني^(٣)، والغزالي^(٤)، والأيجي^(٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان»^(٦).
القول الثاني: من قولي الأشاعرة: قول لإمام الحرمين: «إن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان»^(٧).

ولأصحاب أبي الحسن الأشعري قول ثالث وهو القول الأخير لأبي الحسن الأشعري وإن لم يكن مشهوراً عنه إلا أنه هو لذي استقر عليه، وذكره في بعض مؤلفاته الأخيرة كالإبانة، والمقالات وهو القول بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل^(٨).

القول الثالث من أقوال المرجئة: قول الكرامية^(٩) وهو القول بأن الإيمان قول باللسان فحسب^(١٠).

(١) أصول الدين ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) الإرشاد ٣٣٣ - ٣٣٤.

(٣) التمهيد ٢٨٩، الإنصاف ٨٤ - ٨٥.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١١٨/١.

(٥) المواقف ص ٣٨٤.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ١٢٠/٧.

(٧) انظر: المرجئة وموقف السلف منهم ٢٣٠، وليس هو في كتاب الإرشاد للجويني.

(٨) انظر: الإبانة ٢١.

(٩) هم أتباع محمد بن كرام بن عراف بن حزامه بن البراء، أبو عبدالله السجستاني العابد، إليه

إليه تسبب الفرقة الكرامية، قال ابن كثير: نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول ﷺ وأصحابه وغيرهم، سجن ثم نفي، كان قليل العلم، مكث في سجن نيسابور ثماني

سنين ومات بأرض بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين، انظر ترجمته في: السير

٥٢٣/١١، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٢/١١، لسان الميزان، ابن حجر ٢٥٢/٥ وما بعدها.

(١٠) انظر: مسائل الإيمان، للفاضل أبي يعلى ١٥٩ - ١٦١، الفرق بين الفرق ١٢.

القول الرابع: قول الجهمية^(١): «أن الإيمان هو المعرفة بالله فحسب»^(٢).

فيتبين من هذا العرض أن الخلاف منحصر بين الجمهور والماتريديّة ومن وافقهم من الأشعرية، والأحناف، والكرامية، والجهمية.

ويتبين أيضاً أن المرجئة جميعهم مطبقون على إخراج الأعمال ممن مسمى الإيمان، ومنهم من أخرج حتى أعمال القلوب.

والإمام النووي رحمته الله مذهب في تعريف الإيمان هو مذهب أهل السنة يعتقد أن الإيمان قول وعمل، أي أنه يطلق على تصديق القلب وقول اللسان وعمل الجوارح كما صرح رحمته الله بوجوب إدخال الأعمال في مسمى الإيمان وذلك خلال شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري.

فقال رحمته الله: «أعلم أن مذهب السلف والمحدثين وجماعات من المتكلمين أن الإيمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص، ومعنى هذا أن يطلق على التصديق بالقلب ويطلق على باللسان وعلى الأعمال بالجوارح كالصلاة وغيرها، ويزيد بزيادة هذه وينقص بنقصها...»^(٣).

ثم قال: «وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٤)، أجمعوا أن المراد: صلاتكم

(١) هم أتباع جهم بن صفوان الراسبي أبو محرز، بدعته بترمز كان تلميذاً للجعد بن درهم الزنديق، ظهرت بدعته بترمز فقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ٨٦/١، الفرق بين الفرق وحاشيته ٢١١، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٢ - ٥٢٣.

(٢) مسائل الإيمان، القاضي أبو يعلى ص ١٦١.

(٣) شرح صحيح البخاري ١١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

ومثله الآيات التي ذكرها البخاري في الباب.

وأما الأحاديث فخارجة عن الإحصاء وسنمر بها في مواضعها، وهذا المعنى أراد البخاري في صحيحه بالأبواب الآتية بعد هذا كقوله: باب أمور الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، باب الزكاة من الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، وسائر أبوابه، وأراد الرد على المرجئة في قولهم الفاسد أن الإيمان قول بلا عمل، وبين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة...»^(١).

كما أنه ﷺ قد رد على الكرامية وغلاة المرجئة الذين يعتقدون أن الإيمان قول باللسان وأن الإقرار كاف في إطلاق اسم الإيمان على الشخص. قال ﷺ في شرحه لحديث سعد بن أبي وقاص: ((أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ فقلن: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً، فسكت قليل ثم غلبي ما أعلم منه، فعدت لمقاتلي فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبي ما أعلم منه فعدت لمقاتلي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار))^(٢).

(١) شرح صحيح البخاري ١١٢ - ١١٣، وانظر: شرح صحيح مسلم ١٤٧/١، ١٤٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة...، شرح صحيح البخاري للنووي ١٧٠، والصحيح مع الفتح ٧٩/١، عن سعد بنحو رواية مسلم، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع ١٨١/٢، عن سعد بن أبي وقاص، وأبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٢٢٠/٤، والنسائي، كتاب الإيمان، باب تأويل قوله عز وجل: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" ١٠٤/٨ عن سعد بنحوه، والإمام أحمد ١٨٠/١ عن سعد بنحوه.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وفيها دلالة لمذهب أهل الحق في قولهم: إن الإقرار باللسان لا ينفع إذا اقترن به الاعتقاد بالقلب خلافا لما للكرامية وغلاة المرجئة في قولهم يكفي الإقرار.

وهذا خطأ ظاهر يرده إجماع الأمة والنصوص المتظاهرة في تكفير المنافقين وهذه صفتهم.

قال الإمام أبو بكر بن الطيب المعروف بابن الباقلاني وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى: هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَوَمُّنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْمَنَّا﴾^(١) الآية، حجة لأهل الحق في الرد على الكرامية وغلاة المرجئة.

قالوا: وقد أبطل الله تعالى مذهبهم في موضع من كتابه، قالوا: ومن أقوى ما يبطل به في قولهم إجماع الأمة على تكفير المنافقين وكانوا يظهرون الشهادتين والله أعلم^(٢)؛ وهذه الردود على هؤلاء ردود صحيحة، إذ بطلان مذهب الكرامية ظاهر، لكن الباقلاني يخرج القول والعمل من الإيمان ويجعله التصديق بالقلب فقط وهذا خطأ.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٢) شرح صحيح البخاري ١٧٥.

الفصل الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

من أهم المسائل المتعلقة بالإيمان مسألة الزيادة والنقصان، والخلاف فيها فرع وثمره للخلاف في مفهوم ومسمى الإيمان، وهو دائر بين أهل السنة والجماعة وأهل البدع (الخوارج والمعتزلة والمرجئة).
وخلاصة الأقوال فيه ثلاثة:

١ / القول بزيادة الإيمان ونقصانه: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، قال الحافظ حكي رحمته الله:

إيماننا يزيد بالطاعات ونقصه يكون بالزلات^(١)
وقال السفاريني رحمته الله:

إيماننا قول وقصد وعمل تزيده التقوى وينقص بالزلل^(٢)

٢ / القول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص: وهو قول لبعض أهل السنة رواية عن الإمام مالك رحمته الله أنه قال: الإيمان يزيد ووقف في نقصانه، أما الرواية الثانية عنه أنه يزيد وينقص^(٣)، وهو المشهور عند أصحابه^(٤).

٣ / القول بعدم الزيادة والنقصان: وهو قول الخوارج والمعتزلة والمرجئة عامة وجماع شبهتهم في ذلك: أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها، هذه الشبهة اتفق فيها النفاة مع اختلافهم فيما يطلق عليه اسم الإيمان.

أما الخوارج والمعتزلة: فالإيمان عندهم حقيقة مركبة من جميع الطاعات

(١) سلم الوصول مع شرحها معارج القبول ٢/٣٣١.

(٢) الدرر المضية مع شرحها لوامعا لأنوار ١/٤٠٣.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٩/٢٥٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٧/٥٠٦.

الظاهرة والباطنة إذا لا زال بعضها زال اسم الإيمان عن المرء.

وأما المرجئة: فالإيمان عندهم كل لا يتجزأ إذا زال بعضه زال كله، فمرجئة الفقهاء الإيمان عندهم قول واعتقاد يبقى جميعه ويذهب جميعه. والمرجئة الغلاة: الإيمان عندهم: تصديق أو معرفة بالقلب ليس إلا، أو قول مجرد عن الاعتقاد والعمل.

ومذهب الإمام النووي رحمته الله في زيادة الإيمان ونقصانه هو مذهب أهل السنة والجماعة فقد صرح في مواضع متفرقة من كتبه أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، حتى التصديق القلبي يرى أن يزيد وينقص.

قال رحمته الله: «اعلم أن مذهب السلف والمحدثين وجماعات المتكلمين أن الإيمان قول وعمل ونية، ويزيد وينقص، ومعنى هذا أنه يطلق على التصديق بالقلب، ويطلق على النطق باللسان، وعلى الأعمال بالجوارح كالصلاة وغيرها، ويزيد بزيادة هذه، وينقص بنقصها.

وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصه، وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا.

قال المحققون من المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها، وهي الأعمال، وفي هذا جمع بين ظواهر النصوص الواردة بالزيادة مع أقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون، وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرا حسنا، فالأظهر المختار خلافه، وهو أن نفس التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الأدلة وانسراح الصدر واستتارة القلب، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتبرهم الشبه ولا يزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منسرحة مستتيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفين وما قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك

عاقِل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس»^(١).
فهذا الذي قاله رحمته الله يمثل مذهب أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه كما أنه يرد على المتكلمين القائلين بأن نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، بل الزيادة والنقصان بزيادة الأعمال ونقصان فحسب، ثم بين رحمته الله كيف يزيد تصديق القلب وكيف ينقص، وأن ذلك راجع لكثرة النظر وتظاهر الأدلة وانسراح الصدر واستتارة القلب، ومن ثم يتفاضل الناس في التصديق فيكون إيمان الصديقين كأبي بكر رضي الله عنه أقوى من إيمان غيرهم.

وقد أكد على هذا المعنى في شرحه لقوله رضي الله عنه: ((يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)) وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من إيمان مكان من خير))^(٢).

قال رحمته الله: «نقل ابن بطلال عن المهلب أن المراد بالشعيرة والبرة والذرة زيادة الأعمال التي يكمل بها التصديق لا أنها من نفس التصديق، وهذا موافق للرواية الأخرى في الصحيح أنه قال بعد ذكره الذرة (ثم يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط)»^(٣)، يعني غير التوحيد.

(١) شرح صحيح البخاري للنووي ١١١ - ١١٢، وانظر: ص ١٩٦، ٢٢٤، من المصدر نفسه، وشرح صحيح مسلم ١/١٤٨، ١٤٩، كذلك انظر: فتاوى النووي ١٩٣ - ١٩٤، وشرح صحيح مسلم ٣٢/٣، ٦٧/٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه عن أنس رضي الله عنه ١/١٠٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الشفاعة عن أنس رضي الله عنه ٣/٥٩، والترمذي أبواب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد ٤/١١١، والإمام أحمد في عدة مواضع ١/٢٩٦، كلهم من حديث أنس نحوه..

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إخراج عصاة المؤمنين من النار عن أبي سعيد الخدري ٢/٢٥، وأحمد ٢/٤٠٠ عن أبي هريرة بنحوه.

وقال غير المهلب: يحتمل أن تكون الشعيرة وما بعدها من نفس التصديق لأن قول لا إله إلا الله لا ينفع حتى ينضم إليه تصديق القلب، والناس يتفاضلون في تصديق القلب على قدر عملهم ومعابنتهم، فمن زيادته بالعلم قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾^(١)، ومن المعاينة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٢)، فيجعل لها مزية على علم اليقين والله أعلم، وهذا التأويل هو الصحيح المختار^(٣). فهو بِحَمْدِ اللَّهِ يرجح القول بزيادة تصديق القلب ونقصانه كما تقدم.

وقد ذكرت عند عرض المذاهب في زيادة الإيمان ونقصانه مذهب الإمام مالك بِحَمْدِ اللَّهِ، وأنه قد روي عنه روايتان، رواية فيها أنه قال: الإيمان يزيد ووقف في نقصانه، والرواية الثانية عنه أنه يزيد وينقص، وهي المشهور.

والإمام النووي بِحَمْدِ اللَّهِ ذكر مذهب الإمام مالك نقلا عن ابن بطال وعلل قوله بعدم النقصان فقال بِحَمْدِ اللَّهِ: «... وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص^(٤)، ولذلك توقف مالك بِحَمْدِ اللَّهِ في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذا لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان^(٥)، فابن بطال أوله بنفي النقص في التصديق».

قال بِحَمْدِ اللَّهِ: وقال بعضهم: إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٧.

(٣) شرح البخاري ٢٢٦، ٢٢٧، وانظر: شرح صحيح مسلم ١/١٤٦.

(٤) هذا مذهب ابن بطال، أما مذهب النووي فقد تقدم، وهو مذهب أهل السنة في زيادة التصديق القلبي ونقصانه.

(٥) شرح صحيح مسلم ١/١٤٦، وانظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري ق ٨/١.

بالذنوب.

وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة^(١).

وقد ذكر ابن تيمية رحمته الله تأويلاً ثالثاً، وهو أن مالكا رحمته الله وجد ذكر

الزيادة في القرآن صريحة ولم يجد ذكر النقص فتوقف^(٢).

فإن كان النووي رحمته الله يوافق الأشاعرة في باب الأسماء والصفات وينقل

عنهم؛ فالنوي في هذا الباب - باب الإيمان وما يتعلق به من مسائل - على

مذهب أهل السنة والجماعة، يعتقد أن الإيمان يزيد وينقص، تزيده الطاعة

وتنقصه المعصية.

أما الأشاعرة فقد وقع بينهم خلاف عل الإيمان يزيد وينقص أو لا،

فذهب جمهورهم إلى أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية،

كما قال صاحب الجوهرة:

ورجحت زيادة الإيمان بما تزيد طاعة الإنسان

ونقصه بنقصها وقيل: لا وقيل: لا خلف كذا قد نقلنا^(٣)

وقال جماعة: لا يزيد ولا ينقص، لأنه اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم

والإذعان، وهذا لا يتصور فيه الزيادة والنقصان لأن تلك النهاية لا مراتب لها.

وتأولوا الآيات الدالة على الزيادة بأن الزيادة إنما هي في المؤمن به، لأن

الصحابة كانوا آمنوا بما أنزل على النبي صلوات الله عليه، وكانت الشريعة لم تتم،

وكانت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً، فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد، وتأولوا

الأحاديث بأن الزيادة والنقص يرجع كل منها إلى الأعمال لا التصديق.

(١) شرح صحيح مسلم ١/١٤٦، وانظر في هذا التعليل مجموع الفتاوى ٥٠٦/٧، وعمدة القاري

١٠٧/١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٥٠٦/٧.

(٣) الجوهرة مع تحفة المريد ٤٩.

واختار في (تحفة المرید) القول بدخول الزيادة والنقصان على التصديق القلبي، وإن كان يرى أن الإيمان هو التصديق فحسب، والقول شرط في إجراء الأحكام الدنيوية والأعمال غير داخلة في الإيمان.

قال: «... الأصح أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة... إلا أن قال: فتحصل أن المعتمد أن الإيمان هو التصديق فقط، وأن النطق شرط في إجراء الأحكام الدنيوية، وأن الإيمان يزيد وينقص»^(١).

فتحصل من مذهب الأشاعرة أنهم على قولين:

القول الأول: أن التصديق القلب لا يزيد ولا ينقص، لأنه متى قبل ذلك صار شكاً، ومن هؤلاء الباقلاني^(٢)، والجويني^(٣).

القول الثاني: أنه قابل للزيادة والنقص من حيث القوة والضعف ومن حيث وضوح الأدلة والبراهين عليه، وبه قال البغدادي^(٤)، والإيجي^(٥)، ونصره المرید كما تقدم.

أما النووي رحمته الله فهو يقول بدخول الأعمال في مسمى الإيمان وبزيادة الإيمان ونقصانه، وأنها متعلقة بتصديق القلب وبأعمال الجوارح، وهذا قول جمهور أهل السنة.

(١) تحفة المرید ٥٠ - ٥١.

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني ٨٧.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ٣٣٥.

(٤) انظر: أصول الدين ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٥) انظر: المواضع ٣٨٨.

الفصل الثالث

الاستثناء في الإيمان

هذه المسألة (مسألة الاستثناء في الإيمان) من المسائل التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وغيرهم، ومذهب أهل الحق جواز الاستثناء لا على جهة الشك، كما قال السفاريني رحمته الله:

ونحن في إيماننا نستثني من غير شك فاستمع واستتب^(١) وجوازه عن أهل السنة لأسباب، منها:

١ / خوف التزكية لأنفسهم بالاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ والمرء لا يدري هل قام بأداء الأعمال الواجبة وأمور الإيمان كلها أم لا؟

٢ / قالوا: يصح الاستثناء من وجه آخر يقع على مستقبل الأعمال ومستأنف الأفعال وعلى الخاتمة، وبقية الأعمار، ويريد أنني مؤمن إن ختم الله لي بأعمال المؤمنين، وإن كنت عند الله مثبتاً في ديوان أهل الإيمان، وإن كان ما أنا عليه من أفعال المؤمنين أمراً يدوم لي، ويبقى حتى ألقى الله به^(٢).

فطريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان أن الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون، وبه يتحاكمون، وبه تجرى أحكام ملة الإسلام^(٣).

القول الثاني قول من يوجب الاستثناء في الإيمان، وهؤلاء مأخذان: أحدهما: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند

(١) لوامع الأنوار ٤٣١/١.

(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة ٨٦٥/٢.

(٣) انظر: الشريعة للأجري ١٣٦، والإبانة لابن بطة ٨٦٥/٢ بتصرف.

الله مؤمنا وكافرا باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أن يكون عليه وما قبل ذلك فلا عبرة به.

وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة من قولهم: أنا من إن شاء الله ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل، ولا يشك الإنسان في الموجود منه إنما يشك في المستقبل، ووافق ابن كلاب على ذلك كثير من اتباع الأئمة، لكن هذا ليس قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا كان أحد من السلف الذين يستثنون في الإيمان يعللون بهذا لا أحمد ولا من قبله^(١).

والفرق بين تعليل الكلابية وتعليل أهل السنة رقم (٢) أن الكلابية لا يعتبرون بالإيمان الموجود الآن، وإنما الاعتبار عندهم بالموافاة، أما أهل السنة فيعتبرون بالإيمان الآن لكن يستثنون على أساس بقية الأعمال وحسن الخاتمة. المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك المحرمات كلها، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم. وشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال^(٢).

وهذا هو مذهب المعتزلة، فقد حكى عنهم القاضي عبد الجبار قولهم بوجوب الاستثناء، فقال: «... فإننا نقول: لا يجوز أن يقول أحدنا لنفسه أنا مؤمن قطعا، إذا لا يعلم ذلك من حاله، فأما تقييده بإن شاء الله فليس يقتضي

(١) الإيمان لابن تيمية ٤١٠، ٤١١، ٤١٣، ٤١٥، ط/ المكتب الإسلام، بتصرف واختصار

(٢) المصدر السابق ٢٤٦.

الشك؛ لأن هذه اللفظة موضوعة في العرف لقطع الكلام عن النفاذ»^(١).

وقال في موضع آخر: «... ومن ذلك الكلام في أن أحدنا هل يجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى؟ والأصل فيه أنه يجوز، بل لا يجوز خلافه وقد خالفنا في ذلك جماعة من الكرامية...»^(٢).

القول الثالث: قول من يحرم الاستثناء في الإيمان: وهؤلاء هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً، يعلمه الإنسان من نفسه، كالصدق بالرب نحو ذلك مما في قلبه، فيقول أحدهم: أنا أعلم أنني مؤمن كما أعلم أنني تكلمت بالشهادتين، وكما أعلم أنني قرأت الفاتحة، وكما أعلم أنني أحب رسول الله، وأني أبغض اليهود والنصارى، فقولِي: أنا مؤمن، كقولِي: أنا أبغض اليهود والنصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها، وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله، كذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة^(٣).

بعد هذا العرض لمذاهب الناس في الاستثناء في الإيمان، فإن الإمام النووي رحمته الله قد عرض لهذا الاختلاف بإيجاز في شروحه، واختار ما عليه أهل السنة وهو جواز الاستثناء، فقال رحمته الله: «واختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله أنا مؤمن فقالت طائفة لا يقول أنا مؤمن مقتصرًا عليه بل يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

(١) الظاهر أن مقصود بقوله: "لقطع الكلام عن النفاذ"، أن قول: إن شاء الله لبيان أن هذا الأمر قد ينفذ في المستقبل، وقد لا ينفذ لأن علم ذلك عند الله تعالى.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٨٠٣ باختصار.

(٣) الإيمان لابن تيمية ٤١٠.

وحكى هذا المذهب بعض أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين وذهب آخرون إلى جواز الإطلاق وأنه لا يقول إن شاء الله وهذا هو المختار وقول أهل التحقيق.

وذهب الأوزاعي وغيره إلى جواز الأمرين والكل صحيح^(١)، باعتبارات مختلفة فمن أطلق نظر إلى الحال وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال ومن قال أن شاء الله فقالوا فيه هو أما للتبرك وأما لاعتبار العاقبة وما قدر الله تعالى فلا يدري أيثبت على الإيمان أم يصرف عنه والقول بالتخيير حسن صحيح نظرا إلى مأخذ القولين الأولين ورفعاً لحقيقة الخلاف^(٢). «ولكن القول المختار جواز من غير قول: إن شاء الله»^(٣).

ولو أن النووي رحمته الله قال بتحريم الاستثناء لوافق المرجئة في مذهبهم لكن اختياره لجواز الاستثناء وعدمه بين أنه يرى مذهب أهل السنة في الجملة، والله أعلم.

(١) الكل) يقصد الأقوال الثلاثة كما في شرحه لصحيح البخاري ١١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٩/١ - ١٥٠.

(٣) شرح صحيح البخاري ١١٥.

الفصل الرابع

العلاقة بين الإسلام والإيمان

اختلف السلف - رحمهم الله - في هذه المسألة وذلك لاختلافهم في فهم النصوص الواردة فيها من الكتاب والسنة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول من يرى ترادفهما: ومن أصحاب هذا القول الإمام البخاري^(١)، ومحمد بن نصر المروزي^(٢)، وابن مندة^(٣)، رحمهم الله.

القول الثاني: قول من يرى الفرق بينهما منهم الزهري، والإمام أحمد^(٤)، فقد كان الزهري يقول: نرى أن الكلمة: الإسلام، والإيمان: العمل^(٥).

القول الثالث: قول من يرى التلازم بينهما وأنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهذا قول جماعة من العلماء منهم: ابن تيمية^(٦)، والخطابي^(٧)، وابن الصلاح، وابن رجب^(٨)، والنووي^(٩) وغيرهم رحمهم الله.

الذي يعنينا التفصيل في قوله هو الإمام النووي رحمته الله، فقد فصل في هذه المسألة في أول شرحه لكتاب الإيمان من صحيح مسلم وذكر الأقوال نقلًا

(١) انظر: شرح صحيح البخاري مع الفتح ١١٤/١، والفتح ١١٤/١، ١٢٥.

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة ٥٢٩/٢، ٥٣٠، ٥٣١.

(٣) انظر: الإيمان لابن مندة ٢٢١/١.

(٤) انظر: السنة للخلال ٤٠٦/٣.

(٥) الإبانة لابن بطة ٨٠٢/٢، وانظر: الإيمان لابن مندة ٣١١/١.

(٦) انظر: كتاب الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ١٠، ١١.

(٧) انظر: معالم السنن ٢٩١/٤ ط ١، دار الكتب ١٤١١.

(٨) انظر: جامع العلوم والحكم ٢٦، ٢٧ ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٩) شرح صحيح مسلم ١٤٧/١ - ١٤٨.

عن بعض أهل العلم.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أهم ما يذكر في الباب اختلاف العلماء في الإيمان والإسلام وعمومهما وخصوصهما وأن الإيمان يزيد وينقص أم لا وأن الأعمال من الإيمان أم لا وقد أكثر العلماء رحمهم الله تعالى من المتقدمين والمتأخرين القول في كل ما ذكرناه وأنا أقتصر على نقل أطراف من متفرقات كلامهم يحصل منها مقصود ما ذكرته مع زيادات كثيرة.

قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق رحمه الله في كتابه معالم السنن ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة فأما الزهري فقال الإسلام الكلمة والإيمان العمل واحتج بالآية يعني قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمُ الْيَوْمَ وَالْكَفَرُ قُلُّوا أَسْأَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣). قال الخطابي وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف عليه كتابا يبلغ عدد أوراقه المئين.

قال الخطابي والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٣٥ - ٣٦.

يختلف شيء منها وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر^(١).

كما نقل رحمته الله ما يؤيد مذهب الخطابي عن الإمام البغوي رحمته الله، فقال: «وقال الإمام أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي الشافعي رحمته الله في حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان والإسلام وجوابه، قال: جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))^(٢).

والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٥)، فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولا يكون في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل» انتهى كلام البغوي.

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٤/١ - ١٤٥، وكلام الخطابي في معالم السنن ٢٩١/٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ١٥٧/١ عن عمر بن الخطاب، وأبو داود، كتاب السنة، باب القدر ٢٢٤/٤، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم والإيمان ١١٩/٤، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان ٢٥/١، والإمام أحمد في المسند ٢٧/١، كلهم عن عمر بن الخطاب نحوه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

ثم نقل عن ابن الصلاح رحمته الله ما يؤيد ذلك، قال رحمته الله: «وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمته الله قوله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم إسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله.

ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان، ومقويات ومتممات وحافظات له، ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم^(١)، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة لأن اسم

(١) حديث وفد عبد القيس رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ١٢٩/١ عن ابن عباس، ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغن ١٨٠/٢ عن ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا هي الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر نعمل به وندعو إليه من وراءنا، قال: أمركم بأربع، وأنهاكن عن أربع: الإيمان بالله ثم فسرهما لهم، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء والختم والنقير والمقير...، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء ٢١٩/٤، عن ابن عباس بنحوه، والترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان ١٢١/٤، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب أداء الخمس ١٢٠/٨، وأحمد ٢٢٨/١، كلهم عن ابن عباس بنحوه.

الشيء مطلقا يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ: ((لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن))^(١).

واسم الإسلام يتناول أيضا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، قال: وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم، هذا آخر كلام أبي عمر بن الصلاح^(٢).

وكلام ابن الصلاح الذي نقله النووي وأقره كلام فيه تحقيق متين وجمع بين النصوص، وقد اعتمده المحققون من بعده كابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم.

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الأشربة، باب إنما الخمر والميسر... الآية ٢٠/١ عن أبي هريرة، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ٤١/٢، والترمذي، كتاب الإيمان، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن ١٢٧/٤، والنسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الروايات المغلطات في شرب الخمر ٣١٣/٨، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب النهي عن النهية ١٢٩٩/٢، كلهم عن أبي هريرة نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٧/١ - ١٤٨، وانظر: ١٨٤/١ من المصدر نفسه.

الفصل الخامس

الولاية وكرامات الأولياء

معنى الولاية لغة وتعريف الولي:

قال الجوهري: الولي: القرب والدنو، والولي ضد العدو، يقال عنه: تولاه^(١).

وقال ابن فارس: «الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب. ومن الباب المولى: المعتق والمعتق والصاحب والحليف وابن العم والناصر والجار كل هؤلاء من الولي وهو القرب»^(٢).

والولي ضد العدو. قال الحافظ في الفتح: المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته والمخلص في عبادته^(٣).

وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى لاولي المضاف إلى الرب سبحانه، ويبدل على ذلك ما في الآيات القرآني كقوله سبحانه: ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ (٥).

(١) الصحاح ٦/٢٥٢٨، ٢٥٢٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/١٤١.

(٣) الفتح ١١/٣٤٢.

(٤) يونس: ٦٢-٦٤.

(٥) قطر الولي على حديث الولي للشوكاني ٢٣٧.

الولاية في الشريعة:

الولاية مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطناً^(١).

الكرامة لغة:

قال الجوهرى: «الكرم ضد اللؤم»^(٢).

وقال في اللسان: «الكريم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير

الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه»^(٣).

وقال ابن فارس: الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما

شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق^(٤)؛ فالله سبحانه إذا

أكرم عبداً من عبادته بنعمة من النعم فإنها تسمى (كرامة) لغة أي عظيمة

تكريم منه سبحانه وتعالى^(٥).

الكرامة اصطلاحاً:

الكرامة في الاصطلاح هي: «أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على

أبدي أوليائه».

وقال شارح الطحاوية: «المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف

أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات،

ولكن الكثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة

(١) مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة (كرامات أولياء الله) اللالكائي، تقديم د.

أحمد سعد حمدان، ص ٧.

(٢) الصحاح ٢٠١٩/٥.

(٣) اللسان ٥١٠/١٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٧١/٥، ١٧٢.

(٥) انظر: مقدمة كتاب اللالكائي، كرامات أولياء الله (١٤)، د. أحمد حمدان.

للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة»^(١).

وقال السفاريني: «الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»^(٢).

المذاهب في الكرامة:

قبل أن أعرض كلام النووي -رحمه الله- في الكرامات لا بد من عرض المذاهب في الكرامة وجواز وقوعها وشروطها ثم ينظر في كلام النووي هل وافق أهل السنة أو وافق غيرهم.

المذاهب في الكرامة، في إثبات الكرامة وجواز وقوعها ثلاثة مذاهب: الأول: جواز وقوعها على أيدي الصالحين لكنها لا تبلغ إلى مثل معجزات المرسلين.

هذا ما قرره شيخ الإسلام رحمه الله فقال: «فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»^(٣).

الثاني: جواز وقوعها بدون حد: فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي، وهذا مذهب الأشاعرة.

قال الجويني: «... وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجز لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيتمنع عند هؤلاء أن نطلق البحر، وتقلب العصا ثعباناً

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٧٤٦/١.

(٢) نواعم الأنوار البهية ٣٩٢/٢.

(٣) النبوات ٤، ٥.

ويحي الموتى كرامة لولي، إلى غيرك من آيات الأنبياء وهذه الطريقة غير سديدة أيضاً، والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات»^(١).

ثم قال: «... فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة»^(٢)، فالأشاعرة يفرقون بين خوارق الأنبياء وخوارق الأولياء إلا بدعوى النبوة من النبي.

الثالث: منع انخراق العادات لغير الأنبياء، وهذا قول المعتزلة.

قال ابن تيمية: «فقال طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره...»^(٣).

مذهب الإمام النووي:

تكلم الإمام النووي -رحمه الله- عن كرامات الأولياء وخوارق العادات في كتابه بستان العارفين، فأثبت وقوع كرامات الأولياء واستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية ونقل كلاماً لإمام الحرمين والقشيري وابن فورك والباقلاني، يُقرر فيه مذهب الأشاعرة، وهو إثبات وقوع الكرامات للأولياء بدون حد ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء إلا أن النبي مع وقوع الخارقة يدعي النبوة، والولي لا يدعي النبوة.

قال رحمه الله: «اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول».

(١) الإرشاد ٣١٧.

(٢) الإرشاد ٣١٩.

(٣) النبوات، ص ٥.

أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى وقع أصل من أصول الدين فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع.

وأما النقول فأيات القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة، أما الآيات فقولته تعالى في قصة مريم ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجُنْحِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ (١).

قال الإمام أبو المعالي - رحمه الله تعالى - إمام الحرمين: «ولم تكن مريم نبية بإجماع العلماء»، وكذا قاله غيره بل كانت ولية صديقة كما أخبر الله تعالى عنها وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزُوقًا قَالِ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٢).

ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (٣)، قال العلماء: ولم يكن نبياً. ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيره من قصة أم موسى، ومن ذلك ما استدل به أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين. واستدل القشيري وغيره بقصة الخضر مع موسى عليه السلام قالوا: ولم يكن نبياً، بل كان ولياً، وهذا خلاف المختار والذي عليه الأكثرون أنه كان نبياً...» (٤).

(١) مريم: ٢٥.

(٢) آل عمران: ٣٧.

(٣) النمل: ٤٠.

(٤) بستان العارفين ٧٧-٧٨.

ثم استدل بِحجج الله بأحاديث تثبت وقوع الكرامات لا داعي لذكرها، ثم نقل كلاماً لإمام الحرمين يقرر فيه مذهب الأشاعرة في الكرامة.

قال رحمه الله: «قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: الذي صار إليه أهل الحق جواز انخراق العادة في حق الأولياء، وأطبقت المعتزلة على إنكار ذلك ثم من أهل الحق من صار إلى أن الكرامة الخارقة للعادة شرطها أن تجري من غير إثارة واختيار من الولي وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه^(١)، قال الإمام: وهذا القول غير صحيح.

وصار آخرون منهم إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار، ولكنهم منعوا وقوعها على مقتضى الدعوى فقالوا: ادعى الولي الولاية واعتقد في إثبات دعواه بما يخرق العادة فكان ذلك ممتنعاً.

وهؤلاء فرقوا بين الكرامة والمعجزة بهذا، قال: وهذه الطريقة غير مرضية أيضاً، قال: ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة، قال: وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينقلق وينقلب العصا ثعباناً ويحيي الموتى، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء كرامة لولي.

قال الإمام: وهذه الطريقة غير سديد أيضاً، قال: والمرضي عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات.

وقال: غرضنا من إبطال هذه المذاهب والطرق إثبات الصحيح عندنا.

قال: وأما الفرق بين المعجزة والكرامة فلا يفترقان في جواز العقل إلا

بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة ووقوع الكرامة دون ادعاء النبوة^(٢).

(١) يقصد إمام الحرمين.

(٢) المصدر السابق ١٤/٦.

ثم نقل كلاماً للقشيري في الفرق بين المعجزة والكرامة نصه: «... وتكلم أله الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراييني رحمته الله يقول: المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي وكان يقول: الأولياء لهم كرامات منها إجابة سنة الدعاء فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا.

وقال الإمام أبو بكر بن فورك رحمته الله: المعجزات دلالات الصدق فإن ادعى صاحبها النبوية دلت على صدقه، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته فتسمى كرامة، ولا تسمى معجزة، وإن كانت من جنس المعجزات للفرق وكان رحمها الله يقول: من الفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبي يدعي ويقطع القول به، والولي لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرراً.

ثم نقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني ما يؤكد ذلك. فقال: وقال أوجد وقته في فنه القاضي أبوبكر الباقلاني رضي الله تعالى عنه المعجزات تخص بالأنبياء، والكرامات تظهر للأولياء ولا يكون للأولياء معجزة؛ لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة، وأحد تلك الشرائط دعوى النبوية، والولي لا يدعي النبوية فالذي يظهر لا يكون معجزة.

قال: قال القشيري: «وهذا الذي قاله هو الذي نعتمده وندين به فشرائط

المعجزة كلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد»^(١).

وقرر ذلك في شرحه لحديث جريح في صحيح مسلم^(١)، فقال رحمه الله: «وفي حديث جريح هذا فوائد كثيرة... ومنها إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة، وفيه: أن كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا المتكلمين، ومنهم: من قال: لا تقع باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع أنواعها، ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانها بقلب الأعيان وإحضار الشيء من عدم ونحوه»^(٢).

ومذهب النووي في هذا مرجوح كما قرره شيخ الإسلام قبل.

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ١٠٥/١٦ عن أبي هريرة أنه كان جريح يتعبد في صومعة فجاءت أمه قال: حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعتة كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت يا جريح أنا أمك كلمني فصادفته يصلي فقال: اللهم أمي وصلاتي فاختره صلاته فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت يا جريح أنا أمك فكلمني فقال: اللهم أمي وصلاتي فاخترت صلاته فقالت اللهم هذا جريح وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى تربه المومسات، فقال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره فقال: فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً فقيل لها: ما هذا قالت: من صاحب هذا الدير، قال: فجاؤوا ومساحيهم فبادره فصادفوه يصلي فلم يكلمهم قال: فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له: سل هذه قال: فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك قال: أبي راعي الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال: لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان ثم علاه.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٨/١٦، وقد تكرر في شرحه لصحيح مسلم إثبات الكرامة بدون تفصيل. انظر: ١٣١/٧، ١٩/١٤، ١٥٦/١٥، ١٦٦/١٥، ٢٥/١٦، ٥٦/١٧، ١٣٠/١٨.

الفصل السادس

الكبيرة وحكم مرتكبيها

مما هو متقرر عند أهل السنة أن الذنوب قسمان: كبائر وصغائر ما ثم قسم ثالث وليست كلها كبائر كما قال الجويني وغيره^(١).

فيرى الجويني ومن تبعه: أن الذنوب قسم واحد كلها كبائر، لكن يكون الذنب صغيراً بالنسبة إلى ما هو أكبر منه، فعقوق الوالدين عندهم صغيرة بالنسبة إلى الكفر بالله.

قال الجويني في كتابه الإرشاد: «المرضي عندنا أن كل ذنب كبيرة»^(٢).

وتبعه ابن فورك^(٣)، ونقل ابن القيم عن أبي إسحاق الإسفراييني أنه قال: الذنوب كلها كبائر وليس فيها صغائر فليس مراده أنها مستوية في الإثم بحيث يكون إثم النظر المحرم كإثم الوطء في الحرام، وإنما المراد أنها بالنسبة إلى عظمة من عصى بها كلها كبائر، ومع هذا فبعضها أكبر من بعض، فالأمر في ذلك لفظي لا يرجع إلى معنى^(٤).

وهذا هو مذهب بعض الخوارج فإنهم يرون أن الذنوب كلها كبائر ويكفرون مرتكبيها.

أما جماهير العلماء فعلى أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وهو قول المعتزلة.

(١) مقدمة الزواجر ٥. وانظر: لوامع الأنواع ٣٦٥/١، الجواب الكافي ١٨٦ وما بعدها.

(٢) ٣٦٥.

(٣) مقدمة الزواجر ٧/١.

(٤) انظر: المدارج ٣٤٢/١، ولوامع الأنوار في تقرير أن الخلاف لفظي ٣٦٥/١.

قال ابن تيمية: «من قال إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة فإنه يوجب ألا تكون الذنوب في نفسها تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا خلاف القرآن»^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد دل القرآن الكريم والسنة وإجماع الصحابة على أن في الذنوب من كبائر وصغائر»^(٢).

وعلى هذا القول الراجح في تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، نذكر تعريف الكبيرة والأقوال في ذلك ثم حكم مرتكبيها.

تعريف الكبير في اللغة:

يقال: كبر بالضم إذا عظم فهو كبير، وكُبار وكبار بالتشديد إذا أفرط والكبر نقيض الصغر.

واستكبر الشيء رآه كبيرا وعظم عنده^(٣).

تعريف الكبيرة شرعا:

اختلف السلف في تعريف الكبائر اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد وأقوالهم متقاربة، أذكر جملة منها، فقول:

١/ هي ما أوعد الله عليه حدا في الدنيا أو عذابا في الآخرة، وهذا القول ينسب للضحاك.

٢/ ما سماه الله في القرآن الكريم كبيرا أو عظيما نحو قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(٤)، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا﴾^(٥)، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(١) مجموع الفتاوى ١١/٦٥٦-٦٥٧.

(٢) الجواب الكافي ١٨٦، وانظر: المدارج ١/٣٤٢ - ٣٤٣.

(٣) اللسان ٥/١٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

عَظِيمٌ ﴿١﴾.

٣ / ما كان فيه من المظالم بينك وبين العباد ، والصغائر ما كان بينك وبين الله لأن الله كريم يعفو.

٤ / وقيل: الكبائر ذنوب أهل البدع ، والسيئات ذنوب أهل السنة.

٥ / الكبائر ذنوب العمدة ، والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه ، وحديث النفس المرفوعة عن هذه الأمة ، قال ابن القيم: هذا من أضعف الأقوال طردا وعكسا ، فإن الخطأ والنسيان والإكراه لا يدخل تحت جنس المعاصي حتى يكون أحد قسميها.

٦ / وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين كإبليس ، والصغائر ذنوب المستغفرين كآدم.

٧ / وقيل: الكبائر ما يستصغره العباد ، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون موافقته ^(٢).

٨ / وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

٩ / وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

١٠ / وقيل: ما يذهب الأموال والأبدان.

١١ / وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

١٢ / وقيل: لا تعلم أصلا أبهمت كليلة القدر ^(٣).

وأمثل الأقوال في هذه المسألة ما اختاره ابن تيمية رحمه الله: كل ذنب توعد عليه بحد في الدنيا أو ختم بلعنة أو غضب نار ، كذلك كل ذنب توعد صاحبه

(١) سورة لقمان ، الآية: ١٣.

(٢) المدارج ١/٣٤٧ باختصار.

(٣) الفتاوى ١١/٦٥٠.

بأنه لا يدخل الجنة، ولا يشم رائحة الجنة، وقيل فيه: من فعله فليس منا وأن صاحبه آثم، أو نفي عنه الإيمان.

قال: وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة غيره، فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة كالشرك والقتل والزنا والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وهذا هو القول الراجح لوجوه:

الأول: أنه من المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة.

الثاني: أن الله قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١)، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات، واستحقاق الوعد الكريم، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان من جنة أو ما يقتضي ذلك، فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتبي الكبائر.

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتتاب الكبائر إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه. الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنب، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع، وما سواه ليس متلقى من كلام الله ورسوله بل هو رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي، وهذا لا يجوز^(٢).

فلو تأملنا التعريف المختار وجدناه قد اعتمد الأدلة الواردة في الذنوب والوعيد عليها إما في الدنيا بحد، أو في الآخرة بالنار، أو باللعنة أو الغضب،

(١) سورة النساء، الآية: ٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٦٥٠ - ٦٥١ - ٦ - ٤ - ٦٥٥ بتصرف واختصار.

أو نفي شم رائحة الجنة، أو قيل فيه ليس منا، أو صاحب هذا الفعل آثم أو نفي عنه الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلَمْهُ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا أَمْتَحَرَفًا لِقَتَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِعَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤).

وقوله ﷺ: ((لا يدخل الجنة قاطع)) (٥).

وقوله ﷺ: ((من غشنا فليس منا)) (٦).

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٣) سورة محمد، الآيتان ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع ٤١٥/١٠، ومسلم، كتاب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ١١٣/١٦، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب صلة الرحم ١١٤/٥، والترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في صلة الرحم السنن مع التحفة ٣٦/٦، كلهم من حديث جبير بن مطعم.

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا ١٠٨/٢، وأبو داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن الغش بنحوه ٣٢١/٩، والترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع بنحوه ٥٤٤/٤ كلهم من حديث أبي هريرة.

وقوله عليه السلام: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن... (١) (الحديث) (٢).

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، وأما تلك الأمور فلا يكمن بها التفريق بين الكبائر والصغائر؛ لأن الفرق بين ما اتفقت فيه الشرائع واختلفت فيه لا يعلم إن لم يمكن وجود عالم بتلك الشرائع على وجهها، وهذا غير معلوم لنا.
الخامس: أن تلك الأقوال فاسدة.

١ / فقول من قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دوم ما اختلفت فيه يوجب أن يكون الفرار من الزحف ليس من الكبائر إذ الجهاد لم يجب في كل شريعة.

٢ / قول من قال: ما يسد باب المعرفة من الأمور النسبية والإضافية فقد يسد باب المعرفة عن زيد ما لا يسد عن عمرو، وليس حد محدود.

٣ / قول من قال: إنها ذهاب النفوس والأموال يوجب أكون يكون عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وأكل الميتة وقذف المحصنات المؤمنات ليس من الكبائر.

٤ / من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها وأن ما عصي الله به فهو كبيرة يوجب أن لا تكون الذنوب في نفسها تنقسم إلى كبائر وصغائر، وهذا خلاف القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ (٣)، وغيرها من الآيات التي تقدمت.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٦٤.

(٢) انظر في ذكر الأدلة: مجموع الفتاوى ٦٥١/١١ - ٦٥٢.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

٥ / من قال: إنها مبهمة أو غير معلومة فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها^(١)، ثم إن الله سبحانه أمر باجتنابها ووعده بتكفير السيئات والمدخل الكريم لمن اجتنبها فإن كانت مبهمة كفي نجتنبها!

مذهب الإمام النووي:

اختار النووي رحمته الله تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر، وذكر الخلاف في حد الكبيرة، قال رحمته الله: «وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة، وبهذا قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الفقيه الشافعي الإمام في علم الأصول والفقه وغيره وحكى القاضي رحمته الله هذا المذهب عن المحققين. واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله تعالى كبيرة.

وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها.

قال الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه البسي في المذهب: إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقه وقد فهمها من مدارك الشرع.

وهذا الذي قاله أبو حامد قاله غيره بمعناه، ولا شك في كون المخالفة قبيحة جدا بالنسبة إلى جلال الله تعالى، ولكن بعضها أعظم من بعض وتنقسم باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما جاء به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦٥٥/١١ - ٦٥٦ - ٦٥٧.

الصحيح ما لم يغش كبيرة^(١)، فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صفائر، وما لا تكفره كبائر، ولا شك في حسن هذا، ولا يخرجها هذا عن كونها قبيحة بالنسبة إلى جلال الله تعالى، فإنها صغيرة بالنسبة إلى ما فوقها لكونها أقل قبحا وكونها متيسرة التكفير، والله أعلم^(٢).

هذا كلامه رحمته الله في تقرير انقسام الذنوب إلى كبائر و صفائر، وهو كلام قوي ونفيس موافق للنصوص الشرعية كما أنه قول الجمهور.

أما ابن عباس رضي الله عنهما فقد روي عنه روايتان: رواية قال فيها: كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة، ورواية بانقسام الذنوب والمعاصي إلى كبائر و صفائر، كما ذكر النووي رحمته الله.

أما حد الكبيرة شرعا: فقد قدمت ذكر الخلاف فيه، والقول الراجح ووجوه ترجيحه ثم الجواب عن الأقوال الفاسدة.

والإمام النووي رحمته الله حكى الخلاف في حدها، ونقل نقولات عن بعض أهل العلم، قال رحمته الله: « وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صفائر و كبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافا كثيرا منتشرا جدا فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ونحو هذا عن الحسن البصري وقال آخرون هي ما أوعده الله عليه بنار أو حد في الدنيا.

وقال أبو حامد الغزالي في البسيط والضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف و حذار ندم

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ١١٧/٣، عن أبي هريرة، و الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس ٢١٨/١، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٤٥/١، والإمام أحمد ٤٨٤/٢ عن أبي هريرة نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨٤/٢ - ٨٥، ١٥٨/٧، وانظر: شرح صحيح البخاري ٢٠٢.

كالمتهاون بارتكابها والمتجريء عليه اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس أو اللسان وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تدمر يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة.

وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبير وعظم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الإطلاق قال فهذا حد الكبيرة ثم لها أمارات منها إيجاب الحد ومنها الأبعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق نسا ومنها اللعن كلعن الله سبحانه وتعالى من غير منار الأرض.

وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن عبد السلام رحمته الله في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت ادنى مفسد الكبائر أو ربت عليه فهي من الكبائر فمن شتم الرب سبحانه وتعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو استهان بالرسول أو كذب واحدا منهم أو ضمخ الكعبة بالعدرة أو ألقى المصحف في القاذورات فهي من أكبر الكبائر ولم يصرح الشرع بأنه كبيرة وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورات المسلمين مع علمه أنهم يستأصلون بدلالته ويسبون حرهم وأطفالهم ويفنمون أموالهم فان نسبته إلى هذه المفسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه أما اذا كذب عليه كذبا يؤخذ منه بسببه تمرة فليس كذبه من الكبائر قال وقد نص الشرع على أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر فان

وقعا في مال خطير فهذا ظاهر وان وقعا في مال حقير فيجوز أن يجعلوا من الكبائر فظاما عن هذه المفسد كما جعل شرب قطرة من خمر من الكبائر وان لم يتحقق المفسدة ويجوز أن يضبط ذلك بنصاب السرقة قال والحكم بغير الحق كبيرة فان شاهد الزور متسبب والحاكم مباشر فاذا جعل السبب كبيرة فالمباشرة أولى قال وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بانها كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو الحد أو اللعن أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة.

ثم قال والأولى أن تضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها والله أعلم هذا آخر كلام الشيخ أبي محمد بن عبد السلام رحمته الله (١).

ثم نقل عن أبي الحسن الواحدي المفسر وغيره: الصحيح أن حد الكبيرة غير معروف، بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف وهي مشتملة على صغائر وكبائر، والحكمة في عدم بيانها أن يكون العبد ممتعا من جميعها مخافة أن يكون من الكبائر.

قالوا: وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وساعة إجابة الدعاء من الليل واسم الله الأعظم ونحو ذلك مما أخفي، والله أعلم (٢).

قال رحمته الله: «قال العلماء: والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، وروي عن عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار.

معنا: أن الكبيرة تمحى بالاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار.

(١) انظر: القواعد ١٩/١ - ٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨٥/٢ - ٨٦.

قال الشيخ أبو محمد بن عبدالسلام في حد الإصرار، هو أن تتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقله مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك، قال: وكذلك إذا اجتمعت صفات مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر^(١).

حكم مرتكب الكبيرة:

مما ينبغي أن يعلم أن من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ثم تاب منها توبة نصوحاً فجمهور العلماء على القطع بقبولها^(٢)، ومن الناس من قال: لا يقطع بقبول التوبة بل يرجى، وصاحبها تحت المشيئة، وممن قال بهذا إمام الحرمين^(٣). والصحيح قول الجمهور.

أما من قارف كبيرة من الكبائر ولم يحدث توبة فهذه مسألة وقع فيها خلاف شديد بين المسلمين، بل هو أول خلاف ظهر في الإسلام في مسائل أصول الدين^(٤).

أثارت الجدل حولها فرقة الخوارج، فإنهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، فاستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، وكفروا على بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن والاهما، وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلين لقتله.

(١) شرح صحيح مسلم ٨٦/٢ - ٨٧.

(٢) انظر: لوامع الأنوار ٢٧٣/١، مجموع الفتاوى ٤٨٧/٧، الدين الخاص لصديق حسن ٣٦٦/١، وليس المقصود بالقطع، القطع في علمنا إلا أن يأتي خبر صادق، كتوبة الله على آدم أو موسى لما قتل الرجل... إلخ، أو توبة الله على كعب بن ملك لما تخلف عن غزوة تبوك... إلخ، والمقصود أننا نقطع بأن صاحب الكبيرة إذا تاب توبة نصوحاً أنها تقبل، ويغفر له يوم القيامة هذا ما دلت عليه النصوص الصريحة بأن الله يقبل التوبة عن عباده.

(٣) الإرشاد ٣٣٩.

(٤) انظر: الفتاوى ٤٧٩/٧.

وقالوا: ما الناس إلا مؤمن وكافر، والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار، ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك، فقالوا: إن عثمان وعلياً ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله وظلموا فصاروا كفاراً^(١).

وظهرت بالمقابل فرقة: يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية^(٢).

وهذا الخلاف في هذه المسألة كان هو السبب في ظهور فرقة المعتزلة القائلين بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، حيث كان زعيمهم في هذه المقالة واصل بن عطاء الغزال، من تلاميذ الحسن البصري، وحدث أن دخل رجل عليه فسأله عن حكم مرتكب الكبيرة، فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب واصل: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، فطرده الحسن من مجلسه فاعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فسموا معتزلة^(٣).

مذهب أهل السنة والجماعة:

وسط بين طرفين من أهل الغلو والجفاء، وهدى بين ضلالين فضي الدنيا يقولون: إن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان، فلا يسلبون عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يثبتونه على الإطلاق، أو يقولون: هو مؤمن

(١) مجموع الفتاوى ٧/٤٨١ - ٤٨٢ باختصار.

(٢) الملل والنحل ١/٤٨.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/٤٨، الفرق بين الفرق ١١٨.

عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته^(١).

وفي الآخرة إن مات من غير توبة وهو على التوحيد والإخلاص فأمره إلى الله عز وجل إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه واستصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار؛ فعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلقتم لهم فضلاً من الله ومنة^(٢).

مذهب الإمام النووي:

إن مذهب النووي رحمه الله في حكم مرتكب الكبيرة هو مذهب أهل السنة والجماعة، يتبين لنا ذلك في مواضع كثيرة من شرحه لصحيح البخاري ومسلم وجوابه عن أحاديث الوعد والوعيد، وحيث لا حاجة للإطالة في مسألة لم يخالف فيها النووي منهج السلف فإني أذكر أوضح ما قال في ذلك وأشير إلى بقية المواضع إشارة:

ويرى الإمام النووي رحمه الله أن من ارتكب الكبيرة من كبائر الذنوب ثم تاب منها فتوبته تكفر الكبائر، قال رحمه الله في شرحه لقوله ﷺ: ((من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب))^(٣).

(١) التوضيح عن توحيد الخلاف لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ١٣٠ بتصرف، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٤١/٧.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٤/١ - ١٢٥ بتصرف واختصر، وانظر: الدين الخالص ٣٥١/١، لوامع الأنوار ٢٣٦٨/١.

(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها يمنعه إياها في الآخرة ١٧٢/١٣ - ١٧٣ عن ابن عمر، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر ٣٢٧/٣، والنسائي، كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر ٣١٨/٨، كلاهما عن ابن عمر نحوه، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب الخمر مفتاح كل شر ١١١٩/٢ عن ابن عمر بمثله، والإمام أحمد ٩٢٢/٢ عن ابن عمر مثله.

في هذا الحديث دليل على أن التوبة تكفر المعاصي الكبائر وهو مجمع عليه، واختلف متكلموا أهل السنة في أن تكفيرها قطعي أو ظني وهو الأقوى، والله أعلم^(١)، فعبارة النووي تدل على أنه ظني عنده لأنه قال: وهو الأقوى، وضمير الفصل يعود إلى الأقرب.

قال في موضع آخر: «... الكبائر إنما تكفرها التوبة ورحمة الله تعالى وفضله»^(٢).

وقال رحمته الله في شرحه لحديث عثمان قال القاضي عياض: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة))^(٣).

قال القاضي عياض رحمته الله: «اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية من الإيمان، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة، ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجة من النار وإدخاله الجنة قال: وهذا الحديث حدة على الخوارج والمعتزلة، وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محمله على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخل الجنة فيكون معنى قوله رحمته الله: ((دخل الجنة)) أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب، وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة فلا بد من تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة.

وفي قوله رحمته الله: ((وهو يعلم)) إشارة إلى الرد على من قال من غلى المرجئة

(١) شرح صحيح مسلم ١٣/١٧٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣/١١٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٢١٧/١ - ٢١٨ عن

إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله ﷺ: ((غير شاك فيهما))^(١)، وهذا يؤكد ما قلناه^(٢).

قال ﷺ قال القاضي وقد يحتج به أيضا من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم، ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالشهادتين لا تنفع إحداهما ولا تتجني من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه أو لم تمهله المدة ليقولها بل اخترمته المنية، ولا حجة لمخالف الجماعة بهذا اللفظ إذ قد ورد مفسرا في الحديث الآخر: ((من قال لا إله إلا الله))^(٣)، ((ومن شهد إن لا إله إلا الله وأني رسول الله))^(٤)، وقد جاء هذا الحديث وأمثاله كثيرة في ألفاظها واختلاف ولعانيها عند أهل التحقيق ائتلاف فجاء هذا اللفظ في الحديث، وفي رواية معاذ عنه ﷺ: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))^(٥)، وفي رواية عنه ﷺ: ((من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة))^(٦)، وعنه ﷺ: ((ما من

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالشهادتين لم يحجب عن الجنة ٢٢٦/١، والإمام أحمد ١١/٣ عن أبي هريرة نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١٨/١ - ٢١٩، وانظر: ٢٢٣/١١ - ٢٢٤، من المصدر نفسه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار ٢٢٩/١، عن عبادة بن الصامت بلفظ: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله حرم الله عليه النار)).

(٥) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب التلقين ١٩٠/٣، عن معاذ بن جبل، والإمام أحمد ٢٣٣/٥ عن معاذ نحوه.

(٦) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا ٢٢٧/١ عن معاذ بمثل رواية بسم الله، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ٩٣/٢ عن جابر بن عبد الله، وابن ماجه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلما ٨٧٣/٢ عن عقبه بن عامر الجهني بنحوه، والإمام أحمد في مواضع منها ٣٦٢/٣ عن أبي هريرة بنحوه.

عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار))^(١). ونحوه في حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك، وزاد في حديث عبادة: ((على ما كان من عمل))^(٢)، وفي حديث أبي هريرة: ((لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق))^(٣)، وفي حديث أنس: ((حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى))^(٤).

وهذه الأحاديث كلها سردها مسلم رحمته الله في كتابه فحكى عن جماعة من السلف رحمهم الله منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، وقال بعضهم: هي جملة تحتاج إلى شرح، ومعناه: من قال الكلمة وأدى حقها وفريضةها، وهذا قول الحسن البصري.

وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك، وهذا قول البخاري، وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها، وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون، فنقرر أولا أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٢٤٠/١، ونصه: ((عن أنس أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرجل قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار)).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٢١٧/١ عن عبادة، والبخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق..." عن عبادة بنحوه ٤٧٤/٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٦٦.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت ٥١٩/١ عن عتبان، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة ١٥٩/٥ عن عتبان.

على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائباً أو سليماً من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة، فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بينا، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري.

وإن كان من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة لا يقطع في أمره تحريمه على النار ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة بل يقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخراً، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه وإن شاء عفا عنه بفضله، ويمكن أن تستقل الأحاديث بنفسها ويجمع بينها فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمانه من إجماع أهل السنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد إما معجلاً معافى، وإما مؤخراً بعد عقابه. والمراد بتحريم النار تحريم الخلود خلافا للخوارج والمعتزلة في المسألتين، ويجوز في حديث: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))^(١)، أن يكون خصوصاً لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه وإن كان قبل مخطئاً فيكون سبباً لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين، وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا ودخوله من أي أبواب الجنة شاء يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره النبي ﷺ وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٦٧.

قال رحمته الله: هذا آخر كلام القاضي عياض رحمته الله وهو في نهاية الحسن (١).

ثم أجاب رحمته الله عن قول بعض السلف أن أحاديث الوعد قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، فقال رحمته الله: وما ما حكاه (٢) عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل، وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة رضي الله عنه وهو متأخر الإسلام أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق، وكانت أحكام الشريعة مستقرة وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة، وكانت الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الأحكام قد تقرر فرضها وكذا الحج على قول من قال فرض سنة خمس أو ست وهما من قول من قال سنة تسع (٣)، والله أعلم.

وقد أجاب رحمته الله عن أحاديث الوعيد بالنار وتحريم دخول الجنة، ونفي الإيمان والأحاديث الدالة على تكفير مرتكب المعصية في ما موضع من كتبه، فقال رحمته الله في شرحه لقوله رحمته الله: ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) (٤): «معنى الحديث أن هذا جزاؤه وقد يجازى به وقد يعفو

(١) شرح صحيح مسلم ٢١٩/١ - ٢٢٠، وانظر: ٢٢٧/١، ١٦١/٥، من المصنف نفسه، وانظر: شرحه لصحيح البخاري ١٤٧، ١٤٨، ١٨٧، ١٩١، ٢١٨، ٦٢٦.

(٢) أي القاضي عياض.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/١.

(٤) رواه مسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ٦٧/١ - ٦٨، عن أبي هريرة، والبخاري في مواضع كثيرة منها: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة ١٦٠/٣ عن المغيرة بمثلته، والترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٢٦٨/٤، عن ابن عباس بمثلته، وابن ماجه في المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١٢/١ بمثلته، والإمام أحمد في عدة مواضع منها عن أبي سعيد الخدري ٣٩/٣.

الله الكريم عنه ولا يقطع عليه بدخول النار وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر فكلاهما يقال فيها هذا جزاؤه وقد يجازى وقد يعفى عنه ثم إن جوزي وأدخل النار فلا يخلد فيها بل لا بد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته ولا يخلد في النار أحد مات على التوحيد وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة»^(١).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))^(٢). قال ﷺ: في معنى لا يدخل الجنة، جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا أحدهما: أنه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلاً.

والثاني: معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً، وإنما تأولنا هذين التأويلين لأننا قدمنا أن مذهب أهل الحق أن مات على التوحيد مصراً على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة أو لا، وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة، والله أعلم^(٣).

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...))

(١) شرح صحيح مسلم ٦٨/١ - ٦٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار ١٧/٢ عن أبي هريرة، والبخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ٤٤٣/١٠ عن أبي شريح بنحوه، والإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع ٢٨٧/١ عن ابن مسعود بنحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧/٢، وانظر المصدر نفسه ٥٢/٢، ٩١/٢ - ٩٧، ٢١٤/١٢، ٢١٥،

الحديث))^(١).

قال ﷺ: هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا علم الا ما نفع ولا مال إلا الابل ولا عيش إلا عيش الآخرة وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: ((من قال لا اله إلا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق))^(٢)، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره ثم قال لهم ﷺ: ((فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وان شاء عذبه))^(٣) فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قوله الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤٥.

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ١١٠/٣، عن أبي ذر الغفاري نحو رواية مسلم، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وأن من مات مشركاً دخل النار ٩٤/٢ عن أبي ذر، والترمذي، كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة ١٣٦/٤ عن أبي ذر نحوه، والإمام أحمد في مواضع كثيرة منها: ١٥٩/٥ عن أبي ذر نحوه.

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة ٢١٩/٧ عن عبادة، ومسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها ٢٢٢/١١، والترمذي في أبواب الحدود، باب ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها ٤٤٧/٢، والنسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك ١٤٧/٧ كلهم عن عبادة نحوه.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة.

وكل هذه الأدلة تضطرننا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيراً إذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا.

وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق وزان وفاجر وفاسق وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه ينزع منه نور الإيمان وفيه حديث مرفوع^(١).

وقال المهلب ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى وذهب الزهري إلى أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت ولا يخاض في معناها وأنا لا نعلم معناها وقال أمروها كما أمرها من قبلكم وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها غلط فتركهتا وهذه الأقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتملة والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه أولاً والله أعلم^(٢).

لكن الصحيح أن المنفي هو كمال الإيمان الواجب وليس المستحب كما قد يظن البعض، وفرق كبير بين الأمرين، وممن نبه إلى هذا شيخ الإسلام

(١) الموقوف عن ابن عباس رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/١١ عن ابن عباس قال لغلام من غلامانه: (ألا أزوجك فما من عبد يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان)، ولم أقف عليه مرفوعاً.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤١/٢ - ٤٢.

ابن تيمية في الإيمان.

وفي شرحه لقوله ﷺ: ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم))^(١).
قال: ((ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

وأما قوله ﷺ: ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا)) فهو على ظاهره وإطلاقه فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً وإن لم يكن كامل الإيمان فهذا هو الظاهر من الحديث^(٢).

أما الأحاديث الدالة على خلود مرتكب الكبيرة في النار فقد أجاب بأجوبة في شرحه لقوله ﷺ: ((من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً))^(٣).

قال ﷺ: «أما قوله ﷺ: ((فهو في نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً))، فقيل فيه أقوال: أحدها: أنه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ٣٥/٢، عن أبي هريرة، وابن ماجه في المقدمة في باب الإيمان ٢٦/١ عن أبي هريرة مثله، والإمام أحمد في عدة مواضع منها ١٦٥/١ عن أبي هريرة نحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٦/٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١١٨/٢ عن أبي هريرة، والترمذي، كتاب الطب، باب من قتل نفسه بسم أو غيره ٢٦٠/٢، والإمام أحمد ٤٧٨/٢ كلاهما عن أبي هريرة نحوه.

والثاني: أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام، كما يقال خلد الله ملك السلطان.

والثالث: أن هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلماً^(١).

وأما الأحاديث التي زاهرها تكفير مرتكب الكبيرة فقد أجاب عنها بأجوبة وذلك عند شرحه لقوله ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))^(٢)، وقوله ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض))^(٣).

قال رحمه الله: أما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ.

وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة

(١) شرح صحيح مسلم ١٢٥/٢.

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله ١١٠/١ عن عبد الله بن مسعود، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٥٢/٢ ٥٤ عن ابن مسعود، والترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء سباب المسلم فسوق ١٣١/٤، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب قتال المسلم ١٢٢/٧، كلهم عن ابن مسعود بنحوه، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان ٢٧/١، والإمام أحمد في مواضع كثيرة منها: ١٧٦/١ عن ابن مسعود بنحوه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ٥٥/٢ عن جرير، والبخاري في عدة مواضع منها: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء ٣١٧/١ عن جرير بمثله، وأبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٢٢١/٤ عن ابن عمر بمثله، والترمذي، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ٣٢٩/٣ عن ابن عباس، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل ١٢٤/٧ عن ابن عمر بنحوه، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ١٣٠٠/٣ عن جرير بمثله، والإمام أحمد في مواضع عديد منها ٤٠٢/١ عن عبد الله بمثله.

كما قدمناه في مواضع كثيرة إلا إذا استحله فإذا تقرر هذا فقل في تأويل الحديث أقوال:

أحدها أنه في المستحل.

والثاني: أن المراد كفر الإحسان ولا نعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود والنعمة.

والثالث: أنه يؤول إلى الكفر بشومه.

والرابع: أنه كفعل الكفار، والله أعلم^(١).

وقال في شرحه لقوله ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفارا...)) قيل في معناه سبعة أقوال:

أحدها: أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق.

والثاني: المراد كفر النعمة وحق الإسلام.

والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه.

والرابع: أنه فعل كفعل الكفار.

والخامس: المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين.

والسادس: حكاية الخطابى وغيره أن المراد بالكفار والمتكفرون بالسلاح.

يقال / تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه، قال الأزهرى في كتابه تهذيب اللغة يقال: للابس السلاح كافر.

والسابع: قاله الخطابى معناه لا يكفر بعضكم بعضا فتستحلوا قتال بعضكم بعضا.

وأظهر الأقوال الرابع: وهو اختيار القاضي عياض رحمته الله^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ٥٤/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥/٢، وانظر المصدر نفسه ٥٧/٢ - ١٢٦ - ١٤٣.

وما رجحه النووي وغيره مبني على ما هو متقرر من أن الكفر والنفاق والشرك تنقسم إلى أصغر وأكبر... إلخ.

إثبات دخول طائفة من عصاة الموحدين النار:

مذهب أهل السنة في عصاة الموحدين ومرتكبي الكبائر من المسلمين إذا ماتوا من غير توبة، هو ما دلت عليه النصوص الشرعية أنهم تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة وإن شاء عذبهم.

ثم إنهم يقطعون بدخول طائفة من عصاة الموحدين النار ومن الأدلة على ذلك الأحاديث الدالة على خروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة.

قال النووي رحمته الله في شرحه لقوله عليه السلام: ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد أسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية))^(١).

في هذا الحديث أنواع من العلم منها ما ترجم له وهو تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ومنها إثبات دخول طائفة من عصاة الموحدين النار...^(٢).

وهذا صحيح، وبه يتميز مذهب أهل السنة عن مذهب المرجئة في حكم الآخرة، فأهل السنة يقولون: صاحب الكبيرة في الآخرة تحت المشيئة، لكن يقولون بالوعيد المجمل، وهو أنه لا بد من دخول طائفة من أهل الكبائر من الموحدين النار ثم يخرجون منها.

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١٥٦، عن أبي سعيد الخدري، وانظر: الصحيح مع الفتح ٧٢/١، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ٥٢/٣، عن جابر بنحوه، والإمام أحمد ٥/٣ عن أبي سعيد.

(٢) شرح صحيح البخاري ١٥٨.

الفصل السابع

التكفير

إن التكفير حكم شرعي لا يطلق على معين إلا بشروطه الشرعية، ومن ثبت في حقه تلك الشروط أطلق عليه حكم الردة بلا تردد.

وكما أنه ليس لأحد أن يحكم على قول أو فعل أنه شرك إلا بدليل شرعي فكذلك ليس لأحد أن يطلق حكم الردة على معين إلا بضوابط شرعية.

والمسلم إذا تلبس بشيء من مظاهر الشرك لا يلزم أن نحكم عليه بالشرك، بل قد يكون معذورا فلا يحكم برده حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه^(١).

والإمام النووي رحمه الله تكلم عن مسألة التكفير من جوانب كثيرة في مواضع متفرقة من كتبه، وذكر قواعد وجملها هي من ضمن اعتقاد أهل السنة والجماعة. قال رحمه الله: «واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم برده وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره وكذا حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة»^(٢).

فهو هنا يقرر قاعدة من قواعد أهل السنة المهمة وهي عدم تكفير المسلم

(١) انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني ٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/١٥٠.

بكل ذنب خلافا للخوارج ومن وافقهم، ولا يكفر إلا من دلّ النص الشرعي الصحيح على كفره وعُرف ذلك واصر عليه.

وقد تعرض رحمته الله لمسائل مهمة في التكفير هي:

١ / أقسام الكفر وأنواعه.

٢ / حكم مرتكب الكبيرة.

٣ / تكفير المبتدعة.

٤ / مسائل في التفكير مثل:

من شك في براءة عائشة رضي الله عنها.

من جحد معلوما من الدين بالضرورة.

١ / أقسام الكفر وأنواعه:

قسم النووي رحمته الله الكفر إلى ثلاثة أقسام من جهة متعلقة: فقال: قال

أصحابنا وغيرهم: الكفر ثلاثة أقسام: أحدها: بالاعتقاد بأن يعتقد شيئا يكفر أو ينكر بقلبه شيئا مما ذكرناه، والثاني: باللفظ بأن يتكلم بكلام الكفار ولا يقصد معناه فهذا كفر، والثالث: بالفعل: بأن يسجد لصنم أو نحوه أو يلقي المصحف في القاذورات ويضمخ الكعبة بالعدرة والعياذ بالله تعالى، فكل فعل من هذه وأشباهاها كفر بلا خلاف وحكم فاعله حكم سائر المرتدين عاقنا الله تعالى وسائر المسلمين، وبالله التوفيق^(١).

أما أنواع الكفر الأكبر فقد جعلها أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق.

قال رحمته الله: «قال بعض العلماء: الكفر أربعة أنواع كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق وهذه الأربعة من لقي الله تعالى بواحدة

(١) شرح صحيح البخاري ١١٦، ١١٧.

منها لم يغفر له، فكفر الإنكار: أن يكفر بقلبه ولسانه وأن لا يعرف ما يذكر له من التوحيد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، أي كفروا بتوحيد الله سبحانه وتعالى وأنكروا معرفته.

وأما كفر الجحود: فإن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه، وهذا كفر إبليس وبلعم وأمّية بن أبي الصلت.

وكفر المعاندة: أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه يأبى أن يقبل بالتوحيد ككفر أبي طالب.

وأما كفر النفاق: فإن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ككفر المنافقين^(٢).

وقد قسم ابن القيم رحمته الله الكفر الأكبر خمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر إباء واستكبار مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزل به المَعذرة، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٣).

وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَ اللَّهُ

بِجَحْدُونَ﴾^(٤)، وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح؛ إذ هو تكذيب باللسان.

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٢) شرح صحيح البخاري ١٧٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكباراً وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، وهذا كفر أبي طالب أيضاً فإنه صدق ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية وتعظيم آباءه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة.

وأما كفر الشرك: فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق^(١).

٢ / حكم مرتكب الكبيرة:

سبق وأن ذكرت في أول هذا الفصل القاعدة التي ذكرها ﷺ في التكفير وأن أهل الحق يعتقدون أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب^(٢).

كما سبق بيان هذه المسألة (حكم مرتكب الكبيرة) في هذا الباب، وعرضت لمذهب النووي فيها وأنه يوافق ما عليه السلف من عدم مرتكب الكبيرة الذي لم يتب منها، والحكم عليه بالفسق وعدم تحقير شأن المعصية

(١) مدارج السالكين ١/٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحداً بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج... انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣١٧، ط/٨، المكتب الإسلامي.

خلافًا للمرجئة، فإن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله عز وجل في الآخرة إن شاء عاقبه على كبيرته وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة.

وهنا أركز على عدم تكفيره صاحب الكبيرة، وسوف أنقل من كلامه رحمته ما يدل على ذلك فقط، قال رحمته في تعليقه على ترجمة البخاري لباب: (المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك...): المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بمجرد فعلها.

وقوله: بارتكابها احترازا من اعتقادها لأنه لو اعتقد بعض المحرمات المعلومة عن دين الإسلام ضرورة كالخمر والزنا وشبهها كفر بلا خلاف إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم بحيث يجوز أن يخفى عليه تحريم ذلك فإنه حينئذ لا يكفر لكن يعرف تحريم ذلك ثم إن اعتقد حله بعد ذلك صار كافرا وهذا الذي ذكرناه من كونه لا يكفر بارتكاب المعاصي الكبائر هو مذهب أهل السنة بأجمعهم خلافًا للخوارج فإنهم كفروه والمعتزلة حكموا بتخليده في النار من غير تكفير.

وقال أهل الحق: لا يخلد في النار من مات موحدا وإن ارتكب من الكبائر غير الشرك ما ارتكب كما جاءت الأحاديث الصحيحة^(١).

٣/ تكفير المبتدعة:

يرى النووي رحمته عدم تكفير المبتدعة إلا القدرية الأول الذي نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات، قال رحمته: «... ولا يكفر أهل البدع والأهواء»^(٢)، هذا حكم عام على أهل البدع.

وقد ذكر عدم تكفير الخوارج في شرحه لقوله رحمته: ((إذا كفر الرجل

(١) شرح صحيح البخاري ١٨٢، ١٨٣، وأنظر: شرح صحيح مسلم ٤٦/٢، ٤٩، ٥٠، ٥٤.

(٢) شرح صحيح البخاري ١١٦.

أخاه فقد باء بها أحدهما))^(١).

فقال رحمته الله: «قيل في تأويل الحديث أوجه أحدها أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر وكذا حار عليه وهو معنى رجعت عليه أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد.

والوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.

والثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين وهذا الوجه نقله القاضي عياض رحمته الله عن الإمام مالك بن أنس وهو ضعيف لان المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»^(٢).

أما تكفير القدرية فقد تكلم عنه في شرحه لقول ابن عمر في أول صحيح مسلم: ((فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأهم براء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر))^(٣).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٥١٤/١ عن أبي هريرة، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ٤٩/٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأحمد ٤٤/٢ عن ابن عمر بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٠/٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كفر من نفى القدر ١٥٠/١ - ١٥٦، عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت...

قال رحمته الله: «هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية، قال القاضي عياض رحمته الله: هذا في القدرية الأول الذي نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات.

قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة.

قال غيره: ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة فيكون من قبيل كفر النعم، إلا أن قوله: ((ما قبله الله منه)) ظاهر في التكفير فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم: لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحا...»^(١).

قال ابن تيمية رحمته الله: «وأما السلف والأئمة فلم يتنازعا في عدم تكفير المرجئة "و" الشيعة" المفضلة ونحو ذلك ولم تختلف نصوص أحمد في أنه لا يكفر هؤلاء وإن كان من أصحابه من حكى في تكفير جميع أهل البدع - من هؤلاء وغيرهم - خلافا عنه أو في مذهبه حتى أطلق بعضهم تخليد هؤلاء وغيرهم وهذا غلط على مذهبه وعلى الشريعة.

ومنهم من لم يكفر أحدا من هؤلاء إلحاقا لأهل البدع بأهل المعاصي قالوا: فكما أن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدا بذنوبه فكذلك لا يكفرون أحدا ببدعة.

والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير "الجهمية المحضة" الذين ينكرون الصفات وحقيقة قولهم أن الله لا يتكلم ولا يرى؛ ولا يباين الخلق؛ ولا له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة بل القرآن مخلوق وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار وأمثال هذه المقالات. وأما الخوارج والروافض ففي

(١) شرح صحيح مسلم ١/١٥٦.

تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره. وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم ولما يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال.

وفصل الخطاب في هذا الباب بذكر أصليين:

أحدهما: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقا، فإن الله منذ بعث محمدا ﷺ وأنزل لعيه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاث أصناف: مؤمن به وكافر به ظهر الكفر، ومنافق مستخف بالكفر... وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة. ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا، وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطأه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصليين.

والأصل الثاني: أن المقالة تكون كفرا: كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول^(١).

٤ / مسائل في التكفير:

المسألة الأولى: من شك في براءة عائشة رضي الله عنها قال رضي الله عنه: «براءة عائشة»

(١) مجموع الفتاوى ٣/٢٥١ - ٢٥٤ باختصار.

من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين»^(١).

المسألة الثانية: من جحد معلوما من الدين بالضرورة: من جحد ما يعلم ضرورة من دين الإسلام حكمه أو استحل محرما يعلم تحريمه ضرورة وليس له عذر فقد كفر، أما إن كان جاهلا بالحكم كأن يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببيادية بعيدة عن أهل العلم وطلابه فهذا يعلم قبل الحكم عليه فإن أصر حكم عليه بالكفر، هذا مقررره علماء أهل السنة وذكره النووي.

قال رحمته الله: اعلم أن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصوم ونحوها حكم بكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببيادية بعيدة ونحوه مما يخفى عليه ذلك فيعرف ذلك فإن استمر على جحده حكم بكفره، وكذا من استحل الزنا والخمر أو القتل ونحوها من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة، والله أعلم^(٢). وقد تقدم ما نقلته من كلام شيخ الإسلام.

(١) شرح صحيح مسلم ١١٦/١٧.

(٢) شرح صحيح البخاري ١١٦، وانظر المصدر نفسه ١٨٣.

الباب الخامس

منهجه في الصحابة والإمامة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الصحابة

المبحث الثاني: الإمامة

المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الأول الصحابة

إن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بمعرفة ما يجب للصحابة الكرام من أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، فهم يقرون بما آتاهم الله من الفضل ويثبتونه ويعرفون لهم سابقتهم ومحاسنهم، ويترضون عنهم، ويستغفرون لهم، فهم وسط بين الغلاة والجفاة يحبونهم جميعا، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، فلا يرفعونه إلى ما لا يستحقون، ولا يقصون بهم عما يليق بهم، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم، وقلوبهم عامرة بحبهم.

أما ما شجر بين الصحابة من خلاف فعقيدتهم فيه أنهم مجتهدون، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطئهم مغفور، وليسوا معصومين^(١).

لذا فإنني في هذا المبحث لا أجد على كلامه النفيس مزيدا، فقد قسمته إلا مطالب وعنوتها واستخرجت ما يدل عليها من مؤلفاته مع بعض التعليقات التي لا بد منها، والله أعلم.

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرم رضي الله عنهم، د. ناصر الشيخ ١٤/١.

المطلب الأول: تعريف الصحابي:

قال رحمه الله: «الصحابي كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة، هذا هو الصحيح في حده، وهو قول أحمد بن حنبل في صحيحه والمحدثين كافة، وذهب كثير من أهل الفقه والأصول إلى أنه من طالبت صحبته له ﷺ»^(١).

قال السيوطي رحمه الله: «من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ مسلماً ومات على إسلامه.

أما من ارتد بعده ثم أسلم ومات مسلماً؛ فقال العراقي: في دخوله فيهم نظر، فقد نص الشافعي وأبو حنيفة على أن الردة محبطة للعمل.

قال - أي العراقي -: والظاهر أنها محبطة للصحبة السابقة... أما من رجع إلى الإسلام في حياته... فلا مانع من دخوله في الصحبة، وجزم شيخ الإسلام^(٢) في هذا والذي قبله ببقاء اسم الصحابة له...»^(٣).

(١) شرح صحيح النووي لصحيح البخاري ١٥، وانظر: شرح صحيح مسلم ١/٣٥ - ٣٦، ١٦/٨٥، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٤، وأضاف فيه: (وإن لم يجالسه ويخالطه)، المجموع ١/٧٦،

التقريب مع التدريب ١/١٨٦ - ١٨٧.

(٢) شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله.

(٣) تدريب الراوي ٢/١٨٦.

المطلب الثاني: فضلهم والتفضيل بينهم:

أكثر الإمام النووي رحمه الله من الكلام عن فضائل الصحابة وذلك في شرحه لكتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم^(١)، فكلامه في هذه النقطة مفصل ومجمل، المفصل ما احتواه شرحه لكتاب فضائل الصحابة وشرح الأحاديث التي ورد فيها فضل خاص لأحد الصحابة، وما سطره رحمه الله في ذلك الموضوع من أقوى الدلائل على صحة اعتقاده وسلامة صدره نحو الصحابة كلهم.

أما كلامه المجمل فقوله: «إن الصحابة هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، على الإطلاق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأنهم عدول قدوة وإن رغمت أنوف المبتدعة.

وإليك ما ذكره في فضل الصحابة رضي الله عنهم قال رحمته الله: الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وكلهم عدول قدوة»^(٢).

وفي شرحه لقوله رضي الله عنهم: ((وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله، قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد...))^(٣). قال رحمته الله: «قال القاضي عياض: ذهب أبو عمرو بن عبد البر في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في فضل من يأتي آخر الزمان إلى أنه قد يكون

(١) انظر ١٤٨/١٥ إلى ص ٧١ من الجزء ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١٦/١٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء ١٣٧/٣ - ١٣٨ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا... الحديث))، ورواه النسائي، كتاب الطهارة، باب حلية الوضوء ٩٢/١ - ٩٥، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب في كدر الحوض ١٤٣٩/٢ - ١٤٤٠، والإمام أحمد ٣٠٠/٢ كلهم من حديث أبي هريرة نحوه.

فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة وأما قوله عليه السلام: ((خيركم قرني))^(١) على الخصوص معناه: خير الناس قرني أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة وهم المرادون بالحديث، وأما من خلط في زمنه عليه السلام وإن رآه وصحبه أو لم يكن له سابقة ولا أثر في الدين، فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القرن الأول من فضلهم على ما دلت عليه الآثار.

قال القاضي: ... وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا وأن من صحب النبي عليه السلام ورآه مرة من عمره وحصلت له مزية الصحبة أفضل من كل من يأتي بعده، فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، قالوا: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

واحتجوا بقوله عليه السلام: ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))^(٢) (٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي عليه السلام ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ٤/٧ عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً...))، ورواه الترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء في القرن الثالث ٣٢٩/٣ عن عمران بن حصين نحوه، وأبو داود، كتاب السنة، باب فضل أصحاب رسول الله عليه السلام ٢١٤/٤ عن عمران مثله، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يتشهد ٧٩١/٢ عن عبد الله بن مسعود نحوه، والإمام أحمد في مواضع منها ٢٢٨/٢ عن أبي هريرة نحوه.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي عليه السلام: لو كنت متخذاً خليلاً ٢١/٧، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي عليه السلام: ((لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ٩٢/١٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: ((لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك من أحدهم ولا نصيفه))، ورواه الترمذي في أبواب المناقب، باب من سب أصحاب النبي عليه السلام عن أبي سعيد الخدري، وابن ماجه في المقدمة ٥٧/١، عن أبي هريرة مثله، والإمام أحمد ١١/٢ نفس رواية البخاري.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣٨/٣ - ١٣٩.

فالنووي رحمته الله ذكر كلام أبي عمرو بن عبد البر أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة. وكلام أكثر أهل العلم في فضل الصحابة على غيرهم مطلقا لشرف الصحبة ولم يرجح لكن قوله: ((هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم...)). يدل على ترجيحه للقول بأفضلية الصحابة مطلقا، والله أعلم. فهم رحمهم الله يفضلون من جاء بعدهم بأفضلية الصحبة المقتضية لعدالتهم على الإطلاق دون النظر في كلام العلماء فيهم، بل مجرد الصحبة مقتضية للعدالة عند أهل السنة وعلماء الحديث والجرح والتعديل. فقد يأتي بعدهم من قد يعمل أكثر مما عملوا، ولكن لا أحد يفوقهم في أفضلية الصحبة التي لا يعلم فضلها وأجرها إلا الله تعالى. وفي التفضيل بينهم قال رحمته الله: «قال الإمام أبو عبد الله المازري^(١): اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض فقالت طائفة: لا نفاضل بل نمسك عن ذلك. وقال الجمهور بالتفضيل ثم اختلفوا فقال أهل السنة أفضلهم أبو بكر الصديق. وقال الخطابية^(٢): أفضلهم عمر بن الخطاب، وقالت الراوندية^(٣): أفضلهم العباس، وقالت الشيعة: علي، واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر، قال جمهورهم: ثم عثمان ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان.

(١) انظر: المعلم للمازري ١٢٧.

(٢) تقدم التعريف بهم ص ٥٥.

(٣) الراوندية: هم أتباع أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، وسيأتي التعريف به عند الكلام في النصية على أبي بكر الصديق رحمته الله.

قال أبو منصور البغدادي^(١): أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة، وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان، وفي قول عطاء ومحمد بن كعب: أهل بدر.

قال القاضي عياض: وذهبت طائفة منهم ابن عبدالبر إلى أن من توفي من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده^(٢). وهذا الإطلاق غير مرضي ولا مقبول.

واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا؟ وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة، وممن قال بالقطع أبو الحسن الأشعري قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة.

وممن قال بأنه اجتهادي ظني أبو بكر الباقلاني^(٣)، وذكر الباقلاني اختلاف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر أم في الظاهر والباطن جميعاً، وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيتهما أفضل، وفي عائشة وفاطمة - رضي الله عنهم أجمعين -^(٤).

والذي أراه أن مسألة الظاهر والباطن هنا لا ينبغي أن تذكر بل المفاضلة إنما هي في الجملة والعموم الشامل للظاهر والباطن، فأبو بكر هو الأفضل عموماً، والتتصيص على الظاهر والباطن لا داعي له بل هو تمحل.

(١) انظر قول البغدادي في كتابه أصول الدين ٣٠٤ بدون ذكر أهل العقبتين ومن بعدهم.

(٢) انظر: الإكمال، مخطوط ٦/ق ٦٦.

(٣) انظر: المعلم ١٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥/١٤٨، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات ١٥/١ - ١٦.

أما مسألة الاجتهادي والقطعي فهذا مردّه إلى الأدلة، ودلالاتها من الكتاب والسنة، وهنا يفرق بين أمرين:

أحدهما: وجود المفاضلة بين الصحابة فهذا مقطوع به لتواتر أدلته.

الثاني: المفاضلة الخاصة (التفصيلية) فهذه مسألة اجتهادية، وإن كان الراجح فيها أو في كثير منها بيّن لقوة أدلته، والله أعلم.

المطلب الثالث: الترضي عنهم وحسن الظن بهم:

إن من عاش سنوات يقلب مؤلفات الإمام النووي في أي فن من فنون العلم ليتجلى له ما يكرهه هذا الإمام لصحابة رسول الله ﷺ فهو يذكرهم بالحسن والجميل ويترضى عنهم أجمعين كلما ورد اسم صحابي قال: رضي الله عنه، وقد صرح باستحباب الترضي عنهم في قوله ﷺ: «يستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين ممن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار فيقال: رضي الله عنهم، أو رحمه الله، ونحو ذلك... ثم قال: ... فإن كان المذكور صحابيا ابن صحابي قال: ابن عمر رضي الله عنهما... لتشمله وأباه جميعا»^(١).

وعن إحسان الظن بهم قال ﷺ: «لسنا نقطع بالعصمة إلا للنبي ﷺ ولمن شهد له بها لكذا مأمورون بحسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ ونفي كل رذيلة عنهم»^(٢).

(١) الأذكار ١٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٢/١٢.

المطلب الرابع: حكم سبهم:

اختلف أهل العلم في الحكم والعقوبة التي يستحقها من سب أصحاب رسول الله ﷺ أو جرحهم، هل يكفر بذلك وتكون عقوبته القتل، أو أنه يفسق بذلك ويعاقب بالتعزير.

١ / ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم أو انتقصهم وطعن في عدالتهم، وصرح بيبغضهم، وأن من كانت هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله، إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية.

٢ / وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن سب الصحابة لا يكفر بسبهم بل يفسق ويضلل ولا يعاقب بالقتل، بل يكتفى بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب، وممن ذهب إلى هذا القول الإمام مالك والإمام أحمد وكثير من العلماء ممن جاء بعدهما^(١).

أما الإمام النووي رحمته الله فيميل إلى القول الثاني أن سب الصحابة محرم وليس كفراً وأن سب الصحابة يعزر ولا يقتل فقد عقد باباً في كتاب فضائل الصحابة في شرحه لصحيح مسلم باب تحريم سب الصحابة^(٢)، قال فيه: «اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيرهم لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون»^(٣).

قال القاضي: «وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا مذهب

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ٢/٨٥٦ - ٨٦٤ - ٨٦٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦/٩٣.

الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية يقتل»^(١).

والذي يترجح - والله تعالى - أعلم - إن من أبغض جميع الصحابة أو سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم، أو كفرهم فإنه يكفر لأن في ذلك إبطال للشرعية، فهم النقلة عن رسول الله ﷺ إلى الأمة، فالقدح فيهم قدح في الدين الذي حملوه.

(١) شرح صحيح مسلم ٩٣/١٦، وانظر ١٥٨/١٨.

المطلب الخامس: ما شجر بين الصحابة:

إن موقف أهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة من حروب، وما جرى بينهم من دماء هو الكف والإمساك عما شجر بينهم، وحبهم جميعاً والترضي عنهم وحفظ فضائلهم، ونشر مناقبهم، واعتقاد أن ما جرى بينهم من حروب إنما كان عن اجتهاد، فكلهم مثابون مأجورون بين أجر وأجرين للمصيب منهم أجر الاجتهاد والإصابة وللمخطئ أجر الاجتهاد، وأن القاتل والمقتول منهم في الجنة وأن الحق فيما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان مع علي.

وكتب أهل السنة زاخرة ببيان عقيدتهم في حق الصحابة وما جرى بينهم

رضي الله عنهم:

١/ فقد سأل رجل الإمام أحمد رحمته الله عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١)(٢) ﴿١٤١﴾

٢/ وسئل عمر بن عبدالعزيز رحمته الله عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أظهر منها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها ^(٣).

٣/ وقال ابن بطة رحمته الله أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة: «نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤١.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٢٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٩٤/٥، دار بيروت ودار صادر بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٧٥م.

بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتلون، وإنما فضلوا عن سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم»^(١).

٤ / وقال شيخ الإسلام رحمه الله أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة فيما شجر بين الصحابة: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه الصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»^(٢).

ومما يسطر ضمن اعتقاد أهل السنة في ذكر ما ذكره الإمام النووي رحمه الله في شرحه لقوله ﷺ: ((إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار...))^(٣).

قال رحمه الله: «اعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفة باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ

(١) الشرح والإبانة على أصول الديانة لعبيد الله بن بطة، تحقيق: رضا بن نعيان معطي ٢٦٨.

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها لهراس، خرج أحاديثها علوي السقاف ٢٤٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما ٣١/١٣، عن الأحنف بن قيس

عن أبي بكر، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة ١٠/١٨ - ١١، عن أبي بكر

رضي الله عنه، وأبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن القتال في الفتنة ١٠٣/٤ عن أبي

بكرة بمثله، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل ١٢٤/٣، عن أبي موسى

بنحوه، والإمام أحمد ٤٠١/٤ عن أبي موسى نحوه، و٤٧/٥، عن أبي بكر نحوه.

لأنه لاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان على ﷺ هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة»^(١).

وفي موضع آخر ذكر سبب اختلاف اجتهاد الصحابة في تلك الحروب ثم قسمهم إلى ثلاثة أقسام: قسما اشتراكا في الحروب، قسم قاتل مع الإمام لاعتقاده أن الحق معه، وقسم قاتل مع الطرف الآخر لاعتقاده أن الحق معه.

والقسم الثالث لم يترجح عندهم أحد الطرفين واشتبهت عليهم القضية فاعتزلوا الفريقين وقرر أن كل هذه الأقسام معذور مأجور فقال ﷺ: «واعلم أ، سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهاها اختلف اجتهادهم، وصاروا أقسام ثلاثة:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وان مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وان الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم معذرون ﷺ ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكما عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين»^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١١/١٨، وانظر ٤٠/١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥/١٤٩.

المبحث الثاني

الإمامة

المطلب الأول: حكم نصب الإمام:

يرى الإمام النووي رحمته الله أن نصب إمام المسلمين فرض كفاية، فإن لم يكن من يصلح إلا واحدا تعين عليه ولزمه طلبها، قال رحمته الله نقلا عن الماوردي: لا بد للأمة من إمام يقيم الدين وينصر السنة ويتصرف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها.

ثم قال: قلت: تولى الإمام فرض كفاية، فإن لم يكن من يصلح إلا واحدا، تعين عليه ولزمه طلبها إن لم يبتدؤه، والله أعلم^(١).
وحكى الإجماع على الوجوب في موضع آخر فقال: «أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة»^(٢).

ولا تعارض قوله بالوجوب وكونه فرض كفاية لأن المقصود أن نصب الإمام واجب وهذا بالإجماع، لكن هو فرض كفاية إذا قام به - أو عين له - من يكفي سقط الإثم عن الباقين.
فحكاية النووي رحمته الله الإجماع على وجوب نصب الإمام هو ما اتفق عليه السواد الأعظم من المسلمين.

قال الماوردي: «... وعقدتها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»^(٣).

وقال أبو يعلى الفراء: «نصبة الإمام واجبة... وهي فرض على الكفاية»^(٤).

(١) روضة الطالبين ٢٦٣/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٠٥/١٢.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ٢٩.

(٤) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ١٩، وانظر: كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ١٥٨/٦.

المطلب الثاني: شروط الإمام:

قال رحمته الله: شروط الإمامة وهي كونه: مكلفا مسلما عدلا حرا وذكرنا عالما مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية، سميعا بصيرا، ناطقا قرشيا^(١).

وفي اشتراط سلام سائر الأعضاء كاليد والرجل والأذن خلاف، جزم المتولي بأنه لا يشترط، وجزم الماوردي باشتراط سلامته من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض وهذا أصح^(٢).

هذه الشروط التي ذكرها النووي رحمته الله، أما اشتراط الإسلام فقد حكى الإجماع عليه كثير من أهل العلم منهم ابن المنذر حيث قال: «أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال»^(٣).

وأما اشتراط التكليف الذي هو (البلوغ) والذكورة فقد حكى الإجماع عليها ابن حزم حيث قال: «وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة امرأة ولا إمامة صبي لم يبلغ إلا الرافضة فإنها تجيز إمام الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن أمه...»^(٤).

واشتراط الحرية أيضا من الشروط المجمع عليها قال المهلب: «وأجمعت الأمة على أنها - أي الإمامة - لا تكون في العبيد»^(٥).

ومن الشروط المجمع عليها أيضا والتي أشار إليها النووي رحمته الله العلم، واشترط الجمهور بلوغ مرتبة الاجتهاد، وقد أشار القرآن في قصة طالوت إلى

(١) سيأتي الكلام عن هذا الشرط في مطلب مستقل إن شاء الله تعالى.

(٢) روضة الطالبين ٢٦٢/٧ - ٢٦٣.

(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٤١٤/٢.

(٤) الفصل ٤/١١٠.

(٥) الفتح ١٢٢/١٣.

هذا الشرط أعني العلم فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ (١).

قال الجويني: «فالشرط أن يكون الإمام مجتهدا بالغا مبلغ المجتهدين مستجمعا صفات المفتين، ولم يؤثر في اشتراط ذلك خلاف» (٢).

وقال الإمام الشاطبي رحمته الله: «إن العلماء نقلوا الاتفاق على أن الإمامة الكبرى لا تتعقد إلا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع... إلى أن قال ولكن إذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس، وافتقروا إلى إمام يقدمونه لجريان الأحكام وتسكين ثورة الثائرين، والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم، فلا بد من إقامة الأمثل ممن ليس بمجتهد، لأننا بين أمرين، إما أن يترك الناس فوضى، وهو عين الفساد والهرج. وإما أن يقدموه فيزول الفساد بته، ولا يبقى إلا قوت الاجتهاد، والتقليد كاف بحسبه» (٣).

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا بد أن يكون الإمام على درجة كافية من العلم الشرعي ومن العلوم الأخرى؛ لأن طبيعة وظيفته تستلزم ذلك ولكن ليس من الضروري أن يبلغ درجة الاجتهاد المطلق لتعذرها في كثير من الناس اليوم بسبب ضعف الهمم عن طلب العلم.

وهذه المسألة من المسائل الاجتهادية لأنه لم يرد فيها نص صريح، وإنما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٢) غياث الأمم ٨٤.

(٣) الاعتصام ٤٢٦/٢.

مرجع ذلك إلى الضرورة والحاجة والمصلحة، فإذا وجد مجتهد تتوفر فيه بقية الشروط الضرورية والمنصوص عليها فهو المطلوب، وإن تعذر وجوده فلا تترك مصالح المسلمين تتعطل، ويدب فيهم الفساد بسبب عدم وجود المجتهد الذي تتوفر فيه شروط الإمام^(١).

ومن الشروط التي يجب توفرها في الإمام حال اختيار العدالة، فلا تجوز تولية الفاسق ابتداءً، كما ذكر النووي رحمته الله.

وفي اشتراط الشجاعة قال أبو يعلى: الثالث^(٢): «أن يكون قيماً بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود لا تلحقه رافة في ذلك والذب عن الأمة»^(٣). وقال الماوردي: السادس: «الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو»^(٤).

أما اشتراط سلامة الحواس، ذكره الماوردي من جملة الشروط التي يجب أن يتصف بها أهل الإمامة فقال: «الثالث: سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها»^(٥).

وقد خالف في اشتراط هذا الشرط ابن حزم فقال: «لا يضر الإمام أن يكون في خلقه عيب، كالأعمى والأصم والأجدع والأجذم والأحدب والذي لا يدان له ولا رجлан، ومن بلغ الهرم ما دام يعقل ولو أنه ابن مائة عام... فكل هؤلاء إمامتهم جائزة إذا لم يمنع منها نص القرآن ولا سنة ولا إجماع ولا نظر

(١) الإمامة العظمى عن أهل السنة والجماعة، لعبدالله الدميجي ٢٥١.

(٢) أي من الشروط التي يجب توفرها في الإمام.

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٠.

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي ٣٢.

(٥) انظر: المصدر السابق ٣١.

ولا دليل أصلاً»^(١).

والراجع والله أعلم اشتراطه لأن الأعمى مثلاً لا يستطيع أن يدبر أمر

نفسه.

المطلب الثالث: الطرق الشرعية لانعقاد الخلافة:

عند النظر إلى نصوص الكتاب والسنة فإننا لا نجد هناك نصا صريحا في تعيين الطريقة التي تثبت بها الإمامة للإمام، لكن أفضل الطرق، الطرق التي انعقدت بها الإمامة للخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم وهما طريقتان فقط.

الطريقة الأولى: الاختيار، وهي الطريقة التي تمت بها تولية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يقوم بهذا الاختيار أهل الحل والعقد.

الطريقة الثانية: العهد (الاستخلاف)، وهي أن يعهد الخليفة السابق إلى من يختاره من المسلمين، ويراه لائقا بهذا المنصب من بعده، فإذا أحس الخليفة بقرب أجله وأراد أن يستخلف على القوم أحدهم فإنه يقوم بمشاورة أهل الحل والعقد فيمن يختار، فإذا وقع رأيه على شخص معين يصلح لهذا المقام ووافقه أهل الحل والعقد فإنه يعهد إليه من بعده، وذلك كما استخلف أبو بكر عمر بن الخطاب، وعهد عمر بالأمر إلى الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض لاستخلاف من يرونهم منهم^(١).

وقد حكى النووي الإجماع على جواز هاتين الطريقتين فقال رحمته الله: «إن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر، وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة.

وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة، وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا

(١) انظر: الإمام العظمى عند أهل السنة والجماعة، لعبدالله الدميجي ١٢٥ - ١٥٨ - ١٨٤ -

بالعقل»^(١).

وهناك طريقة ثالثة، ذكرها الإمام النووي رحمه الله في كتابه روضة الطالبين - كتاب الإمامة - قال رحمه الله، وأما الطريق الثالث: «فهو القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة وقهر الناس بشوكته وجنوده انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعا للشرائط بأن كان فاسقا، أو جاهلا، فوجهان: أصحهما انعقادها لما ذكرناه وإن كان عاصيا بفعله»^(٢).

وهذا الذي ذكره النووي هو الذي استقر عليه كلام أئمة السلف بصحة هذه الطريقة وانعقاد الإمامة بها.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٠٥/١٢، وانظر: غياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين ٢٢ - ٢٣ - ٢٤.

(٢) روضة الطالبين للنووي، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض ٢٦٦/٧.

المطلب الرابع: الكلام في النص على أبي بكر:

ذهب بعض أهل السنة إلى القول بالنصية على خلافة أبي بكر، وأن النبي ﷺ قد عهد إليه وهم على قولين: من قال بالنص الخفي، ومن قال بالنص الجلي^(١).

المذهب الأول: من قال بالنص الخفي والإشارة على أبي بكر، وينسب هذا القول إلى الحسن البصري رحمته الله وجماعة من أهل الحديث^(٢).

ومن أدلتهم ما رواه البخاري بسنده عن أبي موسى قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال: ((مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فعادت فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس فإنك صواحب يوسف، فأتاه الرسول صلى الله عليه وسلم بالناس في حياة النبي ﷺ))^(٣).

قالوا: تقديم النبي ﷺ له في الصلاة أراد به الخلافة.

المذهب الثاني: من قال بالنص الجلي على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا قول جماعة من أهل الحديث، وإليه ذهب ابن حزم الظاهري^(٤).

ومن أدلتهم ما رواه الشيخان عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبي

(١) الإمامة العظمى ١٢٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٩٨، ٦٩٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ٢/١٦٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ٤/١٤٠، عن عائشة، والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/٦١٣، عن عائشة بنحوه، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الرسول ﷺ في مرضه ١/٣٨٩ عن عائشة بنحوه، والإمام أحمد ٥/٣٦١ عن بريدة بنحوه.

(٤) انظر: الفصل ٤/١٧٦.

فأمرها أن ترجع إليه، قالت: رأيت إن جئت فلم أجدك؟ لكنها تريد الموت، قال: ((إن لم تجديني فأت أبا بكر))^(١)، قال ابن حزم: وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر^(٢).

والإمام النووي رحمته الله يرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص على خليفة لا بنص خفي ولا جلي، وحكى أهل إجماع أهل السنة على ذلك، وذكر كلاما للقاضي فيه أنه لم يخالف في ذلك إلا بكر ابن أخت عبدالواحد وأنه يرى النصية على أبي بكر وهذا كما تقدم، ذهب إليه بعض أهل السنة. قال رحمته الله: «النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص على خليفة، وهو إجماع أهل السنة وغيرهم».

قال القاضي: وخالف في ذكر بكر ابن أخت عبدالواحد^(٣)، فزعم أنه نص على أبي بكر، وقال ابن راوندي^(٤) نص على العباس، وقالت الشيعة

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو كنت متخذا خليلا)) ١٧/٧ عن جبير بن مطعم، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٥٤/١٥، والترمذي في أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق ٧٧/٥ عن جبير بن مطعم.
(٢) الفصل ١٧٧/٤.

(٣) لم أقف على ترجمة بعد البحث الشديد، غاية ما وقفت عليه ما قاله الأشعري في المقالات والبغدادى في الفرق بين الفرق: أنه بكر ابن أخت عبدالواحد بن زيد أتباعه يسمون البكرية كان يقول إن الكيأثر من أهل القبلة نفاق، وأن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابد للشيطان مكذب له سبحانه جاحدا له منافق في الدرك الأسفل من النار، ومع ذلك فهو مؤمن مسلم وغير ذلك من الضلالات. انظر: المقالات ٢٨٦، والفرق بين الفرق ٢١٢.

(٤) هو: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، ت ٢٩٨، وقيل: ٢٥٤ كان من أئمة المعتزلة ثم فارقهم وهاجم مذهبهم وصار ملحدا زنديقا، كان يقول بإمامة العباس بن عبدالمطلب. انظر: مقدمة كاب الانتصار والرد على ابن الراوندي للخياط، تقديم د. نيبيرج ١٦ وما بعدها، وانظر: منهاج السنة ٥٠٠/١، والفصل ١٥٤/٤.

والرافضة على علي وهذه دعاوى باطلة وجسارة على الافتراء ووقاحة في مكابرة الحس، وذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر، وعلى تنفيذ عهد عمر بالشورى، ولم يخالف في شيء من هذا أحد ولم يدع علي ولا العباس ولا أبو بكر وصية في وقت من الأوقات...»^(١).

فمن زعم أنه كان لأحد منهم وصية فقد نسب الأمة إلى اجتماعها على الخطأ واستمرارها عليه، وكيف يحل لأحد من أهل القبلة أن ينسب الصحابة إلى المواطأة على الباطل في كل هذه الأحوال، ولو كان شيء لنقل فإنه من الأمور المهمة^(٢).

والتحقيق في هذه المسألة (مسألة نص على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها، وأنها أحق وأن الله أمر بها وقدرها^(٣).

(١) انظر في ذكر هذه الأقوال: غياث الأمم لإمام الحرمين ٢٨ - ٢٩ - ٣٠، وإكمال المعلم ٦/ق ٧

أ + ب.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٠٥/١٢ - ٢٠٦، وانظر ٩٠/١١ - ٩١.

(٣) انظر: منهاج السنة لشيخ الإسلام ٥١٦/١ - ٥٢٤.

المطلب الخامس: دعوى الرافضة النص على علي عليه السلام بالخلافة:

دعوى الرافضة النص من النبي صلى الله عليه وآله بالخلافة لعلي عليه السلام والوصية له بذلك، ليس هناك دليل يدل عليها من كتاب ولا سنة لأنها لم تقع، لكن الرافضة لكي يستدلوا على ما ذهبوا إليه جعلوا يتأولون الأحاديث الواردة في مناقبه عليه السلام ليستدلوا به على بدعتهم من هذه الأحاديث، قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١).

قال النووي رحمته الله في شرحه: «قال القاضي: هذا الحديث مما تعلق به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلي، وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد قولهم أو يناظر.

وقال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام»^(٢).

وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضل عندهم.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن عليه السلام ٧١/٧، عن سعد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟))، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ١٧٣/١٥ - ١٧٤ عن سعد بن أبي وقاص، والترمذي في أبواب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ٣٠٤/٥ عن سعد بن أبي وقاصي بمثله، وابن ماجه في المقدمة، فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ٤٣/١ عن سعد بن أبي وقاص بمثل رواية البخاري، والإمام أحمد في المسند ٣٢/٣ عن أبي سعيد الخدري بمثله.

(٢) انظر: منهاج السنة ١/٥٠٠ - ٥٠١، الملل والنحل ١٤٦، ١٦٢.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك. ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص.

قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة، والله أعلم^(١).

وقد نقض ابن حزم احتجاجهم بهذا الحديث على أن الخلافة كانت حقا لعلي وأن النبي ﷺ وصى بها بقوله: «وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمام بعده ﷺ»، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليه السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة.

وإذا لم يكن على نبينا كما كان هارون نبيا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل فصح أن كونه ﷺ من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط.

وأیضا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذا استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون: استقله فخلفه فلحق علي برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه فقال له رسول الله ﷺ حينئذ: ((أنت بمنزلة هارون من موسى))^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١٥، وانظر ١٣/٤١١.

(٢) الفصل ٤/١٥٩ - ١٦٠.

فهو حديث جاء على سبب خاص، وهو استخلافه في المدينة، ومن ثم فلا يدل على العموم وإلا لشمكت الرسالة أيضا، ثم إن الصحابة - وفيهم علي عليه السلام - لم يفهم ما ذهب إليه الرافضة، بل أجمعوا على خلافة الصديق.

المطلب السادس: اشتراط القرشية في الإمام:

هذا الشرط من الشروط التي يجب توفرها في الإمام، قد وردت النصوص عليه صريحة والعقد إجماع الصحابة والتابعين عليه، وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين، ولم يخالفه فيه في ذلك إلا النزر اليسير من أهل البدع كالخوارج وبعض المعتزلة وغيرهم^(١).

وقد قرر الإمام النووي رحمته الله ذلك وحكى الإجماع عليه، ففي شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم))^(٢).

قال رحمته الله: «... الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة.

قال القاضي: اشترط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد. قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار.

(١) الإمامة العظمى ٢٦٥ بتصرف.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" عن أبي هريرة ٥٢٦/٦ مثل رواية مسلم، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ١٩٩/١٢ عن أبي هريرة، والإمام أحمد في مسنده في مواضع منها ٢٤٢/٢، عن أبي هريرة مثله، ٣١٩/٢، ٢٨٢/٢ عن جابر نحوه.

قال: ولا اعتداد بقول النظام^(١) ومن وافقه من الخوارج^(٢) وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قریش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو^(٣) في قوله: إن غير القرشي من النبيك وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين^(٤).

وهذا الترجيح لا يتعارض مع ما سبق من صحة إمامة المتغلب لأنه سبق بيان أن المقصود المتغلب الذي جمع شرائط الإمامة، أو أن المقصود بهذا الشرط (القرشية) ابتداء الولاية وعليه فيخرج من المتغلب، والله أعلم.

(١) هو: إبراهيم بن سيار بن هانيء النظام، طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، سمي النظام لأنه كان ينظم الخرز بسوق البصرة، كان يميل إلى الرفض ويقع في كبار الصحابة، ت ٢٣١هـ. انظر الفرق بين الفرق ١٣١، الملل والنحل ٥٣ - ٥٧.

(٢) الخوارج: أول من قال بعدم اشتراط القرشية فجوزوا أن تكون الإمامة في غير قریش، وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من الدل واجتتاب الجور كان إمام. انظر الملل والنحل ١١٦.

(٣) زعم ضرار بن عمرو من شيوخ المعتزلة: أن الإمامة تصلح في غير قریش حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي إذ هو أقل عددا وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة. الملل والنحل للشهرستاني ٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٠٠/١٢، وانظر ١٤٩/٥، والإكمال للقاضي ٥/ق ٩٨ ب.

المطلب السابع: وجوب طاعة ولي الأمر:

من أهم الحقوق الواجبة لأولي الأمر حق الطاعة، دلّ على وجوبها الكتاب والسنة، وهذه الطاعة ليست مطلقة فإذا أمر الإمام بمعصية فلا سمع ولا طاعة، بل على الأمة نصحه، والسعي بكل وسيلة مشروعة إلى إرجاعه إلى الحق بشرط أن لا يكون هناك مفسدة أعظم من مصلحة تقويمه وإلا فعلى الرعية الصبر، وأولوا الأمر كما قال شيخ الإسلام: صنفان: العلماء والأمرء^(١).

والإمام النووي رحمته الله تكلم عن وجوب طاعة الأمرء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ونقل الإجماع على ذلك. ثم ذكر المراد بأولي الأمر فقال رحمته الله في باب وجوب طاعة الأمرء في غير معصية وتحريمها في المعصية^(٢): «أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون». ثم قال: قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاية والأمرء هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم. وقيل: هم العلماء، وقيل: الأمرء والعلماء، وأما من قال: الصحابة خاصة فقط فق أخطأ^(٣).

وفي شرحه لقوله رحمته الله: ((عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك))^(٤).

(١) انظر: الحسبة ١١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/١٢.

(٣) المصدر السابق ٢٢٢/١٢ - ٢٢٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي رحمته الله: سترون بعدي أمور تنكرونها ٥/١٣، عن عبادة بن الصامت نحوه، ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمرء في غير معصية ٢٢٤/١٢ عن أبي هريرة، والنسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على الأثرة ١٤٠/٧ عن أبي هريرة بنحوه، والإمام أحمد في مسنده ٢٨١/٢ عن أبي هريرة نحوه، ٤٤١/٣ عن عبادة بنحوه.

قال رحمه الله: «قال العلماء: معناه طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية»^(١).

وفي شرحه لقوله رحمه الله: ((إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف))^(٢).

قال رحمه الله: «والمراد أخس العبيد أي أسمع وأطيع للأمير وإن كان دنيء النسب حتى لو كان عبداً أسود مقطوع الأطراف فطاعته واجبة، وتتصور إمارة العبد إذا ولاه الأئمة أو إذا تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه، ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار بل شرطها الحرية»^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٤/١٢ - ٢٢٥، وانظر: روضة الطالبين ٢٦٧/٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٢٢٥/١٢ عن أبي ذر، والترمذي في أبواب الجهاد، باب ما جاء في طاعة الإمام عن أم الحصين الأحمدية، بنحوه ١٢٥/٣، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب طاعة الإمام عن أبي ذر بنحوه ٩٥٥/٢، والإمام أحمد ٧٠/٤ عن أم الحصين نحوه.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٥/١٢ - ٢٢٦، وانظر ١٤٩/٥، و٤٦/٩ - ٤٧.

المطلب الثامن: الخروج على الأئمة وعزل الإمام:

الخروج على الأئمة يراد به المقاتلة والمنابذة بالسيف، وهو المراد في أكثر عبارات السلف حينما ينصون على تحريم الخروج والنهي عنه عند ذكر عقائدهم^(١).

والإمام النووي رحمته الله على منهج أهل السنة فقد حكى الإجماع على تحريم الخروج على الأئمة وقتالهم حتى لو كانوا فسقة، كما حكى الإجماع على أن السلطان لا يعزل بالفسق، وأن الإمامة لا تتعقد لكافر أو فاسق، وهل يعزل إذا طرأ عليه الكفر أو الفسق أو البدعة؟

حكى إجماع العلماء على أن الإمامة لا تتعقد لكافر، ولو طرأ عليه الكفر انعزل كترك الصلوات والدعوة إليها، وعند الجمهور يعزل إذا طرأت عليه البدعة.

ثم حكى الخلاف في خلع الإمام إذا طرأ عليه الفسق فقال رحمته الله في شرحه لقوله عليه السلام: ((إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان))^(٢).

المراد بالكفر هنا المعاصي ومعنى ((عندكم من الله فيه برهان)) أي تعلمونه من دين الله تعالى ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم،

(١) انظر: الإمامة العظمى ٤٩١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٢٢٨/١٢، من حديث عبادة بن الصامت قال: ((دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا، وأن لا تنازع الأمر أهله، قال: إلا أن تركوا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان))، والبخاري، كتاب الفتن، بسم الله الرحمن الرحيم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سترون بعدي أمور تتكرونها ٥/١٣، عن عبادة بن الصامت بنحوه، والإمام أحمد ٣١٤/٥ عن عبادة بن الصامت بنحوه.

ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم. وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين»^(١).

قال: «وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل^(٢)، وحكي عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع»^(٣).

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه.

قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تتعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل.

قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها، قال/ وكذلك عند جمهورهم البدعة.

قال: وقال بعد البصريين تتعقد له، وتستدام له لأنه متأول قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢، وانظر: ٢٤٣/١٢ - ٢٤٤.

(٢) قال لماوردي رحمته الله: "... ارتكابه للمحظورات وإقدامه على المنكرات تحكيماً للشهوة وانقياداً للهوى فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج منها، فلو عاد إلى العدالة لم يعد إلى الإمامة إلا بعقد جديد". الأحكام السلطانية للماوردي ٥٣ - ٥٤، وهذا قول لبعض العلماء، لكن الذي رجحه النووي وجمهور أهل العلم خلافه وأنه لا ينعزل بفسقه أو بدعته.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢.

طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويفر بدينه.

قال: ولا تتعقد لفسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق.

قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن ترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك.

وقال الإمام النووي ممن يرى أن الإمام لا ينعزل بالفسق قال رحمته الله: «إن الإمام لا ينعزل بالفسق على الصحيح»، وهو اختيار إمام الحرمين فقد قال بعد أن حكى الخلاف: «المصير إلى أن الفسق يتضمن الانعزال والانخلاع بعد عن التحصيل، فإن التعرض لما يتضمن الفسق في حق من لا تجب عصمته ظاهر الكون سرا وعلنا عام الوقوع...»^(١).

وقال القاضي: «وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسن وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث. وتأول هذا القائل قوله: أن لا تتنازع الأمر أهله، في أئمة العدل وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق بل لما غير من الشرع، وظاهر من الكفر.

قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً، ثم حصل الإجماع على

(١) روضة الطالبين ٢٦٨/٧.

منع الخروج عليهم، والله أعلم»^(١).

وقال في موضع آخر: «إذا جار والي الوقت وظهر ظلمه وغشمه ولم ينزجر حين زجر عن سوء صنيعه بالقول فالأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب، هذا كلام إمام الحرمين، وهذا الذي ذكره من خلعه غريب، ومع هذا فهو محمول على ما إذا لم يخف منه إثارة مفسدة أعظم منه»^(٢).

(١) غياث الأمم ١٠١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٥/٢ - ٢٦.

المبحث الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أكد الأصول الإسلامية وأوجبها وألزمها، حتى إن بعض العلماء ألحقه بالأركان التي لا يقوم بناء الإسلام إلا عليها، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك.

وقد تكلم الإمام النووي عن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح مسلم (باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان)^(١). وذكر جملاً من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها:

أولاً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يشترط فيه.

ثالثاً: مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما ناقش مسألة الإنكار على الأمراء في مواضع متفرقة من شرحه للصحيح وكان ما ذكره رحمته الله عمدة ومرجعاً لمن جاء بعده. والذي يعيننا في هذا المبحث مسألتان:

الأولى: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما ذكر فيه رحمته الله من

مخالفة الرافضة والمعتزلة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الثانية: الإنكار على الأمراء وحكم الخروج عليهم.

أولاً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال رحمته الله: «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الكتاب والسنة وإجماع أهل الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكثرث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة^{(١)(٢)}.

ثانيا: الإنكار على الأمراء وحكم الخروج عليهم:

يعتقد الإمام النووي رحمته الله تحريم الخروج على الأئمة حتى وإن كانوا فسقة، ظالمين، كما يرى عدم جواز منازعتهم في ولايتهم مع وجوب الإنكار عليهم إذا أتوا منكرا.

وهناك فرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الخروج على الأئمة، والإمام النووي رحمته الله في حياته وجهاده العملي أكبر دليل على ذلك ومواقفه في هذا الباب معروفة.

قال رحمته الله في شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان))^(٣)، «لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين»^(٤).

وفي موضع آخر قال: «لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام»^(٥).

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ٧٤٢ وما بعدها، وهو قول لبعض المعتزلة.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢/٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥١٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢/٢٢٩.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢/٢٤٣ - ٢٤٤.

ويرى الإمام النووي رحمته الله أن الإنكار على الأمراء ينبغي أن يكون سرا ما أمكن ذلك؛ فإن لم يكن ذلك فليفعله علانية، فقد قال في شرحه لقول أسامة بن زيد رضي الله عنه لما قيل له: (ألا تدخل على عثمان فتكلمه قال: أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من افتتحه...) (١).

قال: «فيه الأدب مع الأمراء واللفظ بهم ووعظهم سرا وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك فإن لم يمكن الوعظ سرا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق» (٢).

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله... ١١٨/١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١١٨/١٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد: اللهم اجعل خيرا أعمالنا خواتيمها، وأفضل أيامنا يوم نلتقائك...

تم - بعون الله وتوفيقه - كتاب منهج الإمام النووي في أصول الدين، وأنا في نهاية المطاف، وخاتمة الكتاب أجمل للقارئ الكريم بعض ما توصلت إليه من نتائج، لم أدونها لكثرتها، ويمكن للقارئ مطالعتها في ثانيا البحث.

١ / يرى الإمام النووي أن خبر الواحد وإن كان في الصحيحين وإن تلقته الأمة بالقبول وأجمعت عليه لا يفيد العلم إنما يفيد الظن، ومع هذا فهو يحتاج به في العقائد ويوجب عقد القلب عليه.

٢ / النووي يجوز على منهاج المتكلمين في باب الصفات، وهذا هو الذي رجحه عمليا في كتبه كما أنه يرى أن أخبار الصفات من المتشابه.

٣ / منهج النووي في هجر المبتدعة هو منهج أهل السنة والجماعة فهو يشير إلى هجرانهم ونبذ ما هو من شعارهم كالشيعة والرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والكرامية كما تقدم في ثانيا البحث مفصلا.

٤ / النووي فيه ميل إلى التصوف يتمثل في استخدامه لبعض عباراتهم البدعية والثناء على بعض شيوخهم.

٥ / النووي يثبت ما ورد في النصوص من أسماء الله تعالى كما يعتقد أنها توقيفية إلا أنه يفسر بعضها بما يخالف منهاج السلف.

٦ / النووي يؤول جميع الصفات الذاتية، ويثبت السمع والبصر على منهج الأشاعرة.

أما الصفات الفعلية فهو يؤلها إما بالإرادة أو بالثواب نفسه أو بالعقاب أو

بغير ذلك من التأويلات الباطلة ، أما المعية والكلام فهو على منهج أهل السنة في إثباتها.

والعلو والرؤية هو فيها على مذهب الأشاعرة حيث ينكر علو الله تعالى بذاته كما أنه يثبت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة لا في جهة.

٧ / يرى الإمام النووي رحمته الله أن دليل النبوة هو المعجزة كما هو مذهب الأشاعرة.

٨ / لم يخالف النووي رحمته الله أهل السنة في شيء من السمعيات.

٩ / أثبت النووي مراتب القدر الأربع ، لكنه رحمته الله على مذهب الأشاعرة في أن أفعال الله تعالى لا تعلق.

١٠ / النووي في باب الإيمان وما يتعلق به من مسائل على مذهب أهل السنة والجماعة إلا فيما يتعلق بكرامات الأولياء فقد اثبت وقوعها بدون حد ولم يفرق بينها وبين معجزات الأنبياء إلا أن النبي مع وقوع الخارقة يدعي النبوة والولي لا يدعي النبوة.

والحمد لله رب العالمين..

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، بيروت.
٢. الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: رضا بن نعيان معطي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار الراية.
٣. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق ودراسة: أبي عبدالله محمد بن حمد الحمود، مكتبة دار الإمام الذهبي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٤. ابن تيمية السلفي، محمد خليل هراس، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، مكتبة الصحابة بطنطا.
٥. ابن حزم وموقفه من الإلهيات، د. أحمد بن ناصر الحمد، من مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٦. أحكام أهل الذمة، لابن قيم الجوزية.
٧. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة، حمود التويجري، دار الصمعي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٨. اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية، مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق، إعداد وتحقيق: د. عواد عبدالله المعتق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٩. الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
١٠. الأحكام السلطانية، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الفكر ١٤٠٦هـ.

١١. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسين علي بن محمد الماوردي، تحقيق: خالد عبداللطيف العليمي، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٢. الأحكام في أصول الأحكام، الأمدي، تحقيق: سيد الجميلي.
١٣. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٤. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٥. الأذكار، للنووي، تحقيق: عبدالقادر الأرنبوط، دار الهدى، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.
١٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لعبدالمملك الجويني.
١٧. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق، النووي، تحقيق: عبدالباري فتح الله السلفي، طبعة مكتبة الإيمان.
١٨. أساس التقديس في علم الكلام، لفخر الدين الرازي مع مقدمة تحليلية للدكتور محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
١٩. الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. أشراط الساعة، يوسف الوابل، مكتبة ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، المملكة العربية السعودية، الدمام.
٢١. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٨هـ.
٢٢. أصل الاعتقاد، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٢٣. أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
٢٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
٢٥. الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.
٢٦. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، مراجعة: علي سامي النشار، طبعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، بيروت.
٢٧. الإعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.
٢٨. الإفصاح عن معاني الصحاح، للوزير ابن هبيرة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٩. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشبهات، لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: شعب الأرنبوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٠. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣١. إكمال المعلم لفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، مخطوط نسخة المكتبة الأزهرية، ورقم النسخة ١٨٤١.
٣٢. الإمام النووي، عبد الغني الدقر.
٣٣. الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه، لأحمد بن عبدالعزيز الحداد، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣٤. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله الدميحي، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٣٥. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٦. إيثار الحق على الخلق، ابن الوزير.
٣٧. الإيمان، لابن تيمية، طبع المكتب الإسلامي.
٣٨. الإيمان، لابن مندة، تحقيق: على الفقيهي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٣٩. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠. البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.
٤١. البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي، ترجمة: محمد أحمد دهمان، دار البصائر، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٤٢. البرهان في أصول الفقه، الجويني.
٤٣. بستان العارفين / لمحيى الدين النووي.
٤٤. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي.
٤٥. بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ.
٤٦. البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
٤٧. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. محمد مستفيض الرحمن، مطبعة الإرشاد، بغداد.
٤٨. تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الجليل، بيروت ١٣٩٣هـ.

٤٩. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي.

٥٠. التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٥١. تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٥٢. تحفة الطالبين، لابن العطار، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم.

٥٣. تحفة المودود في أحكام المولود، لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، ومكتبة المؤيد، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٥٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت. ٥٥. التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٦. التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٧. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبدالله القرطبي، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٨. التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٩. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦٠. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية

١٤٠١هـ/١٩٨٣م.

٦١. تقريب الراوي مع تدريب الراوي، للنووي، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٦٢. التقييد والإيضاح، العراقي.
٦٣. التمام في ميزان العقيدة، د. علي العليان، ضمن رسائل ودراسات في منهج أهل السنة، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى رجب ١٤١١هـ.
٦٤. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٦٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: عمر الجيدي وسعيد عراب ١٤٠٥هـ.
٦٦. تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٧. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى بمطبعة المعارف النظامية في الهند ١٣٢٥هـ.
٦٨. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة: أ. علي محمد البجادي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٦٩. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، دراسة وتحقيق: د. عبدالعزيز إبراهيم الشهوان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الرشد للنشر والتوزيع.
٧٠. التوضيح عن توحيد الخلاق، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار طيبة.
٧١. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤٠٨هـ.

٧٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبع ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٧٣. جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، دار الحديث، القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٧٤. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، طبع دار المعرفة، بيروت.
٧٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم الحفيش، الطبعة الثانية.
٧٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي حذيفة عبيدالله بن عالية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٧٧. جوهرة التوحيد مع شرحها تحفة المريد، للبيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٧٨. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، دار الندوة الجديدة، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٧٩. حاشية ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، شرح: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٨٠. الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي، تحقيق: أبو هاجر السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٨١. الحسبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، توزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٨٢. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٣. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٨٤. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، د. أحمد جلي، من مطبوعات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
٨٥. الدين الخالص، السيد محمد صديق حسن، مكتبة دار التراث، مصر.
٨٦. الرؤيا، حمود التويجري، دار اللواء، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٨٧. رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٨. الرد على الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية، لابن تيمية، الناشر: الدار العلمية، دلهي، الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٨٩. الرد على الجهمية، ابن مندة، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٩٠. الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٩١. الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمة، مشهور بن الحسن آل سلمان، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٩٢. رسالة الخوف والرجاء في الكتاب والسنة، عبدالرحمن الشمسان، الجامعة الإسلامية ١٤١١هـ.
٩٣. رسالة الشرك الأصغر، عبدالله السليم.
٩٤. مخطوط رسالة فيما يعتقد السلف في الحروف والأصوات، النووي.
٩٥. الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، ودار النفائس، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ.

٩٦. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٩٧. الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. السيد الجميلي.
٩٨. روضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٩٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٠٠. الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيثمي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.
١٠١. السحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد بن ناصر الحمد، مكتبة التراث بمكة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٠٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
١٠٣. سنن أبي داود، لأبي سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة بدون.
١٠٤. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٠٥. سنن الدارمي، للحافظ أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: السيد عبدالله هاشم يماني، الناشر: حديث أكاديمي، نشاط أباد، فيصل أباد، باكستان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٠٦. سنن النسائي مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ، دار الفكر، بيروت.
١٠٧. سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

١٠٨. السنة، لأبي بكر أحمد الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار
الرأية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٠٩. السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد
القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١١٠. السنة، لعمر بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة،
لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
١١١. الشامل في أصول الدين، الجويني، تحقيق: علي سامي النشار، فيصل
بدير عون، سهير محمد مختار، مكتبة المعارف بالأسكندرية.
١١٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن
الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: أحمد سعيد حمدان،
دار طيبة للنشر والتوزيع.
١١٣. شرح الأصول الخمسة، لعبدالجبار الهمداني، تحقيق: د. عبدالكريم
عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
١١٤. شرح الصدور، محمد بن علي الشوكاني، ضمن مجموعة الرسائل
السلفية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٤٨هـ.
١١٥. شرح ابن بطلال لصحيح البخاري "مخطوط"، لعلي بن خلف الشهير بابن
بطلال المغربي المالكي، مصدرها: المكتبة الأزهرية.
١١٦. شرح السنة، لحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش،
وشعيب الأرنؤوط، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١١٧. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تقديم: حسنين محمد مخلوف،
دار الكتب الإسلامية، مصر.
١١٨. شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق: مجموعة من
العلماء، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب
الإسلامي، الطبعة الثامنة، طبعة أخرى، تحقيق: د. عبدالله التركي،
وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١١٩. شرح صحيح البخاري، ضمن مجموعة شروح البخاري، شرح النووي وإرشاد الساري للقسطلاني، وهو الباري، لصديق حسين، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢٠. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله الغنيمان، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٢١. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٢٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحى بن عماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي.
١٢٣. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٢٤. شفاء العليل في مسال القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، تصحيح: محمد بدر النعساني، مكتبة الرياض الحديثة.
١٢٥. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الفكر، الطبعة الأخيرة ١٤٠٥هـ.
١٢٦. الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فراس، تحقيق: السيد أحمد صقر.
١٢٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٢٨. صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
١٢٩. الصوفية معتقدا ومسلكا، د. صابر طعيمة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣٠. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني الهندي، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ.
١٣١. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبدالله القرني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٣٢. طبقات الأولياء، ابن الملقن.
١٣٣. طبقات الشافعية، عبدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٣٤. طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة.
١٣٥. الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت، ودار صادر، بيروت ١٣٧٧هـ.
١٣٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق: عمرو بن محمود أبو عمر، المملكة العربية السعودية، الدمام، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٣٧. عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، للإمام الحافظ ابن العربي المالكي، نشر دار أم القرى للطباعة والنشر بالقاهرة.
١٣٨. عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان حمد العودة، دار طيبة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
١٣٩. العبر في خبر من غير، للذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٤٠. العبودية، لابن تيمية، علق عليها وصحح أصولها: محمد منير الدمشقي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ.

١٤١. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، إدارة الطبقات المنيرية، مكتبة طيبة، الرياض.
١٤٢. العقيدة الواسطية مع شرحها لخليل هراس، خرج أحاديثها: علوي السقاف، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٤٣. عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، للشيخ حمود التويجري، دار اللواء، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٤٤. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٤٥. علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، رضا نعيان معطي، شركة العبيكان للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٤٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.
١٤٧. غياث الأمم في التياث الظلم، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د. عبدالعظيم الديب، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
١٤٨. فتاوى النووي المسمى المسائل المنثورة، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
١٥٠. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لشمس الدين السخاوي.
١٥١. فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥م.
١٥٢. الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة بيروت.

١٥٣. الفروق، لشهاب الدين أبي العباس الصنهاجي المعروف بالقرايفي، وضعه أ.د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت.
١٥٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٥٥. فضائل القرآن، لمحمد بن إسماعيل بن كثير.
١٥٦. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، مكتبة لينة للنشر والتوزيع.
١٥٧. القاموس المحيط، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٥٨. قانون التأويل، لابي حامد الغزالي، تحقيق: محمود بيجو، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٥٩. قررة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، حاشية العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسين آل الشيخ، صححه وعلق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ.
١٦٠. القصيدة النونية، لابن القيم، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، طبعة دار المعرفة، بيروت.
١٦١. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
١٦٢. قطر الولي على حديث الولي، للإمام الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم إبراهيم هلال، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٧هـ.
١٦٣. قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، دار الجيل، بيروت، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

١٦٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
١٦٥. كشاف القناع على متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، طبعة عالم الكتب، بيروت.
١٦٦. كشف الشبهتين، سليمان بن سحمان الحنبلي، تحقيق: عبدالسلام بن برجس.
١٦٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله الرومي المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر ١٤١٠هـ.
١٦٨. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
١٦٩. لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
١٧٠. لقاء الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: د. عبدالله الطيار، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٧١. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: اشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مكتبة دار طبرية، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٧٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة أسامة، الرياض ١٤٠٥هـ.
١٧٣. المجموع شرح المذهب، للنووي، دار الفكر.
١٧٤. مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دار الباز عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
١٧٥. مجموعة الرسائل المنيرية، عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى ١٣٤٣هـ إدارة الطبقات المنيرية، مكتبة طيبة، الرياض.

١٧٦. مجموعة رسائل الشيخ سعد بن حمد بن عتيق.
١٧٧. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
١٧٨. محاسن الإصلاح، سراج الدين البلقيني.
١٧٩. المحاضرات السنوية في شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، لمحمد بن صالح العثيمين، مع تعليقات للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مكتبة طبرية، الرياض.
١٨٠. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، للإمام الفخر الرازي، تقديم وتعليق: د. سميح دغيم، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
١٨١. مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، لابن قيم الجوزية، اختصره: محمد الموصللي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٨٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
١٨٣. المرجئة وموقف السلف منهم، محمد اللاحم، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٨٤. مسائل الإيمان، للقاضي أبي يعلى، دراسة وتحقيق: سعود عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤١٠هـ.
١٨٥. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

١٨٦. المستصفي في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار العلوم الحديثة، بيروت.
١٨٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٨٨. المسودة في أصول الفقه، تصنيف ثلاثة من آل تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٨٩. مشكل الآثار، لابي جعفر الطحاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، مصور عن نسخة مطبوعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٣هـ، وطبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
١٩٠. مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٩١. المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: أحمد الندوي، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٩٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، لحافظ حكيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٩٣. معالم السنن شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٩٤. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف السنة منهم، لعواد المعتق، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٩٥. المعتمد في أصول الدين، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء، تحقيق وتقديم: د. وديع زياد حداد، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤م.
١٩٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٩٧. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٩٩. المعلم، لمحمد بن علي المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
٢٠٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠١. المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٠٢. المفهم شرح تلخيص صحيح الإمام مسلم، صورة عن نسخة محفوظة في الجامعة الإسلامية "مخطوط".
٢٠٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تصحيح: هلموت ريتز، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
٢٠٤. المقدمة في علوم الحديث، ابنا لصلاح، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠٥. الملل والنحل، لمحمد عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٠٦. مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي.
٢٠٧. منها السنة النبوية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٠٨. المنهاج السوي، للسيوطي، طبع في مقدمة كتاب النووي روضة الطالبين، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٠٩. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن حسن، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٢١٠. منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، سعود الدعجان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة العلم بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢١١. المنهل العذب الروي، للسخاوي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢١٢. المواقف في علم الكلام، لعبدالرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت.
٢١٣. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢١٤. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتب والسنة "عرضاً ونقداً"، د. سليمان الغصن، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢١٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
٢١٦. النبوات، لابن تيمية، تصحيح: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
٢١٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرفية العامة.
٢١٨. نقض أساس التقديس، للرازي "مخطوط"، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، نسخة حديثة نقلت عن نسخة مكتوبة ١٣٣٩هـ من جامعة الرياض.
٢١٩. نقض تأسيس الجهمية، ابن العباس أحمد بن تيمية، تصحيح: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
٢٢٠. النكت على ابن الصلاح، لابن حجر، تحقيق: د. ربيع بن هادي عمير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي.

٢٢١. النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، صححه وعلق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر: أنصار السنة المحمدية، لاهور.
٢٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٢٣. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود، مكتبة الإمام الذهبي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٢٤. هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٢٥. هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر ١٤٠٢هـ.
٢٢٦. وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٣ - ١٥	التمهيد - ترجمة موجزة للإمام النووي
٣٧	الباب الأول: منهج النووي في تلقي العقيدة
٣٩	الفصل الأول: حجية خبر الواحد في مسائل الاعتقاد
٥٦	الفصل الثاني: موقفه من التأويل
٦٦	الفصل الثالث: موقفه من التفويض
٧٤	الفصل الرابع: موقفه من الفرق
٧٤	أولاً: موقفه من أهل الأهواء والبدع إجمالاً
٨٠	ثانياً: موقفه من أهل الأهواء والبدع تفصيلاً
٨٠	١ - موقفه من الشيعة والرافضة
٩٥	٢ - موقفه من الخوارج
١٠٢	٣ - موقفه من المعتزلة
١٠٨	٤ - موقفه من الكرامية
١١١	الفصل الخامس: موقفه من التصوف والصوفية
١١٩	الباب الثاني: منهج النووي في تقرير التوحيد
١٢١	الفصل الأول: منهجه في تقرير توحيد الأسماء والصفات

الصفحة	الموضوع
١٢١	المبحث الأول: منهجه في تقرير الأسماء والصفات إجمالاً
١٢٩	المبحث الثاني: منهجه في أسماء الله تفصيلاً
١٢٩	١ - أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية
١٤٧	المبحث الثالث: منهجه في تقرير صفات الله تفصيلاً
١٤٨	أولاً: الصفات الذاتية
١٤٨	١ - السمع
١٥٠	٢ - البصر
١٥٢	٣ - الوجه
١٥٤	٤ - اليدين
١٦٥	٥ - الرجل والقدم
١٧٠	٦ - الأصابع
١٧٤	٧ - الساق
١٧٩	٨ - الصورة
١٨٦	٩ - الحياء
١٨٩	ثانياً: الصفات الفعلية
١٨٩	١ - ٢ - الغضب والرضا
١٩٢	٣ - المحبة

الصفحة	الموضوع
١٩٦	٤ - البغض والسخط والكراهة
١٩٨	٥ - الضحك
٢٠١	٦ - الفرح
٢٠٢	٧ - العجب
٢٠٣	٨ - الغيرة
٢٠٥	٩ - الإتيان والمجيء
٢٠٨	١٠ - المثل
٢٠٩	١١ - المعية
٢١١	١٢ - القرب
٢١٧	ثالثا: الكلام: مذهب الإمام النووي في كلام الله
٢٢٣	رابعا: العلو: الأدلة على علو الله تعالى على خلقه بذاته
٢٣٢	خامسا: النزول: مذهب الإمام النووي في النزول
٢٣٣	التعليق على تأويلاته
٢٣٩	سادسا: الرؤية: أقوال النووي في الرؤية
٢٤٠	١ - رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء
٢٤٦	٢ - رؤية الله تعالى في الدنيا هل هي جائزة
٢٤٩	٣ - رؤية الله تعالى في الموقف

الصفحة	الموضوع
٢٥١	٤ - رؤية المؤمنين لربهم في الجنة
٢٥٦	الفصل الثاني: منهجه في بيان توحيد الألوهية وما يضافه
٢٥٦	المبحث الأول: بيان توحيد الألوهية
٢٥٦	المطلب الأول: منزلة هذا التوحيد من الدين
٢٥٨	المطلب الثاني: معنى لا إله إلا الله
٢٦٣	المطلب الثالث: أنواع العبادة
٢٦٥	١ - التوكل: حقيقة التوكل
٢٧٠	٢ - حسن الظن
٢٧٣	٣ - الرجاء
٢٧٧	٤ - الدعاء
٢٨٠	٥ - الذبح لله
٢٨٢	المبحث الثاني: ما يضاف توحيد الألوهية
٢٨٢	المطلب الأول الشرك الأكبر
٢٨٣	١ - السحر: هل السحر حقيقة أو تخيل
٢٨٦	الفرق بين النبي والساحر والولي والساحر
٢٩٢	٢ - الكهانة والعرافة
٢٩٤	الكهانة بعد بعثة النبي ﷺ

الصفحة	الموضوع
٢٩٥	حكم حلوان الكاهن
٢٩٦	٣ - التنجيم
٢٩٨	٤ - الاستسقاء بالأنواء
٣٠٠	٥ - السجود للمشايع
٣٠١	٦ - الذبح بغير الله
٣٠٤	من أنواع الشرك الأصغر
٣٠٤	أولاً: الشرك الأصغر في الاعتقادات
٣٠٤	١ - الحلف بغير الله
٣٠٦	٢ - الطيرة
٣١٠	ثانياً: الشرك الأصغر في الألفاظ
٣١٠	١ - الحلف بغير الله
٣١٣	٢ - سب الدهر
٣١٦	٣ - قول ما شاء الله وفلان
٣١٧	٤ - التسمي بأسماء الله تعالى (الرحمن - القدوس)
٣١٨	٥ - إطلاق لفظ عبدي وأمتي وسيدي
٣٢٥	ثالثاً: الشرك الأصغر في الأفعال
٣٢٥	١ - تعليق الحروز والتعاويد والتمايم

الصفحة	الموضوع
٣٢٧	٢ - إتيان الكهان
٣٢٨	٣ - الرقي
٣٣٠	المطلب الثالث: وسائل الشرك
٣٣٠	١ - زيارة قبر الرسول ﷺ والدعاء عنده
٣٣٧	٢ - التبرك بآثار الرسول ﷺ والتبرك بالصالحين
٣٤٥	٣ - البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها وتجسيصها
٣٥١	الباب الثالث: منهجه في سائر أصول الإيمان
٣٥٥	الفصل الأول: الإيمان بالملائكة
٣٥٤	المسألة الأولى: التفضيل بين الملائكة والأنبياء
٣٥٨	المسألة الثانية: ما الذي تكتبه الملائكة
٣٦٠	الفصل الثاني: الإيمان بالرسول
٣٦١	المبحث الأول: دلائل النبوة
٣٦٧	المبحث الثاني: عصمة الأنبياء
٣٧٢	المبحث الثالث: التفضيل بينهم
٣٧٤	الفصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر
٣٧٤	المبحث الأول: الروح

الصفحة	الموضوع
٣٨٠	المبحث الثاني: أشراف الساعة
٣٨٦	١ - الدجال
٣٨٨	٢ - نزول عيسى <small>عليه السلام</small>
٣٩٢	٣ - يأجوج ومأجوج
٣٩٤	٤ - الدخان
٣٩٨	٥ - الدابة
٣٩٩	٦ - النار
٤٠٠	المبحث الثالث: عذاب القبر ونعيمه
٤٠٠	١ - ثبوت عذاب القبر بالكتاب والسنة
٤٠٢	٢ - سماع الموتى
٤٠٣	٣ - مسألة تعذيب الميت ببكاء أهله عليه
٤٠٦	المبحث الرابع: الشفاعة
٤٠٩	المبحث الخامس: الحوض
٤١٣	المبحث السادس: الصراط
٤١٥	المبحث السابع: الجنة والنار
٤١٧	الفصل الرابع: في القدر
٤١٧	المبحث الأول: الإيمان بالقدر ومراتبه

الصفحة	الموضوع
٤٢٤	المبحث الثاني: الهدى والضلال
٤٢٦	المبحث الثالث: الأرزاق والآجال
٤٢٩	المبحث الرابع: الاحتجاج بالقدر وحكمه
٤٣٢	المبحث الخامس: التعليل في أفعال الله تعالى
٤٣٦	المبحث السادس: حكم أطفال المشركين
٤٣٩	الباب الرابع: في مسائل الإيمان
٤٤١	الفصل الأول: مسمى الإيمان
٤٤٦	الفصل الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه
٤٥٢	الفصل الثالث: الاستثناء في الإيمان
٤٥٦	الفصل الرابع: العلاقة بين الإسلام والإيمان
٤٦١	الفصل الخامس: الولاية وكرامات الأولياء
٤٦٩	الفصل السادس: الكبيرة وحكم مركبتها
٤٩٤	الفصل السابع: التكفير
٥٠٣	الباب الخامس: منهجه في الصحابة والإمامة
٥٠٥	المبحث الأول: الصحابة
٥٠٦	المطلب الأول: تعريف الصحابي
٥٠٧	المطلب الثاني: فضلهم والتفضيل بينهم

الصفحة	الموضوع
٥١٢	المطلب الثالث: الترضي عنهم وحسن الظن بهم
٥١٣	المطلب الرابع: حكم سبهم
٥١٥	المطلب الخامس: ما شجر بين الصحابة
٥١٨	المبحث الثاني: الإمامة
٥١٨	المطلب الأول: حكم نصب الإمام
٥١٩	المطلب الثاني: شروط الإمام
٥٢٣	المطلب الثالث: الطرق الشرعية لانعقاد الخلافة
٥٢٥	المطلب الرابع: الكلام في النص على أبي بكر
٥٢٨	المطلب الخامس: دعوى الرافضة النص على علي
٥٣١	المطلب السادس: اشتراط القرشية في الإمام
٥٣٣	المطلب السابع: وجوب طاعة أولي الأمر
٥٣٥	المطلب الثامن: الخروج على الأئمة وعزل الإمام
٥٣٩	المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٥٤٣	الخاتمة
٥٤٥	فهرس المصادر والمراجع
٥٦٥	فهرس الموضوعات

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com